الإمام علي عليه السلام

سيرة وتاريخ

المقدِّمة 7

الباب الأول : عليٌّ عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 9

الفصل الأول : علي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة 9

نسبه 9

كنيته 10

جدُّه وأبوه 10

أُمُّه 14

إخوته 16

وليد الكعبة 20

صفته 22

أسماؤه وألقابه 23

نشأته 27

الفصل الثاني : علي عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد البعثة 30

المبحث الأول : بعد البعثة في مكة 30

1ـ أوَّل الناس إسلاماً 30

2ـ الدعوة الخاصة) عليٌّ يوم الإنذار الأول (36

3ـ شعب أبي طالب 43

4ـ مؤامرة قريش في دار الندوة 46

5ـ عليٌّ والركب الفاطمي إلى المدينة 52

المبحث الثاني : في المدينة المنوَّرة 55

المدخل 55

1ـ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار 55

2ـ زواج عليٍّ من فاطمة الزهراء عليها السلام 58

خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التزويج 62

3ـ غزواته مع الرسول 65
غزوة بدر الكبرى 66
غزوة أُحد 71
وقعة بني النضير 76
وقعة الأحزاب 78
وقعة بني قريظة 84
عمرة الحديبية 85
وقعة خيبر 88
وقعة ذات السلاسل 92
فتح مكَّة 93
وقعة حنين 96
تبوك والاستخلاف 98
4ـ عليٌّ يبلّغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 101
5ـ علي عليه السلام في اليمن 102
6ـ عليٌّ في حجَّة الوداع 103
غدير خُمٍّ 104
5ـ عليٌّ عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ساعات الوداع 108
مرض النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعثة أُسامة 108
الرزية كلُّ الرزية 109
عليٌّ عليه السلام وآخر لحظات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم 110
الباب الثاني : علي عليه السلام قبل تولي الخلافة 113
مدخل في خصائصه والأدلَّة على إمامته 113
المحور الأول : خصائصه الخاصة 114
أولاً : في القرآن الكريم 117
1ـ نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 117
2ـ عليٌّ عليه السلام من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاصَّته 118
3ـ القرآن الكريم يأمر بالصلاة على آل بيت النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم 119
4ـ علي عليه السلام يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله 119
5ـ عليٌّ عليه السلام وسورة الدهر 120
6ـ في بيوت أذن الله أن ترفع 120
7ـ بعليٍّ كفى الله المؤمنين القتال 120
8ـ ليس أفضل من إيمان عليٍّ عليه السلام وجهاده في سبيل الله 121
ثانياً : في الحديث الشريف 121
1ـ أوَّلهم إسلاماً 121
2ـ أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره 122
3ـ وأحبُّ الخلق إلى الله 123
4ـ الا باب عليٍّ 123
5ـ الذائد عن الحوض 124
6ـ (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَأة (125
7ـ علي عليه السلام يبلِّغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من السماء 125
8ـ كرَّار وليس بفرَّار 125

المحور الثاني : النصوص الدالّة على إمامته عليه السلام 126
1ـ اسمعوا لعليٍّ وأطيعوا 127
2ـ وأولى بالناس من أنفسهم 128
3ـ إنَّ عليّاً مولى المؤمنين 129
4ـ الوزارة والخلافة 130
5ـ لن يخرجكم من هدى ولن يُدخلكم في ضلالة 131
6ـ لا ، لكنَّه علي ! 131
7ـ كلُّهم من قريش 132
8ـ قاتل الفَجَرة 132
9ـ حقُّه لازم لنا ، وفضله مبرَّز 132
10ـ لن تضلّوا بعده 133
الفصل الأول : قصة السقيفة 135
موقف فاطمة عليها السلام من البيعة 141
الفصل الثاني : عليٌّ مع أبي بكر وعمر وعُثمان 144
بيعته لأبي بكر 144
أبو بكر يستشير الإمام علي عليه السلام في حرب الروم 149
رجوع أبي بكر إليه في الأحكام الشرعية 150
جمع القرآن الكريم وتفسيره 151
قصَّة الاستخلاف 153
ثانياً : في عهد عمر بن الخطَّاب 156
قصَّة الشورى 162
ثالثاً : في عهد عُثمان 169
الباب الثالث : خلافة أمير المؤمنين عليه السلام 179
الفصل الأول : تولّي الخلافة وسياسته في الإصلاح 179
سياسته الإصلاحية 182
خطوات مشروعه الاصلاحي 185
أولاً : إلغاء التمايز الطبقي 185
ثالثاً : استبدال الولاة 191
الفصل الثاني : مسير الإمام إلى البصرة ووقعة الجمل 194
معركة الجمل 200
عليٌّ في طريقه إلى الشام ، وحرب صفّين 205
رفع المصاحف.. « كلمة حقٍّ يُراد بها باطل » 210
حرب النهروان 216
قصَّة استشهاده 219
سبب قتله 219

الإمام علي(ع)

سيرةٌ وتاريخٌ

المقدمة

إنه قد لا يخفى على قارئ ما يعانيه كاتب وهو يحاول الاقتراب من مقامٍ عليٍّ ، كَمَقام عليّ.. ذلك المقام الذي طالما أدهش العقول ، وأذهل البصائر ، وحيّر الألباب.. فليس لأحد بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من مقام يشبه مقام رجل اقترنت حياته كلها بحياة ذلك النبي العظيم ، منذ ولادته وعلى امتداد أيام نشأته ، ومنذ فجر الإسلام ومبعث النبي وعلى امتداد ايام دعوته وفصول جهاده وحتى لحظاته الأخيرة بل حتى توديع جثمانه الطاهر ، بل بعد ذلك إلى يوم الدين إذ به قد امتد نسل النبي من ابنته الوحيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، بل حتى في يوم الدين وبعده في مقام الخلود تقترن الشخصيتان في أعظم مقام عند الله تعالى ، فلواء الحمد لخاتم النبيين محمد ، وحامله علي ، وحوض الكوثر تحفة الله لنبيه محمد ، والساقي عليه عليّ ، والمقام المحمود في الجنان لسيد الخلق محمد ، وصاحبه فيه عليّ.. فمهما أفاض القلم بالمداد ، ومهما أبدع الكاتب وأجاد ، فإن الذي بينه وبين حقيقة مقام علي مسافات شاسعة ودنيا واسعة.. ويبقى جهد المقل في صفحات معدودات أن يستعيد العناوين الرئيسية التي تستوعبها الكتابات التقليدية عن رجل له هذا المقام الكبير.

وغاية هذا الكتاب هي الوقوف عند مثل هذه العناوين ، إسهاماً في تأكيد الحق العلوي الذي لا يحجب اشراقه كل ما وضعه جبابرة التاريخ من حُجب ، ولا يعلو عليه كل ما راكموه من باطل...

تناولنا ذلك معتمدين التركيز والاختصار ، مع التوثيق المناسب.

وقد جاء هذا الكتاب في ثلاثة أبواب :

تناول الباب الأول : حياة علي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فصلين

الفصل الأول : علي عليه السلام مع الرسول قبل البعثة.

الفصل الثاني علي عليه السلام مع الرسول بعد البعثة والذي يقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : في مكة.

المبحث الثاني : في المدينة.

وتناول الباب الثاني : علي عليه السلام قبل تولي الخلافة ، على النحو الاتي :

مدخل في خصائصه والادلة على امامته.

الفصل الأول : قصة السقيفة.

الفصل الثاني : مع أبي بكر وعمر وعثمان.

والباب الثالث : خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وهو في فصلين :

الأول : تولي الخلافة وسياسته عليه السلام في الإصلاح

الثاني : علي عليه السلام في العراق.

راجين أن نكون قد وفينا بهذا الجهد المتواضع بعض الحق الذي في أعناقنا لهذا الامام الكبير ، آملين

الفوز بشفاعته.. والله من وراء القصد.

الباب الأول

عليٌّ عليه السلام مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

الفصل الأول : علي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة

وهو فصل تمهيدي نتناول فيه شخصية أمير المؤمنين عليه السلام من حيث نسبه وصفته وأسمائه وألقابه ومولده ونشأته في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

نسبه :

هو سيِّد العرب ، يعسوب المؤمنين ، مولى الموحّدين ، أسد الله الغالب عليُّ بن أبي طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (١) القرشي ، الهاشمي ، المكّي ، المدني.

قيل : « هو أول هاشمي ولد من أبوين قرشيين هاشميين » (٢) وفي عبارة الكليني : « وهو أول هاشمي ولده هاشم مرَّتين » (٣) .

ولا يصحُّ ذلك ، لأنَّ أُمَّه ولدت قبله طالباً وعقيلاً وجعفراً من أبوين هاشميين!!

---

١) أسد الغابة | ابن الأثير ٤ : ١٠٠ ، البداية والنهاية | ابن كثير ٧ : ٢٢٣.

٢) أسد الغابة ٤ : ١٠٠ ، إعلام الورى | الطبرسي ١ : ٣٠٦ ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ط١ | ١٤١٧هـ ، الإرشاد| الشيخ المفيد ١ : ٦ ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم.

٣) الكافي | الكليني ١ : ٤٥٢ باب : مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

والصحيح أن يقال : « وأمُّه أول هاشمية ولدت هاشمياً » (١) ..

وهو والد ابنين هاشميين ، لأبوين وجدَّين كلِّهم من بني هاشم.

كنيته : أبو الحسن.

ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخوه ، آخاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرَّتين؛ فإنَّ رسول الله آخى بين المهاجرين ، ثُم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة ، وقال لعليٍّ في كلّ واحدة منها : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » (٢) .

وهو وزير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيُّه وخليفته في أُمَّته ، وجامع فضائله وشمائله ، ووارث علمه وحكمه ، وختنه على ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام.

وأول خليفة من بني هاشم ، هاجر الهجرتين ، ماشياً حافياً ، وشهد بدراً وأُحداً والخندق وبيعة الرضوان والمشاهد كلَّها ، الا معركة تبوك ، فقد خلَّفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة ، كان ذلك أحد مواضع قوله له : « أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي » (٣) وأبلى في جميع المعارك بلاءً عظيماً ، وكان اللواء في أكثر المواضع بيده.

جدُّه وأبوه :

جدّه عبدالمطَّلب ، الملقَّب بشيبة الحمد؛ لشيبة كانت في رأسه (٤) ، وقيل : « اسمه شيبة » (٥) ، وكنيته : أبو البطحاء ، لأنَّهم استسقوا به سقياً فكنَّوه

---

١) البداية والنهاية ٧ : ٢٢٣.

٢) أسد الغابة ٤ : ٩١ ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٣ : ١٠٣.

٣) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٦٤.

٤) تذكرة الخواص : ١٤.

٥) البداية والنهاية ٧ : ٢٢٣.

به (١) .. وقد بلغ من الشرف في قومه ما لم يبلغه أحد من قبل.

وكان عبدالمطَّلب جدُّ رسول الله يكفله ، وعبدالمطَّلب يومئذٍ سيِّد قريش غير مدافَع ، قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعطِ أحداً ، وسقاه زمزم وذا الهُدُم ، وحكَّمته قريش في أموالها ، وأطعم في الُمحل حتى أطعم الطير والوحوش في الجبال.

قال أبو طالب :

ونُطعمُ حتى تأكُلَ الطيرُ فضلَنا * إذا جَعَلَتْ أيدي المُفيضينَ تَرْعَدُ

وكان على ملَّة إبراهيم الخليل؛ فرفض عبادة الأصنام ووحَّد الله عزَّوجلَّ ، وسنَّ سنناً نزل القرآن بأكثرها ، وجاءت السُنَّة من رسول الله بها وهي : الوفاء بالنذور ، ومائة من الإبل في الديّة ، والا تنكح ذات محرم ، ولاتؤتى البيوت من ظهورها ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموؤدة ، والمباهلة ، وتحريم الخمر ، وتحريم الزنا ، والحدُّ عليه ، والقرعة ، والا يطوف أحدٌ بالبيت عرياناً ، وإضافة الضيف ، والا ينفقوا إذا حجَّوا الا من طيِّب أموالهم ، وتعظيم الأشهر الحُرم ، ونفي ذوات الرايات (٢) .

هكذا كان مجاهراً بدينه ، داعياً إلى الخلق الكريم والمبادئ السامية التي جاءت بها الاديان ، وكان له في هذه الخصال دور لا يشاركه فيه أحد ، حتى أنَّ قريشاً كانت تسميه إبراهيم الثاني.

---

١) انظر تفاصيل ذكره في تذكرة الخواص : ١٤.

٢) تاريخ اليعقوبي | أحمد بن أبي يعقوب ٢ : ١٠ ـ ١١ دار صادر.

وكان يفرش له بفناء الكعبة والناس من حوله يهابونه ، فلا يقرب فراشه أحد ، الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان يتخطَّى رقاب عمومته ، ويجلس على فراش جدِّه ، ولما حاولوا منعه قال لهم : دعوا ابني ، إنَّ لابني هذا شأناً..

وتوفِّي عبدالمطَّلب ولرسول الله ثماني سنين ، وكانت قد أتت على عبدالمطَّلب مائة وعشرون سنة ، وقيل : مائة وأربعون سنة (١) .

وعن أمِّ أيمن قالت : أنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشي تحت سريره وهو يبكي ، وقيل : كان لعبدالمطَّلب يوم مات ثمانون سنة (٢) .

وأعظمت قريش موته ، وغُسل بالماء والسدر ودُفن بالحجون ، وقيل : إنَّه حُمل على أيدي الرجال عدَّة أيَّام إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغييبه في التراب.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال : « إنَّ الله يبعث جدِّي عبدالمطَّلب أُمَّة واحدة في هيئة الأنبياء وزيِّ الملوك » (٣) .

وورث أبو طالب ـ والد عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام ـ زعامة أبيه عبدالمطَّلب ، وكفالته رسول الله ، فكان خير كافل ومعين ، وقد كان كأبيه سيِّداً شريفاً مهيباً.

قال عليُّ بن أبي طالب : « أبي ساد فقيراً ، وما ساد فقيرٌ قبله » (٤) ،

---

١) انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣.

٢) انظر تذكرة الخواص : ١٨.

٣) و ٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٤.

وخرج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بُصرى من أرض الشام وهو ابن تسع سنين ، وقال : « والله لا أكِلك إلى غيري » (١) .

وتولَّى العناية برسول الله والقيام بشؤونه من سنة ثمان من مولده الشريف ، وحتى العاشرة من النبوَّة ، وذلك اثنان وأربعون سنة ، وظل يدافع عن النبي ورسالته حتى آخر نفس من حياته ، وقد انعكست هذه الحقيقة وتجلَّى موقفه هذا في كثير من أشعاره ، منها قوله :

ليعلـم خيار الناس أنَّ محمداً * نبيٌّ كموسى والمسيح ابن مريم

وقوله :

ألم تعلمـوا أنَّا وجدنـا محمدا * رسولاً كموسى خطَّ في أوَّل الكتبِ

وقوله في لاميَّته الشهيرة :

لقد علمـوا أنَّ ابننا لا مكذَّبٌ * لدينا ولا يُعنَى بقولِ الأباطلِ

فأصبـح فينا أحمد في أُرومة * تُقصِّـر عنه سَورَة المتطاوِلِ

حَدِبْتُ بنفسـي دونـه وحميتُه * ودافعت عنه بالذُّرا والكلاكلِ

فأيَّده ربُّ العبـاد بنصـره * وأظهرَ ديناً حَقُّهُ غيرُ باطلِ [٢]

وتوفِّي أبو طالب بعد وفاة خديجة بثلاثة أيَّام ـ أي قبل هجرة الرسول من مكَّة إلى المدينة بثلاث سنين ـ في شوال أو في ذي القعدة ، وله ست وثمانون سنة ، وقيل بل تسعون (٣) ، وسمَّى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا العام بعام

---

١) أنظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٤.

٢) أنظر : السيرة النبوية | ابن هشام ١ : ٢٢٩ ـ ٢٣٥ ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ.

٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥.

الحزن ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » (١) .

وقال السدي : مات أبو طالب وهو ابن بضع وثمانين سنة ، ودُفن بالحجون عند عبدالمطَّلب.

ولمَّا قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ أبا طالب قد مات ، عظُم ذلك في قلبه ، واشتدَّ له جزعه ، ثُمَّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرَّات ، وجبينه الأيسر ثلاث مرَّات ، ثُمَّ قال : « يا عم ربيّت صغيراً ، وكفلت يتيماً ، ونصرت كبيراً ، فجزاك الله عنِّي خيراً » ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول : « وصلتك رحم وجُزيتَ خيراً » ، وقال : « اجتمعت على هذه الأُمَّة في هذه الأيَّام مصيبتان لا أدري بأيِّهما أنا أشدُّ جزعاً » يعني : مصيبة خديجة وأبي طالب رضي الله عنهما (٢) .

وسُئل الإمام السجَّاد عليه السلام عن إيمان أبي طالب ، فقال : « واعجباً ، إنَّ الله نهى رسوله أن يقرَّ مسلمة على نكاح كافر؛ وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ، ولم تزل تحت أبي طالب حتَّى مات » (٣) .

وهو من أوضح البراهين على إيمان أبي طالب رضي الله عنه.

أُمُّه :

فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم ـ جدُّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بن عبد مناف بن قصي الهاشمية القرشية ، وأُمُّها فاطمة بنت قيس بن هرم بن رواحة بن

---

١) البداية والنهاية ٣ : ١٣.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥.

٣) الصحيح من سيرة النبيِّ الأعظم ٣ : ٢٣٨.

حجر بن عبد بن بغيض بن عامر بن لؤي (١) بنت عم أبي طالب.

وقال أهل السير : « هي أول هاشمية تزوّجت هاشمياً وولدت خليفة هاشمياً » (٢) وهي من سابقات المؤمنات إلى الإيمان ، وكانت قبل ذلك على ملَّة إبراهيم الخليل عليه السلام ، هاجرت مع رسول الله في جملة المهاجرين إلى المدينة المنوَّرة ـ على ساكنها السلام ـ ماشية ، حافية ، و هي أوَّل امرأةٍ بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكَّة بعد خديجة زوج الرسول..

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعاملها كما يعامل ابنٌ برَ أمَّه حتى يوم وفاتها. حيث توفِّيت في المدينة المنوَّرة سنة أربع من الهجرة ، وأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اليوم ماتت أمِّي » (٣) ، وشهد جنازتها فصلَّى عليها وكفَّنها قميصه ليدرأ عنها هوامَّ القبر ، ونزل في قبرها لتأمن ضغطته (٤) .

وروي أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « يُحشر الناس يوم القيامة عراة » فقالت : واسوأتاه ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فإنِّي أسأل الله أن يبعثك كاسية » (٥).

وسمعته يذكر عذاب القبر فقالت : واضعفاه ، فقال : « إنِّي أسأل الله أن يكفيك ذلك » (٦) ..

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذلك يزورها ويقيل عندها في بيتها ، وقال ابن عبَّاس :

« وفيها نزلت (يا أيُّها النبيُّ إذا جاءك المؤمنات

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ : ١٧٨.

٢) تذكرة الخواص : ١٠.

٣) و ٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٤.

٥) و ٦) تذكرة الخواص : ١٠.

يبايعنك...) (١) » (٢) وإنَّها كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الام ، تفضله على أبنائها وتغدقه من حنانها وكان شاكراً لبرِّها.. وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّها كانت أمِّي ، إنها كانت لتجيع صبيانها وتُشبعني ، وتشعثهم وتدهنني ، وكانت أمِّي » (٣) .

إخوته :

وله عليه السلام خمس إخوة كلُّهم من أمّه فاطمة بنت أسد : ثلاثة ذكور وبنتان ، فالذكور : طالب ، وعقيل ، وجعفر ، وبين كلّ واحد وآخر عشر سنين والبنتان : أم هاني ، وجمانة. وفي ما يلي نذكر موجزاً عن أحوالهم :

١ ـ طالب : وهو أكبر ولد أبي طالب ، وبه كان يكنَّى ، أخرجه المشركون يوم بدر لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كرهاً؛ فقال :

اللَّهمّ إمّا يغـزون طـالب * في منقـبٍ من هـذه المناقب

وليكن المغلـوب غير غالـب * وليكن المسلـوب غير السالب

فلمَّا انهزم المشركون يوم بدر لم يوجد في القتلى ، ولا في الأسرى ، ولارجع إلى مكَّة ، ولا يُدرى ما حاله ، وليس له عقب (٤) .

٢ ـ عقيل (٥) : وهو أكبر من جعفر بعشر سنين كذلك ، ويكنَّى أبا يزيد.

---

١) سورة الممتحنة : ٦٠.

٢) تذكرة الخواص : ١٠.

٣) تاريخ اليعقوبي : ١٤.

٤) أنظر تذكرة الخواص : ١١.

٥) أنظر ترجمته في : أسد الغابة ٤ : ٧٠ ـ ٧٣ ، الطبقات الكبرى ٤ : ٣١ ، سير اعلام النبلاء ١ : ٢١٨ ، تهذيب التهذيب ٧ : ٢٢٦ ، تذكرة الخواص : ١١.

قال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « إنِّي أحبُّك حبَّين ، حبَّاً لقرابتك ، وحبَّاً لما كنتُ أعلم من حبِّ عمِّي إيَّاك » (١) .

وكان عقيل ممَّن خرج مع المشركين إلى بدر مكرهاً ، فأُسر يومئذٍ ولم يكن له مال؛ ففداه عمُّه العبَّاس.

ثمَّ أتى مسلماً يوم الحديبية ، وهاجر إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم سنة ثمانٍ ، وشهد غزوة مؤتة.

قال الواقدي : « أصاب عقيل يوم مؤتة خاتماً عليه تماثيل ، فنفله إيَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان في يده » (٢) .

وكان سريع الجواب المسكت للخصم ، وله فيه أشياء حسنة يطول ذكرها ، وكان أعلم قريش بالنسب ، وأعلمهم بأيَّامها ، ولكنَّه كان مبغَّضاً إليهم ، لأنَّه كان يَعدُّ مساوئهم.

وكان على رأس ثلاثة اعتمدهم عمر بن الخطَّاب في تثبيت أسماء العرب وأنسابهم في الديوان الذي أقامه ، ويعدُّ هذا الديوان أوَّل كتاب في الأنساب يكتبه المسلمون ، وقد كان عقيل رأساً فيه.

وكانت له طنفسة ـ بساط ـ تطرح له في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويجتمع الناس إليه في علم النسب وأيَّام العرب ، وكان يكثر ذكر مثالب قريش ، فعادوه لذلك ، وقالوا فيه بالباطل ، ونسبوه إلى الحمق ، واختلقوا عليه أحاديث مزوَّرة.

وكان ممَّا أعانهم عليه مفارقته أخاه عليَّاً عليه السلام ، ومسيره إلى معاوية

---

١) تذكرة الخواص : ١٢.

٢) تذكرة الخواص : ١١.

بالشام ، فقيل : « إنَّ معاوية قال له يوماً : هذا أبو يزيد ، لولا علمه بأنِّي خير له من أخيه ، لما أقام عندنا ، فقال عقيل : أخي خير لي في ديني ، وأنت خير لي في دنياي ، وقد آثرت دُنياي ، وأسأل الله خاتمة خيرٍ بمنِّه » (١) .

وكانت زوجته فاطمة بنت عُتبة بن ربيعة خالة معاوية ، وعاش عقيل إلى سنة خمسين من الهجرة وتوفِّي بعدما ذهب بصره.

ومن أولاده : يزيد ، وبه كان يكنَّى ، وسعيد ، وأمُّهما أمُّ سعيد بنت عمرو من بني صعصعة.

وجعفر الأكبر وأبو سعيد ـ وهو اسمه ـ وأمُّهما أمُّ البنين كلابية.

ومسلم وهو الذي بعثه الحسين عليه السلام إلى الكوفة وبها استشهد وقبره هناك يزار.

وعبدالرحمن وعلي وجعفر وحمزة ومحمد ورملة وأم هاني وفاطمة وأم القاسم وزينب وأم النعمان وجعفر الأصغر ، أولاد لأمَّهات شتَّى.

٣ ـ جعفر (٢) : وهو المعروف بـ (جعفر الطيَّار) فقد كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلقاً وخُلُقاً (٣) ، أسلم بعد إسلام أخيه عليٍّ بقليل.

وكان لجعفر من الولد عبدالله ، وبه كان يُكنَّى ، وله العقب من ولد جعفر ، ومحمَّد وعون لا عقب لهما ، وُلدوا جميعاً لجعفر بأرض الحبشة في المهاجرة إليها ، وأمُّهم أسماء بنت عُميس بن معبد بن تيم.

---

١) أنظر أُسد الغابة ٤ : ٧١.

٢) أنظر في ترجمته : الطبقات الكبرى ٤ : ٢٥ ، أسد الغابة ١ : ٤٢١.

٣) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجعفر : « أشبه خَلقُك خلقي وأشبه خُلُقك خُلقي فأنت منِّي ومن شجرتي » ذكرها ابن سعد في الطبقات الكبرى ٤ : ٢٦.

وقد كان من السابقين الأوَّلين إلى الإسلام.. فقد روي أنَّ أبا طالب رأى النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليَّاً عليه السلام يصلِّيان ، وعليٌّ عن يمينه ، فقال لجعفر رضي الله عنه : « صِلْ جناح ابن عمّك ، وصَلّ عن يساره » (١) .

وقيل : أسلم بعد واحد وثلاثين إنساناً ، وكان هو الثاني والثلاثين ، قاله ابن إسحاق ، وله هجرتان : هجرة إلى الحبشة ، وهجرة إلى المدينة..

وكان رسول الله يسمّيه : أبا المساكين... ولمَّا هاجر إلى الحبشة أقام بها عند النجاشي ، إلى أن قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين فتح خيبر ، فتلقَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعتنقه ، وقبَّل بين عينيه ، وقال : « ما أدري بأيِّهما أنا أشدُّ فرحاً؛ بقدوم جعفر ، أم بفتح خيبر » ؟ وأنزله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جنب المسجد (٢) .

٤ ـ أمُّ هاني : قال ابن سعد : « اسمها جعدة ، وقيل : فاخته ، وقيل : هند ، وهي التي أجارت زوجها وقوماً من المشركين يوم فتح مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قد أجرنا من أجرت ».. وهاجرت إلى المدينة » (٣) .

٥ ـ جُمانة : تزوَّجها أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطَّلب ، وهاجرت إلى المدينة ، وتوفِّيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

وذكر ابن سعد لأبي طالب ابنة أُخرى وقال : اسمها ريطة وقيل : أسماء ، وذكر أيضاً لأبي طالب أبناً آخر ، وقال : اسمه : طليق ، واسم أمّه وعلة ، والله أعلم بالصواب (٤) .

---

١) و ٢) أُسد الغابة ١ : ٤٢١.

٣) أنظر : تذكرة الخواص ١٢ ، بتصرف.

٤) أنظر تذكرة الخواص : ١٣ ، بتصرف.

وليد الكعبة :

من العجائب التي أضافت صوتاً ضارباً في التاريخ وأحداثه الفريدة التي تفتح الأعين على ما تخفيه من أسرار ، أن يصطفي الله لعبد اصطفاه ، حتى موضع مولده ، ليجمع له ـ مع طهارة مولده ـ شرف المحل ، محل الولادة ، ويخصّه بمكرمةٍ ميَّزه بها منذ ساعة مولده عن سائر البشر.

هكذا كان مولد عليٍّ بن أبي طالب سلام الله عليه ، في البيت العتيق في الكعبة الشريفة.

وكان ذلك يوم الجمعة ، الثالث عشر من شهر الله الأصمّ رجب ، بعد عام الفيل بثلاثين سنة (١) . قبل البعثة بعشر سنين (٢) . حوالي عام ٦٠٠ م (٢٣ قبل الهجرة) ، وقيل : « ولد سنة ثمان وعشرين من عام الفيل » (٣) .

ولعلّه في مثل هذا اليوم الذي وُلِد فيه أمير المؤمنين ، قد وُلِد الألوف من البشر ، لكنَّ ولادته مثَّلت حدثاً عجيباً تجلَّت به الأسرار ، وتلبَّست بالحكمة الربَّانية.

كانت مثاراً للدهشة الأبدية ، فقد وضعت فاطمة وليدها في البيت العتيق! في مكان عبادة لا ولادة ، أليس ذلك بالشيء العظيم ؟!

ويسجل التاريخ ذاك الفخر الذي ظهر فيه عليٌّ عليه السلام مديراً ظهره للأصنام التي كانت الكعبة الشريفة تضجُّ بها ، وعن قريب سينهض هذا

---

١) أنظر إعلام الورى ١ : ٣٠٦ ، إرشاد المفيد ١ : ٥ ، عليٌّ وليد الكعبة | الأوردبادي : ٣ منشورات مكتبة الرضوي ، كشف الغمَّة | العلاَّمة المحقِّق الأربلي ١ : ٥.

٢) الإصابة | ابن حجر ٢ : ٥٠٧.

٣) كشف الغمَّة ١ : ٥٩.

الوليد على كتف رسول الله ليلقي بها أرضاً ، تحت بطون الأقدام!!

تلك ولادة أكرمه الله بها ، فشاركته أمُّه الكريمة في فخرها..

إنَّ أُمَّه فاطمة بنت أسد لمَّا ضربها الطلق ، جاءت متعلِّقة بأستار الكعبة الشريفة ، من شدة المخاض ، مستجيرة بالله وَجِلةً ، خشية أن يراها أحد من الذين اعتادوا الاجتماع في أُمسياتهم في أروقة البيت أو في داخله ، فانحازت ناحية وتوارت عن العيون خلف أستار البيت ، واهِنةً مرتعشة أضنتها آلام المخاض؛ فألصقت نفسها بجدار الكعبة وأخذت تقول :

« يا ربِّ ، إنِّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب ، وإنِّي مصدِّقة بكلام جدِّي إبراهيم وأنَّه بنى البيت العتيق ، فبحقِّ الذي بنى هذا البيت وبحقِّ المولود الذي في بطني الا ما يسرت عليَّ ولادتي ».

قال يزيد بن قعنب : فرأيت البيت قد انشقَّ عن ظهره ، ودخلت فاطمة فيه ، وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله ، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح ، فعلمنا أنَّ ذلك من أمر الله تعالى ، ثُمَّ خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام (١) .

وهو حديث جدير كذلك أن يخلّده الشعراء :

أنشد الحميري (ت ١٧٣ هـ) :

وَلدَتْهُ في حرم الإلـه وأمنـه * والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمـة * طابت وطاب وليدهـا والمولد

ما لُفَّ في خِرَقِ القوابِل مِثلُه * إلاّ ابـن آمنةَ النبـيِ محمّد

---

١) كشف الغمَّة ١ : ٦٠.

وله أيضاً في أمير المؤمنين عليه السلام :

طبتَ كهلاً وغلاماً * ورضيعاً وجنينا

ولدى الميثاق طيناً * يوم كان الخلقُ طينا

وببطن البيت مولوداً * وفي الرمل دفينا [1]

وقال عبدالباقي العمري في عينيته الشهيرة :

أنت العليّ الذي فوق العُلى رُفعا * ببطن مكة عند البيت إذ وُضعا

وعقّب عليه أبو الثناء الآلوسي في شرحه هذه القصيدة ـ شرح عينية عبدالباقي العمري ـ ما نصه : « وفي كون الأمير كرّم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا ، وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة... ولم يشتهر وضع غيره كرّم الله وجهه كما اشتهر وضعه ، بل لم تتفق الكلمة عليه ، وأحرى بإمام الأئمّة أن يكون وضعه في ما هو قبلة للمؤمنين ، سبحان من يصنع الأشياء ، وهو أحكم الحاكمين » (٢) .

صفته :

نشأ عليه السلام مكين البنيان ، شاباً وكهلاً ، حافظاً لتكوينه المكين حتى ناهز الستين من عمره الشريف ، كان قوي البنية ، ممتلىء الجسم ، كثير الشعر ، ربعة في الرجال لا هو بالطويل ولا بالقصير ، عريض المنكبين ، له مشاش كمشاش السبع الضاري ، يغلظ من أعضائه ما استغلظ من أعضاء الأسد ويدقُّ منها ما استدقَّ..

---

١) علي وليد الكعبة | الأوردبادي : ١١ ط النجف الأشرف.

٢) علي وليد الكعبة : ٣.

هذا وتدلُّ أخباره ـ كما تدلُّ صفاته ـ على قوَّة جسدية ، فربَّما رفع فارساً بيده فجلد به الأرض غير جاهد

، وما صارع أحداً الا وصرعه..

يتكفَّأ في مشيته على نحو ما يقارب مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي جعله أُسوته وقدوته منذ أن نشأ وحتَّى مات.

وذكر بعضهم أنَّه كان آدمَ ـ أي أسمر ـ شديد الأدمة ، عظيم العينين غليظ الساعدين أقرب إلى القصر من الطول ، عريض اللحية..

ولم يصفه أحد بالخضاب ، سوى سواد بن حنظلة ، قال ابن سعد : والصحيح أنَّه لم يخضب ، وروي أنَّه كان يصفِّر لحيته بالحنَّاء ثُمَّ ترك (١) .

أسماؤه وألقابه :

كثيرة أسماؤه وألقابه عليه السلام ومختلف في بعضها بين العلماء ، فقال مجاهد : « إنَّ أُمَّه سمَّته عليَّاً عند ولادته.

وقال عطاء : إنَّما سمَّته أُمُّه حيدرة ، بدليل قوله يوم خيبر : « أنا الذي سمَّتني أمِّي حيدرة » ، فلمَّا علا على كتفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكسَّر الأصنام سُمِّي عليَّاً من العلو والرفعة والشرف » (٢) .

وليس هذا بالمعتمد ، فقد عُرف باسم « عليٍّ » منذ الصغر.

وعن ابن عبَّاس : « كانت أُمُّه إذا دخلت على هُبل لتسجد له وهي حامل به على بطنها فيتقوَّس فيمنعها من السجود فسُمِّي عليَّاً » (٣) . ولايصحُّ؛ لأنَّ أُمَّه فاطمة بنت أسد كانت تتعبَّد على ملَّة إبراهيم الخليل ،

---

١) أنظر : الطبقات الكبرى ٣ : ١٨ ـ ١٩ ، تذكرة الخواص : ١٧.

٢) و٣) تذكرة الخواص : ٣ ـ ٤.

كما ذكرنا ذلك سابقاً.

وقال سبط ابن الجوزي : « وقول مجاهد أظهر؛ لأنَّه ثبت المستفيض بهِ ، ولايمنعها من تسميته عليَّاً

أن تسمّيه حيدرة ، لأنَّ حيدرة اسم من أسامي الأسد لغلظ عنقه وذراعه ، وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام ، فيكون عليٌّ اسمه الأصلي ، وحيدرة وصفاً له » (١) .

وعنه أيضاً : « وقد سمَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ذا القرنين » ذكر ذلك بإسناده المتَّصل إلى سلمة بن الطفيل ، عن عليٍّ عليه السلام ، قال : « قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنَّ لك في الجنَّة قصراً ، وإنَّك ذو قرنيها » » (٢) .

قال : « وهذا حديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ، وأخرجه أحمد أيضاً في كتاب جمع فيه فضائل أمير المؤمنين ، ورواه النسائي مسنداً ».

وقد عُرف عليه السلام بألقاب كثيرة ، جاء كثير منها في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها : « يعسوب المؤمنين » وأصل اليعسوب هو ملك النحل ، ومنه قيل للسيِّد : يعسوب ، والمؤمنون يتشبَّهون بالنحل؛ لأنَّ النحل تأكل طيباً.

ويلقَّب أيضاً : الولي ، والوصي ، والتقي ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، وشبيه هارون ، وصاحب اللوى ، وخاصف النعل ، وكاشف الكرب ، وأبو الريحانتين ، وبيضة البلد ، وغيرها كثير (٣) .

وكنَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي تراب لمَّا رآه ساجداً معفِّراً وجهه في التراب ، فكان ذلك من أحبِّ ألقابه إليه.

---

١) و٢) تذكرة الخواص : ٤.

٣) نفس المصدر.

وجاء في سبب تسميته ـ كما نقله ابن إسحاق عن عمَّار بن ياسر ـ أنَّه قال : كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة ، فلمَّا نزلها رسول الله وأقام بها ، رأينا ناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم ، فقال لي عليٌّ عليه السلام : « يا أبا اليقظان ، هل لك في أن نأتي هؤلاء القوم لننظر كيف يعملون! » قلت : إن شئت ، فجئناهم ونظرنا إلى عملهم ساعة ثُمَّ غشينا النوم ، فانطلقت أنا وعليٌّ

واضطجعنا في صور من النخل على التراب اللين ونمنا ، والله ما أيقظنا الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُحرِّكنا برجله ، وقد تترَّبنا من تلك البقعة التي نمنا فيها ، ففي ذلك اليوم قال الرسول لعليٍّ عليه السلام : « ما لك يا أبا تراب »! (١).

رواه أيضاً ابن جرير الطبري (٢) في تاريخه ، ثُمَّ ذكر سبباً آخر في هذه التسمية ، خلاصته أنَّه قيل لسهل بن سعد الساعدي : إنَّ بعض أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك لتسبَّ عليَّ بن أبي طالب على المنبر ، وتقول له : يا أبا تراب ، قال : والله ما سمَّاه بذلك الا رسول الله. قلت : وكيف ذاك ؟ قال : دخل عليٌّ عليه السلام على فاطمة الزهراء ، ثُمَّ خرج من الدار ، وذهب إلى المسجد واضطجع في فيئه ، ثُمَّ دخل رسول الله على فاطمة وسألها عن عليٍّ عليه السلام ، فقالت له : « هو ذاك مضطجع في المسجد » ، فجاءه رسول الله فوجده وقد سقط رداؤه عن ظهره؛ فقال له : « اجلس أبا تراب » فوالله ما سمَّاه بذلك إلا رسول الله ، وكان أحبَّ أسمائه إليه.

---

١) سير اعلام النبلاء ١ : ٢٩٨.

٢) تاريخ الطبري ٢ : ١٢٣ بتصرف.

وأخرجه أحمد بن حنبل من وجه آخر ، قال : حدَّثنا ابن نمير ، عن عبدالملك الكندي ، عن أبي حازم ، قال : جاء رجل إلى سهل بن سعد؛ فقال : هذا فلان يذكر علي بن أبي طالب عند المنبر ، فقال : ما يقول ؟ قال : يقول : أبو تراب ، ويلعن أبا تراب ، فغضب سهل وقال : والله ما كنَّاه به الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كان اسم أحبَّ إليه منه.

وقال الزهري : والذي سبَّ عليَّاً في تلك الحالة مروان بن الحكم؛ لأنَّه كان أميراً في المدينة من قبل معاوية ، وذكر ذلك الحاكم أبو عبدالله النيسابوري أيضاً (١) .

ولقَّبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً بأمير المؤمنين ، حتَّى قال فيه : « سلِّموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين » (٢) .

ومن ألقابه (٣) أيضاً : المرتضى ، ونفس الرسول ، وأخوه ، وزوج البتول ، وسيف الله المسلول ،

وأمير البررة ، وقاتل الفجرة ، وقسيم النار ، وصاحب اللواء ، وسيِّد العرب ، وكشَّاف الكرب ، والصدِّيق الأكبر ، والهادي ، والفاروق ، والداعي ، والشاهد ، وباب المدينة ـ أي مدينة العلم ـ وغرَّة المهاجرين ، والكرَّار غير الفرَّار ، والفقَّار ، وبيضة البلد.

واجتمعت في عليٍّ بن أبي طالب خلاصة الصفات التي اشتهرت بها أُسرته الهاشمية من النبل والشجاعة.. وممَّا قاله القائلون عن شجاعته : إنَّه

---

١) تذكرة الخواص : ٥.

٢) أنظر : ارشاد المفيد ١ : ٤٨.

٣) للمزيد أنظر : المناقب | الخوارزمي ٤٠ ـ ٤٣ ط مؤسسة النشر الإسلامي.

ما عُرف عن بطل في العالم الا كان مغلوباً حيناً ، وغالباً حيناً ، الا عليٌّ عليه السلام فهو الغالب أبداً ودائماً ، ومن هنا كان العرب يفخرون بأنَّ قريبهم قُتل بسيف عليٍّ ، ويجعلون من هذا دليلاً على أنَّ صاحبهم بارز عليَّاً ، وهو الموت الذي لابدَّ منه.

وعُرف أيضاً بالمروءة والعلم والذكاء ، وقد كان يقول : « لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب » (١) . وهو أعلم أصحاب رسول الله قاطبة بلا منازع ، وفي هذا أحاديث كثيرة تشهد له ، ووقائع كثيرة تصدّقه.

نشأته :

كلُّ مولود يولد تتعاقبه وراثة الأجيال ، فيأخذ من الأب والأمِّ مايكوِّن به شخصيَّته النفسية والروحية والأخلاقية ، والإمام عليٌّ عليه السلام معروف النسب ، فهو ابن سادة العرب ، أهل المروءة والشجاعة والكرم ، توارثوا السيادة وخصالها أباً عن جدٍّ ، عن أبيهم إبراهيم خليل الرحمن.

كما هيَّأ الله سبحانه الأسباب لعليٍّ ليكون أكثر الناس قرباً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخصِّهم به.. بل ليكون النبيُّ أقرب إليه من أبيه وأخوته ، ففي الثامنة من عمر علي عليه السلام ـ وربما كان حوالي عام ٦٠٦ م ـ دخلت قريش أزمة شديدة طاحنة ، وسنة مجدبة منهكة ، شحَّت فيها موارد العيش

، وكان وقعها على أبي طالب شديداً ، إذ كان ذا عيال كثير وقلَّة من المال لا يفي

---

١) مناقب ابن شهرآشوب ٢ : ٤٣ ، ينابيع المودة | القندوزي : ٦٥.

بنفقة رجل مثله ، فعند ذاك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمَّيه الحمزة والعبَّاس : « ألا نحمل ثقل أبي طالب ، ونخفِّف عنه عياله ؟ »

فجاءوا إليه وسألوه أن يسلِّمهم ولِده ليكفوه أمرهم ، فقال لهم : دعوا لي عقيلاً وخُذوا من شئتم ، فأخذ العبَّاس طالباً ، وحمزة جعفراً ، وأخذ محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم عليَّاً عليه السلام (١) .

وانتقل عليٌّ عليه السلام وهو في مطلع صباه إلى كفيله محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ، فرُبِّي في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يفارقه ، وكانت فاطمة بنت أسد كالأُمِّ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك كانت خديجة بنت خويلد كالأُمِّ لعليٍّ عليه السلام.

فنشأ عليٌّ عليه السلام في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرعاه وينفق عليه ، فحاز بذلك من الشرف ما لم يحزه غيره.. فقد نشأ يستلهم من معلِّمه معالم الأخلاق والتربية الروحية والفكرية ، وكذا دقائق الحكمة والمعرفة ، حتَّى أدرك من الحقائق ما لم يدركه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد غيره ، حتى تطبّع بصفات كافله ، ولم تكن فيه صفة الا وهي مشدودة بصفات معلِّمه الأول والأخير ، وما من شيء أنكره قلب محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم الا وأنكره قلب عليٍّ عليه السلام ، وكان هذا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأدرك التلميذ من معلِّمه العظيم حقائق الكون ونواميس الطبيعة ، بل وأسرار الوجود ، وأصبح المثل الأعلى في جميع شمائله وأفعاله ، وتحلَّى بأعلى ذروة من ذرى الكمال الروحي والأخلاقي.

---

١) الكامل في التاريخ ١ : ٥٨٢.

ووصف عليه السلام تلك الأيام القيِّمة مبيّنا فضلها واختصاصه بها على من سواه ، فقال :

« وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد ، يضمُّني إلى صدره.. وكان يمضغُ الشيء ثُمَّ يُلقمنيه ، وما وجد لي كذبةً في قول ، ولا خطلة في فعل.. ولقد كنت أتَّبعه اتباع الفصيل أثر أمِّه ، يرفع لي في كلِّ يومٍ من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كلِّ سنة بحراء فأراه ، ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشمُّ ريح النبوَّة. ولقد سمعت رنَّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : يا رسول الله ما هذه الرَّنَّة ؟ فقال : هذا الشيطان قد أيِسَ من عبادَتِهِ. إنَّك تسمعُ ما أسمعُ ، وترى ما أرى ، إلاّ أنَّكَ لَسْت بِنَبِيٍّ ، ولكنَّكَ لَوزيرٌ وإنَّك لَعَلَى خيرٍ... » (١) .

---

١) نهج البلاغة | تحقيق صبحي الصالح الخطبة ١٩٢ بتصرف.

الفصل الثاني : علي عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد البعثة

المبحث الأول : بعد البعثة في مكة

١ ـ أوَّل الناس إسلاماً :

أجمعت الروايات على أنَّه لم يتقدّم من عليٍّ شرك أبداً ، ولم يسجد لصنم قط ، وتكرَّم وجهه منذ أول وهلة ، فلا طاف حول صنم ولا سجد له ، فكانت نفسه خالصة لله تعالى ، وكان عنواناً للشرف والاستقامة ، لقد صاحبته منذ الصبا صراحة الإيمان ، والثقة العالية بالنفس ، والشجاعة الضرورية لكل إرادة حقة ، فكان إيمانه هو الحاكم المطلق ، والمسيطر الأوحد على جميع حركاته وسكناته. فلا مجال لأن يتوهّم من عبارة أنه أول الناس اسلاماً كونه على خلاف ذلك قبل البعثة.

والحقُّ أنَّه كان أوفر الناس حظاً ، بل هو الاصطفاء بحق ، حيث منَّ الله عليه بصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ صباه حتَّى نشأ على يديه ، لم يفارقه في سلم أو حرب ، وفي حل أو سفر ، إلى أن لحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى وهو على ، صدر عليٍّ..

إنّه ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يغذِّيه معنوياً وروحياً ويؤدّبه ويعلّمه.

ثم أسلمت السيدة خديجة أم المؤمنين فكانت ، ثالثة أهل هذا البيت ، إنّها أجابت وأسرعت الاجابة ، فكان هؤلاء الثلاثة يعبدون الله على هذا الدين الجديد قبل أن يعرفه بعد أحد غيرهم.

ففي الصحيح : أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخرج إلى البيت الحرام ليصلِّي فيه ، فيصحبه عليٌّ وخديجة فيصلِّيان خلفه ، على مرأى من الناس ، ولم يكن على الأرض من يصلِّي تلك الصلاة غيرهم (١) .

وعن عفيف بن قيس ، قال : كنتُ جالساً مع العبَّاس بن عبدالمطَّلب رضي الله عنه بمكة قبل أن يظهر أمرُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء شاب فنظر إلى السماء حيث تحلَّقت الشمس ، ثم استقبلَ الكعبة فقام يصلي ، ثم جاء غلامٌ فقام عن يمينه ، ثم جاءت امرأةٌ فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، ثم رفع الشاب فرفعا ، ثم سجد الشاب فسجدا ، فقلت : يا عبَّاس ، أمر عظيم ، فقال العبَّاس : أمر عظيم ، فقال : أتدري من هذا الشاب ؟ هذا محمَّد بن عبدالله ـ ابن أخي ـ أتدري من هذا الغلام ؟ هذا علي بن أبي طالب ـ ابن أخي ـ أتدري من هذه المرأة ؟ هذه خديجة بنت خويلد. إنَّ ابن أخي هذا حدَّثني أنَّ ربَّه ربُّ السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه ، ولا والله ما على ظهر الأرض على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة ، قال عفيف : ليتني كنتُ رابعاً (٢) .

وبقي هؤلاء الثلاثة على هذا الدين ، يتكتمون من الناس أياماً طوالاً ، رجع في بعضها علي إلى أبيه بعد عودته من بعض الشعاب ، حيث كان يتعبَّد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ـ يا بني : ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟

---

١) المستدرك على الصحيحين | الحاكم النيسابوري ٣ : ٢٠١ ، ح٤٨٤٢ | ٤٤٠ ، دار الكتب العلمية.

٢) تاريخ الطبري ٢ : ٥٦ ـ ٥٧.

ـ أجاب : يا أبه! آمنت بالله وبرسوله وصلَّيتُ معه.

فقال أبوه : أمَا إنَّه لا يدعونا الا إلى الخير فالزمه (١) .

فكان علي أول من أسلم ، هكذا أثبت سائر أهل العلم ، وهذا ماتؤكّده الأحاديث النبوية الشريفة.

ففي كلام أهل العلم : قال اليعقوبي في تاريخه : « كان أول من أسلم : خديجة بنت خويلد من النساء ، وعليٌّ بن أبي طالب من الرجال ، ثُمَّ زيد بن حارثة ، ثُمَّ أبو ذرٍّ ، وقيل : أبو بكر قبل أبي ذرٍّ ، ثُمَّ عمرو بن عبسة السلمي ، ثُمَّ خالد بن سعيد بن العاص ، ثُمَّ سعد بن أبي وقَّاص ، ثُمَّ عتبة بن غزوان ، ثُمَّ خبَّاب بن الأرت ، ثُمَّ مصعب بن عمير » (٢) .

وممَّن قال بأنَّ علياً أولهم إسلاماً : ابن عبَّاس ، وأنس بن مالك ، وزيد ابن أرقم. رواه الترمذي ورواه

الطبراني عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وروي عن محمَّد بن كعب القرظي ، وقال بريدة : أولهم اسلاماً خديجة ، ثُمَّ عليٌّ عليه السلام وحكي مثله عن أبي ذرٍّ ، والمقداد وخباب ، وجابر ، وأبي سعيد الخدري ، والحسن البصري وغيرهم (٣) : أنَّ علياً أول من أسلم بعد خديجة ، وفضّله هؤلاء على غيره (٤) .

وعن أنس بن مالك ، قال : « بعُث النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأثنين ، وأسلم عليٌّ

---

١) انظر الكامل في التاريخ ١ : ٥٨٣.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٣.

٣) انظر شذرات الذهب | ابن طولون : ٤٨ ـ ٤٩.

٤) أسد الغابة ٤ : ١٠٣.

يوم الثلاثاء » (١) .

وجاء في خبر محمَّد بن المنذر ، وربيع بن أبي عبدالرحمن ، وأبي حازم المدني والكلبي : أوَّل من أسلم عليٌّ.

قال الكلبي : كان عمره تسع سنين ، وكذا قول الحسن بن زيد بن الحسن ، وقيل : إحدى عشرة سنة ، وقيل غير ذلك (٢) .

وقال ابن اسحاق : « أول من أسلم علي وعمره إحدى عشرة سنة » (٣) ؟.

ومن قال : « أسلم عليٌّ وهو ابن عشر سنين » مجاهد برواية يونس عن ابن اسحاق ، عن عبدالله بن أبي نجيح (٤) .

وقال عروة : أسلم وهو ابن ثمان ، وقال المغيرة : أسلم وله أربع عشرة سنة ، رواه جرير عنه (٥) .

وعن سعد بن أبي وقَّاص ، وقد سمع رجلاً يشتم أمير المؤمنين عليه السلام فوقف عليه وقرَّره بقوله : يا هذا ، علامَ تشتم عليَّ بن أبي طالب ؟ ألم يكن أول من أسلم ؟ ألم يكن أول من صلَّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ألم يكن أعلم الناس ؟...إلى آخره (٦) .

١) أسد الغابة ٤ : ١٠٢ ، ينابيع المودَّة ٢ : ٦٨.

٢) انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٣ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

٣) الكامل في التاريخ ٢ : ٥٨٢.

٤) انظرها في أسد الغابة ٤ : ١٠١.

٥) سير أعلام النبلاء (سيرة الخلفاء الراشدين) : ٢٢٧.

٦) مستدرك الحاكم ٣ : ٥٠٠ ، وصحَّحه هو والذهبي ، وحياة الصحابة ٢ : ٥١٤ ـ ٥١٥.

قال الشيخ المفيد : « والأخبار في كونه أول من اسلم كثيرة وشواهدها جمَّة ، فمن ذلك : قول خُزيمة بن ثابت الأنصاري ذي الشهادتين ؛ رحمه الله فيما أخبرني به أبو عبيدالله محمَّد بن عمران المرزباني ، عن محمَّد بن العباس ، قال : أنشدنا محمَّد بن يزيد النحوي ، عن ابن عائشة لخزيمة بن ثابت رضي الله عنه :

ما كنت أحسب هـذا الأمر منصرفاً * عن هاشـم ثُمَّ منها عن أبي حسنِ

أليس أول من صلَّـى لقبلتهـم * وأعرف الناس بالآثار والسننِ » [1]

أما الأحاديث النبوية الشريفة فإنَّ الواحد منها يكفي هنا لقطع النزاع وردّ أيّ ادعاء في تقديم أحد على عليّ عليه السلام في إسلامه ، والحق أن معظم الذين أدعوا أسبقية أبي بكر لم يقولوا بأنه أسلم قبل علي أو خديجة أو زيد بن حارثة ، بل وضعوا تصنيفاً من عند أنفسهم يجعل لأبي بكر أولوية بحسب هذا التصنيف ، فقالوا : أول من أسلم من النساء خديجة ، ومن الصبيان علي ، ومن الموالي زيد ، ومن العبيد بلال ، ومن الرجال أبو بكر (٢) ! هذا مع أن أبا ذر ـ على الأقل ـ كان قد سبق أبا بكر ، وكان رابعاً.

ولنقف الآن على بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي قطعت كل نزاع وردّت كل ادعاء :

فمما ورد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بسند صحيح قوله : « أوَّلكم وروداً عليَّ الحوض

، أوَّلكم إسلاماً عليُّ بن أبي طالب » (٣) .

---

١) الارشاد ١ : ٣٢.

٢) انظر : البداية والنهاية ٧ : ٢٢٣.

٣) الاستيعاب|ابن عبدالبرالقرطبي٣ : ٢٨ ، مطبوع بهامش الإصابة سنة ١٣٢٨هـ.ق ، دارالمعارف ، مصر ،

=

وعن سلمان الفارسي : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أول هذه الأُمَّة وروداً على نبيِّها أولها اسلاماً عليٌّ بن أبي طالب ». رواه الدَبَري عن عبدالرزاق ، عن الثوري ، عن قيس بن مسلم ، قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله ثقات (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة الزهراء عليها السلام ، كما رواه أنس : « قد زوَّجتك أعظمهم حلماً ، وأقدمهم سلماً ، وأكثرهم علماً ». وروى نحوه جابر الجعفي وغيره (٢) .

وقال أبو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعليٍّ عليه السلام : « أنت أول من آمن بي ، وأنت أول من يصافحني يوم القيامة ، وأنت الصدِّيق الأكبر ، وأنت الفاروق تفرِّق بين الحقِّ والباطل ، وأنت يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكافرين » (٣) .

وأخيراً فقد كان علي عليه السلام يصرِّح في كثير من المناسبات بذلك ، فيقول عن نفسه : « أنا عبدالله وأخو رسوله ، وأنا الصدِّيق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر ، ولقد صلَّيت قبل الناس سبع سنين » (٤) .

=

تاريخ بغداد | الخطيب البغدادي٢ : ٨١ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣٦ ط سنة ١٣٤٢هـ الهند وصحَّحه ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٣ : ٢٩٩ ، وعنه : أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد باب إسلامه رضي الله عنه ٩ : ١٠٢.

١) انظر أسد الغابة ٤ : ١٠٣.

٢) سير أعلام النبلاء (سيرة الخلفاء الراشدين) : ٢٣٠.

٣) إعلام الورى ١ : ٣٦٠.

٤) سنن بن ماجة ١ : ٤٤|١٢٠ ، الخصائص | النسائي : ٣ ، المستدرك على الصحيحين ٣ : ١١٢.

ويقول عليه السلام : « أنا الصدّيق الأكبر ، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر » (١) .

وأمّا أبو بكر ، فقد أخرج الطبري في تاريخه بسندٍ صحيح أنه أسلم بعد خمسين رجلاً ، وهذا نصّ روايته : « حدّثنا ابن حُميد ، قال حدّثنا كنانة بن جبلة ، عن إبراهيم بن طَهمان ، عن الحجّاج بن الحجّاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي سالم بن أبي الجَعْد ، عن محمد بن سعد ، قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أوَّلكم إسلاماً ؟ فقال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين » (٢) .

٢ ـ الدعوة الخاصة :

عليٌّ يوم الإنذار الأول :

بُعثَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يضع في حسابه أنَّ دعوته ستجابه بالرفض والتحدِّي دون أدنى شكٍّ ، فعرب الجاهلية تشرَّبت قلوبهم بعبادة الأوثان ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تشغله هموم التبليغ ، وخاصة انَّه كان يتمنَّى أن يسارع في الاستجابة له أهله وعشيرته ، وكلُّ من يتَّصل به بنسب أو سبب ، لأنَّهم آله وعشيرته الذين يشكِّلون قوة مكينة ، لمكانتهم المرموقة في داخل مكَّة وخارجها ، فسيعود عليه إسلامهم بالنصر حتماً ، فيصبح مرهوب الجانب وفي منعةٍ من الأعداء الألدَّاء ، وهذه وسيلة متينة لتثبيت دعائم دعوته.

ومع كلِّ تمنِّياته تلك كان يخشى أيضاً أن يرفضوا دعوته إذا دعاهم

١) ترجمة الامام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ١ : ٦٢|٨٨.

٢) تاريخ الطبري ٢ : ٣١٦.

لدين التوحيد ، فينضمُّوا إلى غيرهم من الأعداء والمكذِّبين والمستهزئين ببعثته صلوات الله وسلامه عليه..

في تلك اللحظات الحاسمة دوّى صوت جبرئيل ليملأ أُذني النبي بالنذارة ، مبلِّغاً عن الله عزَّ اسمه قوله : (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاَقْرَبِينَ* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُون) (١) . ألقاها على عاتقه الشريف ، وليس له مناصر ومعين غير نفر قليل مستخفّين بإيمانهم ، وكان هذا الحدث بعد مبعثه الشريف بثلاث سنين.

قال جعفر بن عبدالله بن أبي الحكم : « لمَّا أنزل الله على رسوله (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاَقْرَبِين) اشتدَّ ذلك عليه وضاق به ذرعاً ، فجلس في بيته كالمريض ، فأتته عمَّاته يعُدنه ، فقال : « ما اشتكيتُ شيئاً ، ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين » » (٢) ..

بعد ذلك عزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امتثالاً لأوامر الله تعالى على إنذار آله وعشيرته ودعوتهم إلى الله ، فجمع بني عبدالمطلب في دار أبي طالب ، وكانوا أربعين رجلاً ـ يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً ـ وكان قد قال لعلي عليه السلام : « اصنع لي صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن » ، قال علي عليه السلام وهو ينقل هذا الحديث واصفاً قومه : « وإنَّ منهم

---

١) سورة الشعراء : ٢١٤.

٢) الكامل في التاريخ ١ : ٥٨٤.

من يأكل الجذعة ويشرب الفرق » (١) ، وأراد عليه السلام بإعداد قليل من الطعام والشراب لجماعتهم إظهار الآية لهم في شبعهم وريِّهم ممَّا كان لا يشبع الواحد منهم ولا يرويه (٢) .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي ؟ » قالوا : بلى ، أنت عندنا غير متهم ، وما جرَّبنا عليك كذباً ، فقال : « أني نذير لكم من بين يدي عذاب شديد » فقطع كلامه عمه أبو لهب ، وقال : تباً لك ! ألهذا جمعتنا ؟! ثم عاد فجمعهم ثانية ،

فأعاد أبو لهب مثل قولته الاولى ، فتفرّقوا ، فأنزل الله تعالى عليه (تبت يدا أبي لهب وتب) (٣) الى آخر السورة المباركة.

ثم جمعهم مرَّةً أُخرى ليكلِّمهم ، وفيهم أعمامه : أبو طالب والحمزة والعبَّاس وأبو لهب ، وغيرهم من أعمامه وبني عمومته ، فأحضر عليٌّ عليه السلام لهم الطعام ووضعه بين أيديهم ، وكان بإمكان الرجل الواحد أن يأكله بكامله ، فتهامسوا وتبادلوا النظرات الساخرة من تلك المائدة التي لا تقوم حسب العادة لأكثر من رجلين أو ثلاثة رجال ، ثم مدُّوا أيديهم إليها وجعلوا يأكلون ، ولا يبدو عليها النقص حتَّى شبعوا ، وبقي من الطعام مايكفي لغيرهم.

فلمَّا أكلوا وشربوا قال لهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « يا بني عبدالمطَّلب ، والله

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٧.

٢) الإرشاد ١ : ٤٩.

٣) سورة المسد : ١.

ما أعلم شابَّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممَّا جئتكم به ، إنِّي جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه » ثمَّ عرض عليهم أصول الإسلام وقال : « فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر ، على أن يكون أخي ووصيِّي ، وخليفتي فيكم من بعدي » ؟.

فلم يجب أحد منهم ، فأعاد عليهم الحديث ثانياً وثالثاً ، وفي كلِّ مرَّةٍ لايجيبه أحد غير عليٍّ عليه السلام ، قال عليٌّ : ـ والرواية عنه ـ « فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت ـ وأنا لأحدثهم سناً ـ : أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ، ثُمَّ قال : إنَّ هذا أخي ، ووصيِّي ، وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ».

قال : « فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع » (١) . فقال أبو لهب : خذوا على يَدَي صاحبكم قبل أن يأخذ على يده غيركم ، فإن منعتموه قُتلتم ، وإن تركتموه ذللتم.

فقال أبو طالب : يا عورة ، والله لننصرنَّه ثُمَّ لنعينَّه ، يا ابن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربِّك فأعلمنا

حتَّى نخرج معك بالسلاح (٢) .

ومن بين جميع الأهل والأقارب كان محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم شديد الحزن والمرارة ، فقد كان وحيداً ، وكان يتمنَّى مناصرة قومه له على قوى الشرك المدجَّجة بالمال والسلاح ، لكنَّ عليّاً عليه السلام كان قوماً له رغم صغر سنه ،

---

١) تاريخ الطبري ٢ : ٢١٧ ، معالم التنزيل في التفسير والتأويل | البغوي ٤ : ٢٧٨ ، الكامل في التاريخ ١ : ٥٨٦ ، الترجمة من تاريخ ابن عساكر ١ : ١٠٠|١٣٧ و١٣٨ و١٣٩ ، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل| الحاكم الحسكاني الحنفي ـ تحقيق محمَّد باقر المحمودي ـ مؤسسة الأعلمي بيروت ١ : ٣٧٢ ـ ٣٧٣|٥١٤ و٤٢٠|٥٨٠ ، كنز العمَّال ١٣ : ١٣١|٣٦٤٦٩.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٧ ـ ٢٨.

وشاءت الأقدار أن ينصر أخاه بسلاحه « فأنا حربٌ على من حاربت » ، بهذه التلبية أثمر الاصطفاء ، وأُرسيت دعائم الإسلام فوق جماجم الشرك..

وهذا البيان الصريح في علي عليه السلام : « أخي ، ووصي ، وخليفتي من بعدي » لابد أن يجد من يبذل كل جهد للالتفاف عليه إما بالتغييب ، وإما بالتكذيب ، واما بالتأويل...

ذكر الشيخ محمَّد جواد مغنية في كتابه (فلسفة التوحيد والولاية) ـ بعد أن ذكر المصادر الأساسية لهذه الواقعة ـ : أنَّ من الذين رووا نصَّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم على عليٍّ عليه السلام بالخلافة ـ عندما دعا عشيرته وبلَّغهم رسالة ربِّه ـ : محمَّد حسين هيكل في الطبعة الأولى من كتابه (حياة محمَّد) ، ومحمَّد عبدالله عنان في كتابه (تاريخ الجمعيات) ، ولكنَّ هيكل ـ في الطبعة الثانية وما بعدها من الطبعات ـ قد مسخ الحديث المذكور وحرَّف منه كلمة « خليفتي من بعدي » في مقابل خمسمائة جنيه ، أخذها من جماعة ثمناً لهذا التحريف (١) .

أمَّا ابن كثير فقد ذكر القصَّة بتفاصيلها ـ ولكن بقصد تكذيبها ـ إلى أن قال : فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أيُّكم يؤازرني على هذا الأمر ، على أن يكون أخي » وكذا وكذا ؟.

قال عليٌّ ـ عليه السلام ـ : « فأحجم القوم جميعاً ، وقلت ـ وإنِّي لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً ،

وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً ـ : أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك

---

١) أنظر سيرة المصطفى ـ نظرة جديدة| هاشم معروف الحسني ، منشورات الشريف الرضي : ١٣٠ ، وكذا ذكره في كتابه سيرة الأئمة الاثني عشر ١ : ١٥٧ ، وأضاف قائلاً : بعد أن ساوموه على شراء ألف نسخة من الكتاب فوافق على ذلك ، ورواه في ط٢ وما بعدها بدون كلمة « خليفتي من بعدي ».

عليه ، فأخذ برقبتي ، فقال : إنَّ هذا أخي ـ وكذا وكذا ـ فاسمعوا له وأطيعوا »! (١).

ثم قال : « تفرّد به عبدالغفَّار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذَّاب شيعي ، اتهمه عليُّ بن المديني بوضع الحديث وضعَّفه الباقون » (٢) .

ثمَّ يضيف ـ في الصفحة ذاتها ـ قائلاً : « ولكن روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي ، عن عبدالله بن عبدالقدُّوس ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، وعن عبدالله بن الحارث قال : قال عليٌّ عليه السلام : « لمَّا نزلت هذه الآية : (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين) (٣) قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إصنع لي شاةً بصاع من طعام ، وإناء لبناً ، وادعُ لي بني هاشم ؛ فدعوتهم وإنَّهم يومئذٍ لأربعون غير رجل ، أو أربعون ورجل » فذكر القصَّة إلى قوله : « فبدرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلام ، فقال : أيُّكم يقضي عنِّي دَيني ، ويكون خليفتي في أهلي » ؟

فسكتوا وسكت العبَّاس ، خشية أن يحيط ذلك بماله ، وسكتُّ أنا لسنِّ العبَّاس.

ثمَّ قالها مرَّةً أُخرى ، فسكت العبَّاس ، فلمَّا رأيت ذلك ، قلت : أنا يا رسول الله.

قال : أنت ؟!

قال : وإنِّي يومئذٍ لأسوأهم هيئةً ، وإنِّي لأعمش العينين ، ضخم البطن ،

---

١) البداية والنهاية ٣ : ٤٠.

٢) نفس المصدر.

٣) الشعراء : ٢٦.

حمش الساقين! » » (١)

فلنتناول هذا الكلام من جميع وجوهه ، لنعرف أين محله :

١ ـ فأمَّا عبدالغفَّار بن القاسم أبو مريم ، الذي طعن عليه ، فقد وصفه ابن حجر العسقلاني ، فقال : كان ذا اعتناء بالعلم وبالرجال ـ قال ـ وقال شعبة : لم أرَ أحفظ منه ، وقال ابن عدي : سمعت ابن عقدة يثني علىأبي مريم ويطريه وتجاوز الحدَّ في مدحه ، حتى قال : لو ظهر على أبي مريم ما اجتمع الناس إلى شعبة.

أمَّا تضعيفهم له فإنَّما جاء من وصفه بالتشيُّع ، قال ابن حجر (٢) ـ في ترجمته ذاتها ـ : قال البخاري : عبدالغفَّار بن القاسم ليس بالقويِّ عندهم ، حدَّثنا أحمد بن صالح حدَّثنا محمَّد بن مرزوق ، حدَّثنا الحسين بن الحسن الفزاري ، عن عبدالغفَّار بن القاسم ، عن عَدي بن ثابت ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبَّاس ، قال حدَّثني بُريدة : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « عليٌّ مولى من كنت مولاه »!! ـ فمن هنا جاء طعنهم عليه.

٢ ـ وأمَّا قوله : إنَّ الحديث فيه عبدالغفَّار بن القاسم ، فقد ورد الحديث من طرق أُخرى ليس فيها عبدالغفَّار كما في (مسند أحمد) و(الخصائص) للنسائي ، و(تاريخ الطبري) و(تاريخ دمشق) و(شواهد التنزيل) (٣) .

---

١) نفس المصدر.

٢) لسان الميزان | ابن حجر ٤ : ٤٢ ط مؤسسة الأعلمي.

٣) أنظر : مسند أحمد ١ : ١٥٩ ، الخصائص : ١٨ ، تاريخ الطبري ٢ : ٢١٩ ، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق ١ : ٩٩|١٣٧ ، شواهد التنزيل ١ : ٤٢٠| ٥٨٠. وراجع منهج في الانتماء المذهبي| الأستاذ صائب عبدالحميد : ٨٠ ـ ٨٣.

٣ ـ شعب أبي طالب :

اتخذت قريش شتى الأساليب لردع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعه من المسلمين ، ولمَّا أنّ رأت أنّ الإسلام يفشو ويزيد ، اتفقوا بعد تفكير طويل على قتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وأجمع مَلَؤُها على ذلك ، وبلغ أبا طالب فقال :

والله لـن يصلـوا إليك بجمعهم * حتَّـى أُغيَّب في التراب دفينا

ودعوتنـي وزعمت أنَّك ناصِحٌ * ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينـاً

وعرضت دينـاً قد علمتُ بأنَّه * من خير أديان البرية دينا (١)

ولمَّا علمت أنَّها لا تقدر على قتله ، وأنَّ أبا طالب لا يسلّمه ، وسمعت بهذا من قول أبي طالب ، كتبت الصحيفة القاطعة الظالمة التي تنصُّ على مقاطعة بني هاشم واتباعهم وحصرهم في مكان واحد ، وقطع جميع وسائل العيش عنهم ، وألاّ يناكحوهم حتَّى يدفعوا إليهم محمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم فيقتلوه ، والا يموتوا جوعاً وعطشاً ، وختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً.

وكان الذي كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار ، فشلَّت يده (٢) وقيل. وقَّعها أربعون من زعماء مكَّة ، ثُمَّ علَّقوا الصحيفة في جوف الكعبة وحصروهم في شعب أبي طالب ست سنين (٣) ، وذلك في أول المحرم من السنة السابعة لمبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل : استمر نحواً

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١.

٢) و ٣) نفس المصدر.

من سنتين أو ثلاث (١) ، حتَّى أنفق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماله وأنفق أبو طالب ماله ،

وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها ، وصاروا إلى حدِّ الضرِّ والفاقة ، واشتدت بهم الضائقة ، حتى اضطرتهم إلى أكل الأعشاب وورق الأشجار ، ومع ذلك فلم يضع أبو طالب وولده علي عليه السلام وأخوه الحمزة شيئاً في حسابهم غير النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ورعايته ، حتَّى لا يتسلَّل أحد من المكِّيين ليلاً لاغتياله ، وكانت هذه الخاطرة لا تفارق أبا طالب في الليل والنهار.

جاء في تاريخ ابن كثير (٢) : أنَّ أبا طالب قد بلغ من حرصه على حياة محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه كان اذا أخذ الناس مضاجعهم في جوف الليل ، يأمر النبي أن يضطجع على فراشه مع النيّام ، فإذا غلبهم النوم أمر أحد بنيه أو اخوته فأضجعهم على فراش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمر الرسول أن يضطجع على فراشهم حرصاً منه عليه ، حتَّى لو قدِّر لأحد أن يتسلَّل إلى الشعب ليلاً لاغتياله يكون ولده فداءً لابن أخيه.

وفي رواية ابن أبي الحديد أنَّه قرأ في أمالي أبي جعفر محمَّد بن حبيب : أنَّ أبا طالب كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً يبكي ، ويقول : إذا رأيته ذكرت أخي عبدالله ، وكان عبدالله أخاه لأمِّه وأبيه.

وأضاف إلى ذلك أنَّه كثيراً ما كان يخاف عليه البيات ليلاً ، فكان يقيمه ليلاً من فراشه ويضجع ابنه علياً مكانه ، ومضى على ذلك أيام الحصار وغيرها ، وأحسَّ عليٌّ عليه السلام بالخطر على حياته ، ولكنَّه كان طيِّب النفس

---

١) الكامل في التأريخ ١ : ٦٠٤.

٢) البداية والنهاية ٣ : ٨٤ ، بتصرف.

بالموت في سبيل محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال لأبيه يوماً : « يا أبت أني مقتول » ، فأوصاه بالصبر ، وأنشد :

أصبرن يا بني فالصبر أحجى * كلُّ حيٍّ مصيره لشعوب [١]

قدّر الله والبلاء شديد * لفداء الحبيب وابن الحبيب

إن تصبك المنون فالنبل تبرى * فمصيب منهـا وغير مصيب

كلُّ شيءٍ وإن تملَّـى بعمـر * آخذ من مذاقهـا بنصيب [٢]

وهذه الأبيات تؤكِّد إيمانه العميق برسالة محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم واستعداده لأن يضحّي بولده في سبيلها ، ولقد أجابه ولده أمير المؤمنين عليه السلام بأبيات يرويها شارح النهج عنه تحمل نفس الروح التي كان يحملها أبوه ، حيث يرى أنَّ وجوده وحياته متمِّمان لحياة محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته ، لذلك لم يكن غريباً عليه أن يضحّي ويبذل حتى نفسه ليسلم محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم لرسالته ، تلك التّضحية التي لم يعرف التاريخ أروع وأجمل منها.

يقول عليه السلام :

أتأمرني بالصبر في نصـر أحمـد * ووالله ما قلت الـذي قلت جازعا

ولكنَّني أحببت أن تـرى نصرتـي * وتعلـم أنِّي لـم أزل لـك طائعا

سأسعى لوجه الله فـي نصـر أحمد * نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعا [٣]

فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره أنَّ الله سبحانه وتعالى أرسل على صحيفة المقاطعة دودة الأرضة أكلت ما فيها من ظلم وقطيعة

---

١) الشعوب : المنية.

٢) شرح نهج البلاغة ١٤ : ٦٤ بتصرف.

٣) نفس المصدر.

رحم ، وتركت ما فيها من أسماء الله تعالى. فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لعمّه أبي طالب وكلّ من في الشعب ، حتَّى صاروا إلى الكعبة الشريفة ، واجتمع الملأ من قريش من كلّ أوب فقالوا : قد آن

لك أن تذكر العهد وتدع « اللجاج في ابن أخيك »!

وقال لهم : إنَّ ابن أخي أخبرني أنَّ الله تعالى أرسل على صحيفتكم الأرضة ، فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم ، وتركت اسم الله تعالى ، فإن كان كاذباً سلَّمته إليكم لتقتلوه ، وعلمنا أنَّكم على حقٍّ ، ونحن على باطل ، وإن كان صادقاً علمتم أنَّكم ظالمون لنا ، قاطعون لأرحامنا. فقالوا : قد أنصفتنا.

وقاموا سراعاً وأحضروها وإذا الأمر كما قال أبو طالب ، فبهتوا ونكسوا رؤوسهم ثُمَّ قالوا : إنَّ هذا لسحر وبهتان!!

فقويت نفس أبي طالب واشتدَّ صوته ، وقال : « قد تبيَّن لكم أنَّكم أولى بالظلم والقطيعة » (١) .

٤ ـ مؤامرة قريش في دار الندوة :

ضاق الأمر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتراكمت عليه الأحداث بعد خروجه من محنة الحصار في شعب أبي طالب ، ولم تكن سوى أيام قلائل حتى توفِّي عمُّه أبو طالب ، ناصره ومعينه على أمره ، أقبلت قريش المذعورة على إيذائه بشتَّى الأساليب ـ بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله ـ فقد مات

---

١) الكامل في التاريخ ١ : ٦٠٦.

أبو طالب ، ولم يعد بمكَّة من تهابه قريش وترعى له حرمة.. فخرج صلوات الله عليه إلى الطائف ، وهذه أول رحلة قام بها من مكَّة للدعوة إلى الإسلام ، فعمد إلى ثقيف يطلب منها النصر ، لكنَّها رفضت أن تسمع له ، ولم تكتفِ بذلك ، بل أرسلت صبيانها يرشقوه بالحجارة ، حتى أُدميت قدماه الشريفتان ، كما أُصيب علي وزيد بن حارثة ، حيث كانا معه في تلك الرحلة ، وعليٌّ يتلقَّى الأحجار بيديه وصدره حتَّى أُثخن بالجراح ، فكان رسول الله يقول : « ما كنت أرفع قدماً ولا أضعها الا على حجر » (١)!

وبذلك قرَّروا الرجوع إلى مكَّة؛ فكلابها أهون من وحوش البراري! رجع يائساً من ثقيف وأحلافها ، واستطاع الدخول إلى مكَّة بإجارة المطعم بن عدي له.

وحينما خافت قريش أن يقوى ساعده ـ ويصبح له أنصاراً جدداً ، وحذروا من خروجه سيّما بعد أن أذن

لأصحابه بالهجرة إلى يثرب ـ اجتمعت في دار الندوة ، وتشاوروا في أمره وأعدُّوا العدَّة للقضاء عليه قبل فوات الأوان ، فقالوا : ليس له اليوم أحد ينصره وقد مات عمُّه!

وكان اجتماعهم هذا قبيل شهر ربيع الأول عام ٦٣٣ م ، عام الهجرة ، وبعد أن أعطى كلُّ واحد منهم رأيه ، قال أبو جهل : أرى أن نأخذ من كلِّ قبيلة فتىً نسيباً ونعطي كلَّ فتىً منهم سيفاً ، ثُمَّ يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه ، كي لا يتحمَّل قتله فرد ولا قبيلة وحدها ، بل يتفرق دمه في

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦.

القبائل كلِّها ، فلم يقدر آله وعشيرته على حرب قومهم جميعاً ، فيصعب الثأر له.. فتفرَّقوا على ذلك بعد أن اتَّفقوا على الليلة التي يهاجمونه فيها وهو في فراشه.

فأتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بمكيدة قريش وأحلافها ، كما تشير إلى ذلك الآية : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين) (١) .

ومكر الله في الآية يعني : أنَّه سبحانه قد فوَّت عليهم مكرهم وتخطيطهم بما أخبر به نبيَّه ، وبما أمره به من الخروج في تلك الليلة ، ومبيت علي عليه السلام على فراشه ليفوّت عليهم تدبيرهم الذي أجمعوا عليه.

ولما علم عليٌّ عليه السلام بتخطيط قريش لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى ، ورحَّب بالمبيت في فراشه فداءً له وللإسلام وقال له : « أو تَسْلَم أنت يارسول الله إن فديتك بنفسي » ؟ قال له صلى الله عليه وآله وسلم : « نعم ، بذلك وعدني ربِّي » فانشرح صدره لسلامة أخيه رسول الله.

وشاءت الأقدار أن يفتح عليُّ بن أبي طالب عليه السلام صفحةً مشرقةً من بطولاته لأنَّه تلميذ الرسالة الحقَّة وربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسليل بني هاشم ، وتقدّم مطمئن النفس ، رابط الجأش ، متَّشحاً ببرد الرسول الحضرمي ، ونام ثابت الفؤاد لا يخاف في الله لومة لائم.

وكان ذلك سبباً لنجاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحفظ دمه ، ولولا فداء أمير المؤمنين نفسه

للرسول لما تمَّ تبليغ الرسالة والصدع بأمر الله تعالى.

---

١) سورة الأنفال : ٣٠.

فلمَّا كانت العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه ، وودَّع رسول الله عليَّ ابن أبي طالب عليه السلام ، وأمره أن يؤدِّي ما عنده من وديعة وأمانة إلى أهلها ويلحق به.

وفي بعض الروايات : أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم خرج فأخذ حفنةً من تراب ، فجعله على رؤوسهم ، وهو يتلو هذه الآيات من (يسَ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) إلى قوله : (فَهُمْ لاَ يُبْصِرُون) (١) ثمَّ انصرف فلم يروه (٢) .

هكذا ، فإنّ القوم أحاطوا بالدار ، وهم من فتيان قريش الاشداء ، وجعلوا يرصدونه ليتأكَّدوا من وجوده ، فرأوا رجلاً قد نام في فراشه التحف ببرد له أخضر.

أمَّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد خرج في الثلث الأخير من الليل من الدار ، وكان قد اختبأ في مكان منها ، وانطلق جنوباً إلى غار ثور ، وكمن فيه ومعه أبو بكر ، فأقاما فيه ثلاثاً.

ولمَّا حان الوقت الذي عيَّنوه لهجومهم على الدار ، هجموا عليها ، فوثب عليٌّ عليه السلام من فراشه ، ففرُّوا بين يديه حين عرفوه..

وفي بعض الروايات أنَّهم قبل هجومهم عليه جعلوا يقذفونه بالحجارة وهو ساكن لا يتحرَّك ولا يبالي بما يصيبه من الأذى ، ثُمَّ هجموا عليه بسيوفهم وخالد بن الوليد في مقدمهم ، فوثب علي عليه السلام من فراشه وهمزه بيده ، ففرَّ خالد واستطاع علي عليه السلام أنَّ يأخذ السيف منه ، فشدَّ عليهم

---

١) سورة يس : ١ ـ ٩.

٢) الكامل في التاريخ ٢ : ٤.

وانهزموا أمامه إلى الخارج (١) .

وسأل الرهط عليّاً : أين ابن عمّك ؟

قال : « أمرتموه بالخروج فخرج عنكم » (٢) ، وقيل : إنَّه قال : « لا علم لي به » (٣) .

وأخرج اليعقوبي وابن الأثير وغيرهما : أنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى في تلك الليلة إلى جبرئيل وميكائيل أنِّي قضيت على أحدكما بالموت ، فأيّكما يواسي صاحبه ؟ فاختار الحياة كلاهما ، فأوحى الله إليهما : هلاَّ كنتما كعليِّ بن أبي طالب... آخيت بينه وبين محمَّد ، وجعلت عمر أحدهما أكثر من الآخر ، فاختار عليٌّ الموت وآثر محمَّداً بالبقاء وقام في مضجعه ، اهبطا فاحفظاه من عدوِّه. فهبط جبرئيل وميكائيل فقعد أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه يحرسانه من عدوِّه ، ويصرفان عنه الحجارة ، وجبريل يقول : بخ بخ لك يا ابن أبي طالب مَن مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سموات! (٤).

ولم يشرك أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المنقبة أحد من أهل الإسلام ، ولا اختصَّ بنظير لها على حال ، وفيه نزل قوله تعالى في هذه المناسبة : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَاد) (٥).

وعقَّب الأستاذ عبدالكريم الخطيب في كتابه (علي بن أبي طالب) -

---

١) أمالي الشيخ الطوسي : ٤٦٧|١٠٣١ ، بحار الأنوار ١٩ : ٦١ ـ ٦٢.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٩ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٠٣.

٣) الطبقات الكبرى ١ : ١١٠.

٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٩ ، أُسد الغابة ٤ : ١١٣.

٥) سورة البقرة : ٢٠٧ ، وذكرها الرازي في تفسيره أنَّها نزلت بشأن مبيت عليٍّ عليه السلام على فراش رسول الله.

على تضحيته عليه السلام ومبيته على فراش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليلة تآمرت قريش على قتله ـ بقوله : وهذا الذي كان من عليٍّ عليه السلام ليلة الهجرة ، إذا نظر إليه في مجرى الأحداث التي عرضت للإمام عليٍّ عليه السلام في حياته بعد تلك الليلة ، فإنَّه يرفع لعيني الناظر أمارات واضحة

، وإشارات دالّة على أنَّ هذا التدبير الذي كان في تلك الليلة لم يكن أمراً عارضاً بالإضافة إلى عليٍّ عليه السلام بل هو عن حكمة لها آثارها ومعقباتها ، فلنا أن نتساءل : أكان لإلباس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شخصيَّته لعليٍّ عليه السلام تلك الليلة ما يوحي بأنَّ هناك جامعة ، تجمع بين الرسول وعليٍّ أكثر من جامعة القرابة القريبة التي بينهما ؟ وهل لنا أن نستشفَّ من ذلك ، أنَّه اذا غاب شخص الرسول كان عليٌّ عليه السلام هو الشخصية المهيَّأة لأن تخلفه وتمثل شخصه وتقوم مقامه.

وأحسب أنَّنا لم نتعسَّف كثيراً حين نظرنا إلى عليٍّ عليه السلام وهو في برد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي مثوى منامه الذي اعتاد أن ينام فيه ، وقلنا : هذا خليفة رسول الله والقائم مقامه.

وأضاف : إنَّ هذا الذي كان من عليٍّ عليه السلام ليلة الهجرة ، في تحدِّيه لقريش هذا التحدِّي السافر ، وفي استخفافه بها ، وقيامه بينها ثلاثة أيام يغدو ويروح ، إنَّ ذلك لا تنساه قريش لعليٍّ عليه السلام أبداً ، ولولا أنَّها وجدت في قتله يومئذٍ إثارة فتنة تمزِّق وحدتها وتشتِّت شملها ، دون أن يكون في ذلك ما يبلغ بها غايتها في محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ، لقتلته وشفت ما بصدرها منه ، ولكنَّها تركته وانتظرت الأيام لتسوّي حسابها معه.

ألا يبدو من هذه الموافقات ، ما نستشفُّ منه أنَّ لعليٍّ بن أبي طالب

شأناً في رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودوراً في دعوة الإسلام ، ليس لأحد غيره من صحابة الرسول ؟ (١)

وأخرج الحاكم النيسابوري : أنَّ الإمام زين العابدين كان يقول : « إنَّ أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله عليُّ بن أبي طالب ، قال علي عند مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

وقيتُ بنفسي خيـر من وطـأ الحصى * ومن طاف بالبيت العتيـق وبالحجـر

رسـول إلــه خـاف أن يمكـروا بـه * فنجَّــاه ذو الطـول الإله من المكـر

وبـات رسـول الله فـي الغـار آمنـاً * موقـى وفـي حفـظ الإلـه وفي ستر

وبتُّ أراعيـهـم ولـم يتهموننـي * وقد وطنت نفسي على القتل والأسر » [٢]

٥ ـ عليٌّ والركب الفاطمي إلى المدينة :

بقي عليٌّ عليه السلام في مكَّة ثلاث ليال ، أدَّى خلالهنّ ـ بطل التأريخ ـ ما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ردِّ الأمانات والودائع التي كان يحتفظ بها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لأهل مكَّة ، ليلحق بعدها برسول الله..

في هذه الأثناء كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قد وصل إلى يثرب ، بعد أن قطعوا الجبال والأودية على مقربة من المدينة ـ على ساكنها السلام ـ قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لمن معه : « من يدلنا على الطريق إلى بني عمرو بن عوف » ؟ ولمَّا بلغ منازلهم نزل ضيفاً عليهم لإحدى عشرة أو لاثنتي عشرة ليلة خلت

---

١) عن سيرة الأئمة الاثني عشر ١ : ١٦٨ ـ ١٦٩ ، وأيضاً : علي سلطة الحق ٢٦ ـ ٢٧ ، الامام علي ١ : ٥٥ ـ ٥٦.

٢) المستدرك على الصحيحين ٣ : ٥.

من ربيع الأول ، وكان قد استقبله منهم نحو من خمسمائة (١) .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليٍّ عليه السلام مع أبي واقد الليثي ، يحثُّه بالمسير إليه بعد أداء ما أوصاه به ، ولمَّا وصله الكتاب تهيَّأ للخروج ، وردَّ كلَّ وديعةٍ إلى أهلها ، وأمر من كان قد بقي من ضعفاء المؤمنين أن يتسلَّلوا إلى ذي طول ليلاً..

وخرج هو بالركب الفاطمي : فاطمة بنت رسول الله ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطَّلب ، وفاطمة بنت حمزة ، وأم أيمن ، وأبو واقد الذي أخذ يسوق الرواحل سوقاً حثيثاً ، فقال له عليٌّ : « ارفق بالنسوة يا أبا واقد » ثُمَّ جعل يسوق بهنَّ ويقول :

ليس الا الله فارفع ظنَّكا * يكفيك ربُّ الخلق ما أهمَّكا

وكان يسير ليلاً ، ويكمن نهاراً وكان ماشياً غير راكب حتَّى تفطَّرت قدماه (٢) ، ولقد ظلَّ في رحلته تلك ليالٍ أربع عشرة (٣) ، يحوطهم من الاعداء ويكلؤهم من الخصماء ، فلمَّا قارب ضَجَنان أدركه الطلب وكانوا ثمانية فرسان ملثمين ، معهم مولى لحرب بن أُميَّة يُدعى : جناح ؛ فقال عليٌّ عليه السلام لأيمن وأبي واقد : « أنيخا الإبل واعقلاها » وتقدَّم هو فأنزل النسوة

---

١) و ٢) أنظر سيرة الأئمة الاثني عشر ١ : ١٧١.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤١ ، أُسد الغابة ٤ : ١٠٥ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٧.

٣) أنظر : عليٌّ سلطة الحقّ : ٢٣.

واستقبل القوم بسيفه ، فقالوا : أظننت يا غُدر أنَّك ناجٍ بالنسوة ؟! ارجع بهن لا أبا لك!! فقال : « فإن لم أفعل ؟! » ، فقالوا : لترجعنَّ راغماً!!

ودنوا من المطايا ، فحال عليٌّ عليه السلام بينهم ، وأهوى له جناح بسيفه ، فراغ عن ضربته ، وضرب جناحاً على عاتقه فقدَّه نصفين ، حتَّى وصل السيف إلى كتف فرسه ، ثُمَّ شدَّ على أصحابه ، وهو على قدميه وأنشد :

خلُّوا سبيل الجاهد المجاهد * آليت لا أعبد الا الواحد

فتفرَّق القوم عنه ، وقالوا : إحبس نفسك عنَّا يابن أبي طالب ، ثُمَّ قال لهم : « إنِّي منطلق إلى أخي وابن عمِّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن سرَّه أن أفري لحمه وأُريق دمه فليدنُ منِّي » ثُمَّ أقبل على أيمن وأبي واقد ، وقال لهما : أطلقا مطاياكما ، وسار الركب حتَّى نزل ضجنان ، فلبث بها يوماً وليلة حتَّى لحق به نفر من المستضعفين ، فلمَّا بزغ الفجر سار بهم حتَّى قدموا قباء (١) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد مكث فيها هذه المدة ، ولم يغادرها بعد إلى المدينة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ادعوا لي عليّاً » ، قيل : لا يقدر أن يمشي ، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واعتنقه وبكى ، رحمةً لما بقدميه من الورم ، وتفل في يديه وأمرَّهما على قدميه ، فلم يشتكهما بعدُ حتَّى قُتل (٢) .

---

١) سيرة الأئمة الاثني عشر ١ : ١٧١ ـ ١٧٢.

٢) الكامل في التاريخ ٢ : ٧.

المبحث الثاني : في المدينة المنوَّرة

المدخل :

في شهر ربيع الأول (١) ، وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ليباشر في وقت مبكر توطيد الأوضاع الجديدة فيها ، حيث سيعيش المهاجرون الجدد مع سكان المدينة الأصليين ، فكانت أولى الخطوات التي قام بها النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هي بناء المسجد ، الذي عمل فيه مع سائر أصحابه ، في جوٍّ مفعم بالمحبَّة والإيمان ، وهناك أثنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه ثناءً عامَّاً في لحمتهم وحماسهم ، وفي أجواء الحماس تلك كان عمّار بن ياسر يسابق غيره في العمل والبناء ، الأمر الذي شدَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكشف عن سرٍّ خطير ، ينتظر عمَّاراً وينتظره عمَّار ، ذلك قوله في تلك الأثناء : « ويهاً ابن سُميَّة تقتلك الفئة الباغية » (٢) ، هذه الكلمة التي ستكون لها دلالتها الكبيرة في مستقبل غير بعيد.

١ ـ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

من الأعمال التي قام بها رسول الله بعد بناء المسجد الشريف : المؤاخاة ولقد سبق منه صلى الله عليه وآله وسلم أن آخى بين المهاجرين بعضهم ببعض قبل الهجرة ،

---

١) يوم الاثنين لثمان ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول ، وقيل : لليلتين منه ، وقيل : آخر يوم الخميس ، لاثنتي عشرة ليلة خلت منه. انظر الطبقات الكبرى ١ : ١٨٠ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤١.

٢) الطبقات الكبرى ١ : ١٨٥.

وآخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة ، هكذا رواه الترمذي والبغوي والحاكم (١) وفي كلِّ مرَّة كان يقول لعليٍّ عليه السلام : « أنت أخي في الدنيا والآخرة ». ورواه أحمد في مسنده بنصِّ : « أنت

أخي وأنا أخوك » (٢) .

ورواه أصحاب السير والتاريخ من أمثال : ابن اسحاق ، وابن هشام ، وابن سعد ، وابن حجر العسقلاني ، وابن حبَّان ، وابن عبدالبرِّ ، وابن الأثير ، وابن أبي الحديد ، وابن كثير ، والسيوطي (٣) ، وغيرهم من أصحاب الجوامع (٤).

جاء في سيرة ابن إسحاق ، وسيرة ابن هشام : آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار فقال : « تآخوا في الله أخوين أخوين » ثُمَّ أخذ بيد

---

١) سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ٥ : ٦٣٦|٣٧٢٠ ، تحقيق أحمد محمَّد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، مصابيح السُنَّة| البغوي ٤ : ١٧٣|٤٧٦٩ ، تحقيق د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي ، ومحمَّد سليم سمارة ، وجمال حمدي الذهبي ، دار المعرفة ط١ ـ ١٤٠٧هـ ، المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٤.

٢) مسند أحمد ١ : ٢٣٠ ، دار الفكر بيروت.

٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٠٩ ، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ـ دار الجيل ـ بيروت ١٩٨٥م ، الطبقات الكبرى ٣ : ١٦ ، تهذيب الكمال ١٣ : ٣٠١ ، السيرة النبوية لابن حبَّان : ١٤٩ ، تصحيح الحافظ سيد عزيز بك وجماعة من العلماء ـ مؤسسة الكتب الثقافية ط١ ـ ١٤٠٧هـ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر النمري ـ بهامش الإصابة ٣ : ٣٥ ، ط١ ـ ١٣٢٨هـ دار إحياء التراث العربي ، أُسد الغابة ٢ : ٢٢١ ، ٤ : ١٦ ، ٢٩ ، عيون الأثر ، لابن سيد الناس : ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٣٥ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٨هـ.

٤) جامع الأصول| ابن الأثير الجزري ٩ : ٤٦٨|٦٤٧٥ ، دار إحياء التراث العربي ط٤ ـ ١٤٠٤هـ ، تحقيق محمَّد حامد الفقي ، مجمع الزوائد للهيثمي ٩ : ١١٢ ، دار الكتاب العربي ، ط٣ ـ ١٤٠٢هـ ، الصواعق المحرقة| ابن حجر الهيتمي : ١٢٢ ، تحقيق عبدالوهاب اللطيف ـ مكتبة القاهرة ، ط٢ ـ ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م ، كنز العمَّال ١١|٣٢٨٧٩.

عليِّ بن أبي طالب فقال : « هذا أخي » فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيِّد المرسلين وإمام المتَّقين ورسول ربِّ العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعليٌّ ابن أبي طالب رضي الله عنه أخوين (١) .

أمَّا ابن حجر العسقلاني فذكر حديث المؤاخاة بنصِّ : « لمَّا آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين

أصحابه قال له [لعليِّ بن أبي طالب] : « أنت أخي » (٢) .

وعن عباد بن عبدالله ، عن عليٍّ عليه السلام قال : « أنا عبدالله وأخو رسوله ، وأنا الصدِّيق الأكبر لا يقولها بعدي الا كذَّاب » (٣) .

وعندما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين عليٍّ عليه السلام ، آخى بين حمزة وزيد ابن حارثة ، وبين أبي بكر وخارجة الخزرجي ، وبين عمر وعتبان بن مالك الخزرجي ، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ ، وبين الزبير وعبدالله بن مسعود ، وبين عمَّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان ، وبين طلحة وكعب بن مالك ، وبين أبي ذرٍّ والمنذر بن عمر الخزرجي وهكذا.

هذا أول ما عمله رسول الله بالمدينة المنوَّرة « المؤاخاة الخاصة » غير الأخوة العامة التي جعلها الإسلام بين المسلمين إخوّةً في الله عزَّ وجلَّ.

وتهدف قصة المؤاخاة إلى تمتين عُرى الروابط بين المسلمين وتأكيدها ، واستئصال جذور الجاهلية والتعصُّب ، وهي رابطة تقوم على أساس الإيمان بالله عزَّ وجلَّ وباليوم الآخر ووحدة الهدف والغاية.

---

١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٠٩ ، الروض الأُنف| السهيلي ٤ : ٢٤٤ ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل ، دار إحياء التراث العربي ـ مؤسسة التاريخ ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٩٢م ، عيون الأثر ١ : ٢٦٥.

٢) الإصابة في تمييز الصحابة| ابن حجر ٢ : ٥٠٧ ، ترجمة (عليُّ بن أبي طالب).

٣) رواه النسائي في خصائصه ٣ : ١٨ ، والمتَّقي في كنز العمَّال ٩ : ٣٩٤ ، كما رواه السيوطي في تفسير قوله عزَّ وجلَّ : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله ».

قبل ذلك « كان الصراع داخل المدينة متوتراً بين الأوس والخزرج ، ولكنَّ الإسلام جعلهم موحَّدين أنصاراً ، وبمؤاخاتهم مع المهاجرين تحقَّقت للإسلام أرضية جديدة ، كان مقدَّراً لها أن تغيِّر تأريخ المدينة أولاً ، وجزيرة العرب فيما بعد ثانياً » (١) .

هنا عند المؤاخاة رفع النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يد عليٍّ عليه السلام ، قائلاً : « عليٌّ أخي ».

وتستمر صلات المودَّة والإخاء بين محمَّد وعليٍّ عليه السلام من أجل إنجاح الرسالة الإسلامية ، وتوفير قدر أكبر من الضمان لمستقبلها.

٢ ـ زواج عليٍّ من فاطمة الزهراء عليها السلام :

في حدود السنة الثانية من الهجرة اجتمع عليٌّ عليه السلام مع الزهراء عليها السلام في بيت الزوجية ، وكان جماعة من المهاجرين قد خطبوها قبله ، لكنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ردَّهم ردَّاً جميلاً ، فكان ينتظر بها القضاء . كما صرَّحت بذلك عدَّة روايات نأتي على بعضها :

أخرج ابن سعد : أنَّ أبا بكر خطب فاطمة إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « يا أبا بكر انتظر بها القضاء » فذكر ذلك أبو بكر لعمر ، فقال له عمر : ردَّك يا أبا بكر. ثُمَّ إنَّ أبا بكر قال لعمر : أخطب فاطمة إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فخطبها ؛ فقال له مثل ما قال لأبي بكر : « أنتظر بها القضاء » ، أو قال : « انَّها صغيرة » (١).

---

١) عليٌّ سلطة الحقِّ : ٢٧.

٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ : ١٦ ، وانظر أُسد الغابة ٧ : ٢٣٩ ، وفاطمة الزهراء والفاطميون | عباس محمود العقاد ٢٠.

بل إن الآتي من خبر زواجها عليها السلام يؤكد النصّ الأول « أنتظر بها القضاء » إذ لم يكن زواجها إلاّ بأمر من الله تعالى :

عن أنس بن مالك ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فغشيه الوحي ، فلمّا سري عنه قال : « يا أنس ، أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش ؟ » قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « إن الله أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ » (١).

وعن عبدالله بن مسعود ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن الله أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ ، ففعلت » (٢) .

وعن أبي أيوب الانصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : « أمرت بتزويجك من السماء » (٣) .

أمَّا عليُّ بن أبي طالب فهو أخو رسول الله وربيبه الذي ما قام ركن الإسلام الا بسيفه ، وهو وزير الرسول ووصيُّه ، فكَّر مراراً بفاطمة ، لكنَّه خالي اليدين ليس لديه ما يقدِّمه مهراً لاجتماعهما الميمون ، في هذه الاثناء تذكَّر صلته بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فتقدَّم ، ولنقرأ قصته في سطور التاريخ :

قال نفر من الأنصار لعليٍّ عليه السلام : عندك فاطمة. فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلَّم عليه ، فقال : « ما حاجة ابن أبي طالب » ؟

[أجاب بكلّ ثبات] :

« ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ».

---

١) كنز العمال ١١ : ٦٠٦|٣٣٩٢٩ ، الرياض النضرة ٣ : ١٤٥.

٢) المعجم الكبير ، للطبراني ٢٢ : ٤٠٧|١٠٢٠ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٠٤.

٣) ابن شاهين | فضائل فاطمة عليها السلام : ٥٠|٣٧.

قال : « مرحباً وأهلاً ». لم يزده عليهما.

فخرج عليٌّ على أولئك الرهط من الأنصار ينظرونه. قالوا : ما وراءك ؟ قال : « ما أدري غير أنَّه قال لي : مرحباً وأهلاً ».

قالوا : يكفيك من رسول الله إحداهما ، أعطاك الأهل أعطاك المرحب (١).

ثمَّ إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرض « خطبة عليٍّ » على فاطمة ، فقال لها : « إنَّ عليَّاً يذكرك » (٢) ، فسكتت ، فخرج يقول : « سكوتها إقرارها ».

وحين وجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القبول من كلا الطرفين ، سأل عليَّاً عليه السلام : « هل عندك شيء ؟ » وكان لا يملك غير سيفه ودرعه وناضحه.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فأمَّا سيفك فلا غنى بك عنه ، تجاهد في سبيل الله ، وتقاتل به أعداء الله ، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك ، وتحمل عليه حلَّك في سفرك ، ولكنِّي

رضيتُ منه بالدرع » (٣) .

فباعها وباع أشياء غيرها كانت عنده ، فاجتمع له منها أربعمائة درهم ، فكان هذا مهر فاطمة.

ولمَّا جاء عليُّ بن أبي طالب عليه السلام بالدراهم ، وضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمره أن يجعل ثلثي الدراهم في الطيب ، والثلث الآخر في المتاع ، ففعل (٤).

---

١) الطبقات الكبرى ٨ : ١٧ ، وانظر أُسد الغابة ٧ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

٢) الطبقات الكبرى ٨ : ١٦.

٣) عليُّ بن أبي طالب سلطة الحقّ : ٢٧.

٤) اتحاف السائل : ٤٤.

وأرجح الأقوال أنَّ زواجهما كان بعد الهجرة ، وقال اليعقوبي : بعد قدوم عليٍّ بالفواطم بشهرين (١) ، وأرَّخه ابن الأثير في أحداث السنة الثانية من الهجرة في صفر ، وقبل غزوة بدر (٢). ووقّته آخرون في شهر ذي الحجة من السنة الثانية (٣) ..

أمَّا ابن سعد في طبقاته فقال : تزوَّج عليُّ بن أبي طالب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رجب بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة بخمسة أشهر ، وبنى بها مرجعه من بدر (٤) .

وجهزّت فاطمة (٥) بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كان لها غير سرير من جريد النخل ، وسادة من آدم حشوها ليف ، ومنخل ومنشفة ، ورحى للطحن ، وجرّتان وقميص ، وخمار لغطاء الرأس ، وثوب له زغب ، وعباءة قصيرة بيضاء ، وجلد كبش..

أمَّا عليٌّ عليه السلام قد رشَّ أرض الدار برمل ناعم ، ونصب في البيت خشبة من الحائط إلى الحائط ، لتعليق الثياب ، إذ لا خزانة ولا صندوق لثياب العروس.

عن عليِّ بن أبي طالب عليه السلام قال : « لقد تزوَّجت فاطمة وما لي ولها

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤١.

٢) الكامل في التاريخ ٢ : ١٢ ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٣ : ٣٠٢.

٣) الاربلي | كشف الغمة ١ : ٣٦٤ ، بحار الانوار ٤٣ : ١٣٦.

٤) الطبقات الكبرى ٨ : ١٨.

٥) أنظر جهاز فاطمة في : الطبقات الكبرى ٨ : ١٩ ، فاطمة الزهراء والفاطميون : ٢١ ، فضائل الإمام علي : ٢٤ ـ ٢٥.

فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ، ونعلف عليه الناضح بالنهار ، وما لي ولها خادم غيرها » (١)

.

خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التزويج :

عن أنس بن مالك أنَّ النبيَّ ، قال له : « انطلق وادع لي أبا بكر وعمر وعُثمان وطلحة والزبير ، وبعدَّتهم من الأنصار » ، قال فانطلقت فدعوتهم ، فلمَّا أخذوا مجالسهم قال صلى الله عليه وآله وسلم : « الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع لسلطانه ، المهروب إليه من عذابه ، النافذ أمره في أرضه وسمائه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، ونيرهم بأحكامه ، وأعزَّهم بدينه ، وأكرمهم بنبيِّه محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم. إنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل المصاهرة نسباً لاحقاً ، وأمراً مفترضاً ، وحكماً عادلاً ، وخيراً جامعاً ، أوشج بها الأرحام ، وألزمها الأنام. فقال الله عزَّ وجلَّ : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً) (٢) ، وأمر الله يجري إلى قضائه ، وقضاؤه يجري إلى قدره ، ولكلِّ أجلٍ كتاب (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَاب) (٣) ثُمَّ إنَّ الله تعالى أمرني أن أُزوِّج فاطمة من عليٍّ ، وأُشهدكم أنِّي زوَّجت فاطمة من عليٍّ على أربعمائة مثقال فضة ، إن رضي بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة ، فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما ، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأُمَّة ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ».

---

١) الطبقات الكبرى ٨ : ١٨.

٢) سورة الفرقان : ٥٤.

٣) سورة الرعد : ٣٩.

قال أنس : وكان عليٌّ عليه السلام غائباً في حاجةٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بعثه فيها..

ثُمَّ أمر لنا بطبق فيه تمر ، فوضع بين أيدينا ، فقال : « انتبهوا » ، فبينما نحن كذلك إذ أقبل عليٌّ ، فتبسَّم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : « يا علي! إنَّ الله أمرني أن أُزوِّجك فاطمة ، وإنِّي زوَّجتكما على أربعمائة مثقال فضَّة » ، فقال عليٌّ عليه السلام : « رضيت يا رسول الله »! ثُمَّ إنَّ عليَّاً عليه السلام خرَّ ساجداً شكراً لله ، فلمَّا رفع رأسه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيِّب ».

قال أنس : والله لقد أخرج منهما الكثير الطيِّب (١) .

وتمَّ عقد القران بين عليٍّ وفاطمة ، وكتب لهما أن يعيشا حياةً مفعمةً بالإيمان ، وكان اجتماعهما يحمل الكثير من المعاني التي ظهر نورها في حياتهما ، وامتدَّ بعدهما في الآفاق من نسلهما المبارك ، سادة بني الإنسان!

ورحَّب النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الزواج الميمون وباركه وأسبغ عليه أنبل المشاعر وأقام حفلة الزفاف ، ومشى خلفهما ، معه حمزة وعقيل وجعفر ، ونساء النبي يرتجزن فرحات مستبشرات ، وهنَّ يمشين قدَّامها..

وأُدخلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت عليٍّ عليه السلام يتجلَّلها الحياء ، متعثِّرةً بأذيالها وقال أبوها صلوات الله وسلامه عليه : « يا عليُّ لا تحدث شيئاً حتَّى تلقاني ».

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإناء فتوضَّأ فيه ، ثُمَّ أفرغه على عليٍّ عليه السلام ثُمَّ

---

١) أنظر خطبة رسول الله في المصادر التالية : فاطمة الزهراء والفاطميون : ٢١ ـ ٢٢ ، الإمام علي بن أبي طالب ١ : ٦١.

قال : « اللَّهمَّ بارك فيهما ، وبارك عليهما ، وبارك لهما في نسلهما » (١) .

وقد روي أنَّ فاطمة عليه السلام بكت تلك الليلة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهدّئاً

من روعها : « لقد زوَّجتك سيِّداً في الدنيا والآخرة ، وإنَّه أوَّل أصحابي إسلاماً ، وأكثرهم علماً ، وأعظمهم حلماً » (٢) .

وحقٌّ للزهراء أن تجهش بالبكاء في هذه الليلة الفريدة من العمر ، ليلة تحتاج فيها الفتاة إلى أن تكون بالقرب من أُمِّها ، وعلى الرغم من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أغدق على ابنته بالمحبة والحنان حتَّى فاضا! ولكن لابدَّ من وجود الأمِّ في هذه الليلة الفريدة!

قالت أسماء بنت عميس : فرمقتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حين اجتمعا يدعو لهما ، لا يشركهما في دعائه أحد ، ودعا له كما دعا لها (٣) .

في هذا الحديث الشريف : « لقد زوّجتك سيداً في الدنيا والآخرة... » جملة من المعاني السامية والدرجات العالية المنطوية على دلالات كبيرة ، فهو :

١) سيِّد في الدنيا والآخرة.

٢) أوَّل الناس إسلاماً.

٣) أكثرهم علماً.

٤) أعظمهم حلماً.

---

١) الطبقات الكبرى ٨ : ١٧ ، أُسد الغابة ٧ : ٢٤٠.

٢) أُسد الغابة ٧ : ٢٣٩ ، تهذيب الكمال ١٣ : ٣٠٢ ، سير أعلام النبلاء (سير الخلفاء الراشدين) : ٢٣٠ باختلاف.

٣) تهذيب الكمال ١٣ : ٣٠٢ ، عن الهيثمي في مجمع الزوائد باب إسلامه ٩|١٠١.

هذه الخصال التي اجتمعت في هذا الرجل « عليٍّ » الذي تنتظره غداً مسؤوليات كبيرة في حفظ الدين وصيانة الأُمَّة.

٣ ـ غزواته مع الرسول :

كانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بداية عهد جديد للدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ، وقد دخل الاسلام القسم الأعظم من أهل المدينة المنوَّرة ، فيما أصرَّ بعضهم بادئ الأمر على الشرك.

أمَّا قريش فقد بدأت بالتحرُّك السريع لإرهاب المسلمين.. وكان من الطبيعي أن لا يقف النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم من تلك التحدِّيات والتحرُّشات موقف المتخاذل الضعيف ، فجعل يرسل السرايا لمطاردتهم ، أو لقطع الطريق على تجارتهم.. وظلَّ على تلك الحال حتَّى أمر الله سبحانه وتعالى نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم بقتال المشركين ، وليكون لهم بالمرصاد ، فكانت حروب وغزوات كثيرة ، بلغت في حياة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم نحو ثمانين غزوة ، وليس في كلِّها كانت تقع حروب أو مناوشات ، لأنَّ الكثير منها كان عبارة عن سرايا استطلاعية يبعثها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أطراف المدينة أو بعض النواحي التي يحتمل تسلُّل الأعداء منها.

وكان عدد الغزوات التي خرج فيها الرسول بنفسه ٢٧ غزوة ، وقع القتال في ٩ منها ، وهذه الغزوات هي التي اشتهرت في تاريخ الإسلام دون سواها.

وفي كلِّ الغزوات التي خرج فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان عليٌّ عليه السلام معه ، لم يفارقه في واحدة ، الا في غزوة تبوك ، لأمر أراده الله ورسوله ، سيأتي

تفصيله في محلِّه ، وفي كلِّ تلك الغزوات كان لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد عليٍّ عليه السلام (١) .

فلنقف بإيجاز على بعض مواقف وأدوار الإمام عليٍّ عليه السلام في الغزوات والحروب :

غزوة بدر الكبرى :

وهي أول معركة يحارب فيها الإمام عليٌّ عليه السلام كما أنَّ معركة بدر هي أول حروب نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبدر اسم بئر كانت لرجل يدعى بدراً ، وتقع في مكان بين مكَّة والمدينة وتبعد عنها ١٦٠ كم على التقريب (٢) .

وقيل : بين بدر والمدينة ثمانية بُرُد وميلان (٣) .

وكانت هذه الوقعة يوم الجمعة ، لثلاث عشرة بقين من شهر رمضان (٤) ، أي في السابع عشر منه ،

وقيل : يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت منه على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجره (٥) ، وقيل : في التاسع عشر من شهر رمضان المبارك السنة الثانية من الهجرة (٦) .

وجاء في سبب هذه الغزوة : أنَّ أبا سفيان قدم من الشام بقافلة قريش ، تحمل أموالاً طائلة ، فخرج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليقطع الطريق عليها رداً

---

١) سير اعلام النبلاء (سيرة الخلفاء الراشدين) : ٢٢٨.

٢) فضائل الإمام علي| محمَّد جواد مغنية : ٩٦.

٣) طبقات ابن سعد ٢ : ٩.

٤) أي بعد قدومه المدينة بثمانية عشر شهراً ، أنظر الكامل في التاريخ ٢ : ١٤.

٥) الطبقات الكبرى ٢ : ٨.

٦) فضائل الإمام علي : ٩٦.

على تحدِّياتها وتحرُّشاتها التي كانت تقوم بها بين الفينة والأُخرى ، وشاءت الأقدار أن يعرف أبو سفيان بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فغيَّر طريق القافلة ونجا بها ، وأرسل إلى قريش يعلمها بالأمر..

فاستبشرت لقتال محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وخرجت بجيش قوامه ألف رجل ـ على أصحِّ التقادير ـ وأخرجوا معهم القيان والدفوف ، وبلغت النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبارها واستعدادها للقتال ، فاستشار أصحابه في الأمر وأحبَّ أن يكونوا على بصيرة من أمرهم ، فوقف عمر بن الخطَّاب يحذِّره من قريش ، إذ يقول : والله إنَّها ما ذلَّت منذ عزَّت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلِّم عزَّها أبداً ولتقاتلك ، فتأهَّب لذلك أهبته وأعدَّ له عدَّته.

ووقف بعده المقداد فقال : يا رسول الله امضِ لأمر الله فنحن معك ، ولا نقول لك ، كما قالت بنو اسرائيل لموسى : (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُون) ، بل نقول لك : اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنَّا معكم مقاتلون ، والذي بعثك بالحقِّ لو سرت بنا إلى برك الغماد (١) لسرنا معك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومضى نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم في طريقه إلى بدر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وقيل بأقل من ذلك ، منهم من المهاجرين واحد وثمانون ، ومن الأنصار مائتان واثنان وثلاثون رجلاً (٢) ، وكان معهم فرسان وسبعون بعيراً ، فبعث عليَّاً عليه السلام وسعد بن أبي وقَّاص وبسبس بن عمرو يتجسَّسون له الأخبار ،

---

١) برك الغماد : مدينة الحبشة ، تبعد عن مكَّة مسيرة خمس ليال من وراء الساحل. انظر سيرة الأئمة الاثني عشر| الجزء الأول.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٦.

وقال : « أرجو أن تجدوا الخبر عند القليب التي تلي هذا الضريب » فاندفعوا باتجاهه فوجدوا على القليب روايا قريش ، فأسروا ثلاثة منهم ، واستطاع الفرار رجل اسمه عجير فأخبر قريشاً ، بخبر محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه..

وقبل أن يقع القتال أنزل الله على نبيِّه : (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) (١) فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الطرفين يخاطب قريشاً بأُسلوب يلهب المشاعر : « ارجعوا ، فلأن يلي هذا الأمر منِّي غيركم أحبُّ إليَّ من أن تلوه أنتم ».

فأصاب كلامه مكاناً في نفس عتبة بن ربيعة ، أحد قادتهم وأبطالهم ، فقال لقريش : ما ردَّ هذا قومٌ قط وأفلحوا ، يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الدهر ، إنَّ محمَّداً له آل وذمَّة وهو ابن عمِّكم فخلُّوه والعرب ، فإن يك صادقاً فأنتم أعلى عيناً به ، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره. لكنَّ أبا جهل أبى الا القتال ، ووصف موقف عتبة بالجبن والخوف ، وظلَّ يلاحق عتبة حتَّى استفزَّه.

ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رايته إلى عليٍّ ، وكان عمره يوم ذاك ٢٥ سنة ، وبرز عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة بن ربيعة ، ودعوا المسلمين إلى البراز ، فبرز إليهم ثلاثة من فتيان الأنصار : وهم من بني عفراء : معاذ ومعوذ وعوف (٢) ، فلمَّا وقفوا في مقابل عتبة وأخيه وولده ، ترفَّعوا عن مقاتلتهم ، وطلب عتبة من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يرسل له الأكفَّاء من

قريش.

فالتفت نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني عمومته ، وأحبَّ أن تكون الشوكة ببني

---

١) سورة الأنفال : ٦١.

٢) ذكر ابن الأثير في تاريخه ٢ : ١٢٥ عوف ومعوّذ ابنا عفراء ، وعبدالله بن رواحة ، كلّهم من الأنصار.

عمّه وقومه وقال : « قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة بن عبدالمطّلب ، قم يا عليَّ بن أبي طالب » فقاموا مسرعين ، يهرولون بين الجيشين على أقدامهم ، بقلوب ثابتة ، عامرة بالإيمان ، ووقفوا أمام القوم ، فقال عتبة : تكلّموا نعرفكم ، وكان عليهم البيض ، فقال حمزة : أنا حمزة بن عبدالمطّلب : أسد الله ، وأسد رسوله ، فقال عتبة : كُفءٌ كريم ، وأنا أسد الحلفاء ، من هذا معك ؟ قال : عليُّ بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث ، قال : كُفآن كريمان (١) .

فبرز عبيدة بن الحارث ـ وكان عمره سبعين سنة ـ إلى عتبة بن ربيعة ـ وقيل شيبة (٢) ـ فضربه على رأسه وضرب عتبة عبيدة على ساقه فقطعها ، وسقطا معاً ، وحمل عليٌّ عليه السلام على الوليد ـ وكانا أصغر القوم سنّاً ـ فضربه عليُّ بن أبي طالب عليه السلام على حبل عاتقه ، فخرج السيف من أبطه ، وحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسيف حتى انثلما ، فاعتنق كلُّ واحد صاحبه ، وكان حمزة أطول من شيبة ، فصاح المسلمون : يا علي ، أما ترى الكلب قد بهر عمَّك ، فأقبل عليهما ، فقال عليٌّ : « طأطأ رأسك يا عم » فأدخل حمزة رأسه في صدر شيبة ، فضربه الإمام على عنقه فقطعها ، ثُمَّ كرَّ عليٌّ عليه السلام وحمزة على عتبة فأجهزا عليه ، وحملا عبيدة فألقياه بين يدي ابن عمّه الرسول ، فاستعبر وقال : « ألستُ شهيداً يا رسول الله ؟ » قال : « نعم ».

قال : « لو رآني أبو طالب لعلم أنَّنا أحقُّ منه بقوله :

ونُسْلمه حتَّى نصرَّع حولــهُ * ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ » (٣)

١) طبقات ابن سعد ٢ : ١٢.

٢) ارشاد المفيد ١ : ٦٨.

٣) الكامل في التاريخ ٢ : ٢٢.

ولم يلبث بعدها إلاّ يسيراً ، وهو أول شهيد من المسلمين في تلك المعركة.

وبرز بعدهما حنظلة بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فلمَّا دنا منه ضربه عليٌّ بالسيف ، فسالت عيناه ، وسقط كالذبيح على رمال بدر ، ثُمَّ أقبل العاص بن سعيد بن العاص يطلب البراز ، فبرز إليه عليٌّ عليه السلام وقتله.

ولمَّا رأت مخزوم كثرة القتلى من المشركين ، أحاطوا بأبي جهل خوفاً عليه ، وألبسوا لأمة حربه عبدالله بن المنذر ، فصمد له عليٌّ عليه السلام وقتله ، ثُمَّ ألبسوها الفاكه بن المغيرة ، فقتله حمزة وهو يظنُّه أبا جهل ، وألبسوها بعدهما حرملة بن عمرو فقتله عليٌّ عليه السلام أيضاً ، وأبى أن يلبسها أحد بعدما رأوا صنيع عليٍّ وحمزة..

ثمَّ التحم الجيشان ، ودار بينهما أعنف قتال ، فتساقطت الرؤوس وتهاوت الأجسام.

وقَتَلَ عليٌّ عليه السلام ـ فيمن قتله يوم ذاك ـ نوفل بن خويلد ، وكان من شياطين قريش ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال فيه : « اللَّهمَّ اكفني ابن العدوية » وخرج نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم من العريش ، ولم يبقَ فيه غير أبي بكر ، ولم يرد له ولعمر بن الخطَّاب ذكر مع الذين اشتركوا في القتال..

واشترك النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم مع المسلمين ، وكبرياء مشركي قريش تتهاوى تحت الأقدام ، ثمَّ أخذ كفّاً من التراب ورمى به إلى جهة المشركين قائلاً : « شاهت الوجوه ، اللَّهمَّ ارعب قلوبهم » فانهزموا تاركين أمتعتهم وأسلحتهم ، وانجلت المعركة عن مقتل سبعين رجلاً من مشركي قريش ،

وكانوا سادات قريش وأبطالها ، وأُسر منهم سبعون رجلاً ، وفقد المسلمون أربعة عشر شهيداً.. ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار.

وانطوت صفحة التاريخ معربة عن أول انتصار حقَّقه المسلمون على صعيد المعارك ، وتجلَّت هذه الانتصارات ببطولات بني هاشم لا سيَّما الإمام علي عليه السلام ، الذي كان متعطِّشاً لحصد أشواك الشرك وإلقائها تحت الأقدام..

أحصت بعض مصادر التاريخ من قتلهم عليٌّ ٣٥ رجلاً ، ذكرتهم بعض المصادر بأسمائهم (١) .

ومن كلام الإمام عليه السلام لمعاوية : « وعندي السيف الذي اعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد » (٢)!

غزوة أُحد :

أخذ المشركون يعدُّون العدَّة للثأر ، واستطاعوا أن يؤلِّفوا جيشاً كبيراً ، يضمُّ ما يقارب ثلاثة آلاف مقاتل! وتبرَّع أبو سفيان بأموال طائلة لتجهيز هذا الجيش الذي قاده بنفسه ، وقبل أن تخرج قريش إلى أُحد بعث العبَّاس بن عبدالمطَّلب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بكيد قريش واستعدادها.

وبدأ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم من ساعة وصول الرسالة يستعدُّ لملاقاة الجيش الزاحف نحوهم ، وكان ذلك في شوال ، في السنة التالية لمعركة بدر.

خرج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ألف رجل أو يزيدون قليلاً ، وكان الإمام عليُّ بن أبي طالب عليه السلام حامل لوائه ، ووزَّع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الرايات على وجوه المهاجرين والأنصار ، ولمَّا كان بين المدينة وأُحد ، عاد عبدالله بن أُبي

---

١) انظر إرشاد المفيد ١ : ٧٠ ـ ٧١.

٢) نهج البلاغة ، الكتاب : ٦٤.

ـ رأس النفاق ـ بثلث الجيش قائلاً : علامَ نقتل أنفسنا ؟! ارجعوا أيُّها الناس ، فرجع وبقيَ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعمائة.

ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجيشه البالغ سبعمائة رجلٍ حتى بلغ أُحداً ، فأعدَّ أصحابه للقتال ، ووضع تخطيطاً سليماً للمعركة ليضمن لهم النصر بإذن الله ، ثُم جعل أُحداً خلف ظهره ، فجعل الرماة على جبل خلف عسكر المسلمين وهم خمسون رجلاً ، وأمَّر عليهم عبدالله بن جبير ، وقال لهم : « احموا ظهورنا ولا تفارقوا مكانكم ، فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا نغنم فلا تشاركونا ، فإنَّما نؤتى من موضعكم هذا » (١) .

ولمَّا التحمت المعركة تقدَّم طلحة بن أبي طلحة ـ وكان يدعى كبش الكتيبة ـ وصاح : من يبارز؛ فخرج إليه عليٌّ عليه السلام ، وبرزا بين الصفَّين ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في عريش أُعدَّ له يشرف على المعركة ويراقب سيرها ، فقال طلحة : مَنْ أنت ؟ قال : « أنا عليُّ بن أبي طالب » فقال : لقد علمت أنَّه لا يجرؤ عليَّ أحدٌ غيرك ، فالتحمت سيوفهم ، فضرب عليٌّ عليه السلام رأس عتبة ضربة فلق فيها هامته ، فبدرت عيناه وصاح صيحة لم يُسمع مثلها ، وسقط اللواء من يده ، ووقع يخور في دمه كالثور ، وقيل : ضربه فقطع رجله ، فسقط وانكشفت عورته ، فناشده الله والرحم فتركه (٢) .

فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون ، وتقدَّم بعده أخوه عُثمان بن أبي طلحة ، فحمل عليه حمزة بن عبدالمطَّلب ، فضربه بسيفه ضربةً كانت بها نهايته ، ورجع عنه يقول : أنا ابن ساقي الحجيج.

---

١) انظر : الطبقات الكبرى ٢ : ٣٠ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٤٧ ، الارشاد ١ : ٨٠ باختلاف.

٢) انظر الكامل في التاريخ ٢ : ٤٧.

وأخذ اللواء بعدهما أخوهما أبو سعيد بن أبي طلحة ، فحمل عليه عليٌّ عليه السلام فقتله ، ثُمَّ أخذ اللواء أرطأة بن شرحبيل ، فقتله عليٌّ عليه السلام أيضاً ، وأخذ اللواء بعد ذلك غلام لبني عبدالدار ، فقتله عليُّ بن أبي طالب عليه السلام.

وذكر المفيد في إرشاده : أنَّ أصحاب اللواء كانوا تسعة ، قتلهم عليُّ بن أبي طالب عن آخرهم ، وانهزم القوم (١) .

وتؤكِّد أكثر الروايات أنَّه بعد أن قُتل أصحاب الألوية والتحم الجيشان ، لم يتقدَّم أحد من عليٍّ عليه السلام الا بعجه بسيفه أو ضربه على رأسه ، ففلق هامته وأرداه قتيلاً ، وانكشف المشركون لا يلوون على شيء ، حتى أحاط المسلمون بنسائهم ، ودبَّ الرعب في قلوبهم ، ولو أراد المسلمون أن يأسروا هنداً ومن معها ما وجدوا من يمنعهم من ذلك.

وإنَّ النصر الذي تهيَّأ للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في أُحد لم يتهيَّأ له في موطنٍ قطّ ، وظلَّ النصر إلى جانب المسلمين ، حتَّى عصوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وانصرفوا إلى الغنائم.

فقد أُصيب المسلمون من قبل الرماة الذين وضعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ورائهم ، ليحموا ظهورهم بالنبال إن هجم المشركون من جهة الجبل ، لكن لمَّا انهزم المشركون لا يلوون على شيء ، نزل الرماة من على الجبل ، بعد أن نظروا إلى اخوانهم المسلمين ينتهبون الغنائم ، وردعهم أميرهم عبدالله بن جبير ، فأبوا الرجوع ، ثُمَّ انطلقوا للسلب والنهب ، ولم يبقَ مع ابن جبير الا عشرة رجال.

---

١) ارشاد المفيد ١ : ٨٨.

ولمَّا رأى خالد بن الوليد أنَّ ظهر المسلمين قد خلا ، كرَّ في مئتي فارس ، على من بقي مع ابن جبير فأبادهم ، وقُتل ابن جبير بعد أن قاتل قتال المستميت ، وتجمَّع المشركون من جديد ، وأحاطوا بالمسلمين من خلفهم ، وهم غافلون لنهب الغنائم ، واستدارت رحاهم وحالت الريح فصارت دبوراً ،

وما أحسَّ المسلمون الا والعدو قد أحاط بهم واختلط بينهم ، وأصبحوا كالمدهوشين ، يتعرَّضون لضرب السيوف وطعن الرماح من كلِّ جانب ، وأوجعوا في المسلمين قتلاً ذريعاً ، واشتدَّ عليهم الأمر حتَّى قتل بعضهم بعضاً من حيث لا يقصدون.

وفرَّ المسلمون عن نبيِّ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يكن عليٌّ عليه السلام يفكِّر في تلك اللحظات الحاسمة الا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا سيَّما وقد رأى المشركين يتَّجهون نحوه ، وأصبح هدفهم الأول ، بعد أن أصبحت المعركة لصالحهم ، فأحاط به هو وجماعة من المسلمين ، وقد استماتوا في الدفاع عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وحمزة يهذُّ الناس بسيفه هذَّاً ، وعليٌّ عليه السلام يفرِّق جمعهم كالصقر الجائع حينما ينقضّ على فريسته ، فيشتِّتهم إرباً إرباً بسيفه البتَّار ، وهو راجل وهم على متون الخيل ، فدفعهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتَّى انقطع سيفه.

وقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتالاً شديداً ، وقد تجمَّع عليه المشركون وحاولوا قتله بكلّ سبيل ، ورماه ابن قمئة فكسر أنفه ورباعيته السفلى ، وشقَّت شفته ، وأصابته ضربة في جبهته الشريفة ، وسال الدم على وجهه الشريف. وغلب عليه الضعف.

روى عكرمة قال : سمعت عليَّاً عليه السلام ، يقول : « لمَّا انهزم الناس يوم أُحد

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي ، وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه ، فرجعت أطلبه فلم أره فقلت : ما كان رسول الله ليفرَّ ، وما رأيته في القتلى ، فأظنُّه رُفع من بيننا ، فكسَّرت جفن سيفي وقلت في نفسي : لأقاتلنَّ به عنه حتَّى أُقتل ، وحملت على القوم فأفرجوا ، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد وقع على الأرض مغشيَّاً عليه ، فقمت على رأسه ، فنظر إليَّ فقال : ما صنع الناس ، يا عليُّ ؟ فقلت : كفروا يا رسول الله وولَّوا الدبر وأسلموك ، فنظر إلى كتيبة قد أقبلت فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ردَّ عنِّي يا عليُّ هذه الكتيبة ، فحملت عليها بسيفي أضربها يميناً وشمالاً حتَّى ولَّوا الأدبار ، فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أما تسمع مديحك في السماء ، إنَّ ملكاً يقال له : رضوان ينادي : لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا

عليٌّ ، فبكيتُ سروراً وحمدت الله على نعمه » (١).

نقل ابن الأثير : لقد أصابت عليَّاً يوم أحد ستُّ عشرة ضربة ، كلُّ ضربةٍ تلزمه الأرض ، فما كان يرفعه الا جبريل عليه السلام (٢) .

وفي هذه الوقعة قُتل حمزة بن عبدالمطَّلب ، رماه وحشي ـ وهو عبد لجبير بن مطعم ـ بحربة ، فسقط شهيداً ، ومثَّلت به هند بنت عتبة بن ربيعة ، وشقَّت عن كبده فأخذت منها قطعة فلاكتها ، وجدعت أنفه ، فجزع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جزعاً شديداً ، وقال : « لن أُصاب بمثلك »..

ولمّا يئس المشركون من قتل النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم برغم جميع المحاولات ، فترت

---

١) إعلام الورى ١ : ٣٧٨.

٢) أُسد الغابة ٤ : ١٠٦.

همَّتهم وقفلوا راجعين ، بعد أن قُتل من المسلمين ثمانية وستُّون رجلاً ، ومن المشركين اثنان وعشرون رجلاً ، وكفى الله المؤمنين القتال بأمير المؤمنين عليه السلام.

وقفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه راجعين إلى المدينة يوم السبت؛ فاستقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء ، فغسل وجهه ، ولحقه الإمام وقد خضَّب الدم يده إلى كتفه ومعه ذو الفقار ، فناوله فاطمة عليه السلام فقال : « خذي السيف فقد صدقني اليوم » وقال :

« أفاطمُ هاكِ السيف غير ذميم * فلستُ برعديد ولا بمليمِ

لعمري لقد أعذرت في نصر أحمدٍ * وطاعة ربٍّ بالعباد عليمِ »

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خذيه يا فاطمة ، فقد أدَّى بعلك ما عليه ، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش » (١) .

وقعة بني النضير :

غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني النضير في شهر ربيع الأول سنة أربع على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجره (٢) . وبني النضير هم فخذٌ من جذام الا أنَّهم تهوَّدوا ، ونزلوا بجبل يقال له : النضير ، فسُمُّوا به.

وجاء في سبب هذه الغزوة : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشى إلى كعب بن الأشرف ووجهاء بني النضير ، يستقرضهم في دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أُمية الضمري ، فقالوا : نعم ، نعينك على ما أحببت ، ثُمَّ خلا بعضهم

---

١) إعلام الورى ١ : ٣٧٩.

٢) الطبقات الكبرى ٢ : ٤٣ ـ ٤٤.

ببعض وتآمروا على قتله ، فنزل جبرئيل عليه السلام وأخبره بما همَّ به القوم من الغدر ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه الخبر ، وأمر المسلمين بحربهم ، ونزل بهم ، وكانت رايته مع عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام (١) ، فتحصَّن اليهود في الحصون ، وأرسل إليهم عبدالله بن أُبي وجماعة معه أن اثبتوا وتمنَّعوا ، فإنَّا لن نسلمكم..

وروي أنَّ الإمام عليَّاً عليه السلام فقد في احدى ليالي حصار بني النضير ، فقال رسول الله : « إنَّه في بعض شأنكم » وبعد قليل جاء عليٌّ برأس « عزوك » أحد أبطال بني النضير ، وقد كمن له الإمام حتى خرج في نفر من يهود يطلبون غرَّة من المسلمين ، وكان شجاعاً رامياً ، فكمن له عليٌّ عليه السلام فقتله ، وفرَّ اليهود ، فأرسل نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا دجانة وسهل بن حنيف ، في عشرة من رجالات المسلمين ، فأدركوا اليهود الفارِّين من سيف الإمام عليٍّ عليه السلام ، وطرحت رؤوسهم في الآبار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يُجليهم ويكفَّ عن دمائهم ـ بعد أن خذلهم ابن أُبي ـ فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمَّد بن مسلمة إليهم : أن يخرجوا من بلادهم ولهم ما حملت الإبل من خُرثي متاعهم ، ولايخرجون معهم بذهب ولا فضة ولا سلاح (٢) . وأجّلهم في الجلاء ثلاث ليال (٣).

١) الطبقات الكبرى : ٤٤ ، وابن الأثير في تاريخه ٢ : ١٧٤.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٩.

٣) إعلام الورى ١ : ١٨٨.

وقعة الأحزاب :

وتسمَّى أيضاً « غزوة الخندق » وكانت في ذي القعدة ، سنة خمس من الهجرة (١) ٦٢٧ م ، وقيل : في شوال (٢) ، وقيل : في السنة السادسة ، بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة بخمسة وخمسين شهراً (٣) .

وكان سببها : لمَّا أجلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني النضير ساروا إلى خيبر ، وحزَّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقدموا على قريش بمكَّة ، وألَّبوها على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقالوا : نكون معكم حتَّى نستأصله ، وما كان من أمر قريش الا أن تستجيب لضالَّتها المنشودة في القضاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعوانه.

وتجهَّزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب ، فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق ، ممن ذُكر من القبائل ، عشرة آلاف ، وهم الأحزاب ، وكانوا ثلاثة عساكر بقيادة أبي سفيان بن حرب.

فلمَّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبرهم جمع المسلمين ، وحثَّهم على الجهاد والصبر والاستعداد لمقابلة الغزاة وشاورهم في الأمر ، فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق ، فأعجب ذلك المسلمين ، لأنَّ عملاً من هذ النوع لابدَّ وأن يعرقل تقدُّم الغزاة ، ويخفِّف من أخطار المجابهة بين الفريقين.

وأقبل المسلمون جميعاً يحفرون خندقاً حول المدينة ، وجعل رسول الله

---

١) طبقات ابن سعد ٢ : ٥٠.

٢) الكامل في التاريخ ٢ : ٧٠.

٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٠.

لكلِّ عشرة أربعين ذراعاً (١) ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معهم يحفر وينقل التراب ،

وفرغوا من حفره في ستة أيام ، وكان سائر المدينة مشبك بالبنيان ، فهي كالحصن ، وكان المسلمون يومئذٍ ثلاثة آلاف مقاتل.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقتال قريش وأحباشها ، وهنا كانت الصدمة الكبيرة على قريش ، وهي تحسب أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه لا يثبتون لها ساعات قلائل بهذا العدد الضخم ، وإذا بها تجد بينها وبين المسلمين حاجزاً لا يمكن اجتيازه الا بعد جهود شاقة ، لاسيَّما وأنَّ أبطال المسلمين وقفوا بالمرصاد لكل من تحدِّثه نفسه باجتياز ذلك الحاجز ، فأُذهلت بعد أن كانت مغرورة بقوتها الجبَّارة!

وأنكروا أمر الخندق ، وقالوا : ما كانت العرب تعرف هذا ، وأقاموا على هذه الحال ـ الرشق بالنبل والحجارة ـ مدَّة خمسة أيام (٢) دون قتال..

فلمَّا كان اليوم الخامس خرج عمرو بن عبد ودٍّ العامري ـ وكان يعدّ بألف فارس ـ وأربعة نفر من المشركين : نوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضرار بن الخطَّاب الفهري ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ، واقتحموا الخندق من مكان ضيِّق ، وركز عمرو رمحه في الأرض ـ وهو ابن تسعين سنة (٣) ـ وأخذ يجول ، ويدعو إلى البراز ويرتجز :

---

١) الكامل في التاريخ ٢ : ٧٠.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٠.

٣) طبقات ابن سعد ٢ : ٥٢.

ولقـد بححتُ من النـداءِ * بجمعهم هـل من مبارز ؟

انِّـي كـذلـك لـم أزل * متسرِّعاً نحـو الهزاهـز

إنَّ الشجاعــة فـي الفتى * والجود من خير الغرائز [١]

وكأنَّ هذه الكلمات نداء إلى الموت ، فلم يجبه أحد من المسلمين ، وفي كلِّ مرّة يكرّر فيها نداءه كان

يقوم له عليُّ بن أبي طالب عليه السلام من بينهم ليبارزه ، فيأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجلوس ، انتظاراً منه ليتحرَّك غيره ، ولكن لم ينهض أحد؛ لمكان عمرو بن عبد ودٍّ ومن معه.

ومضى عمرو يكرِّر النداء والتحدِّي للمسلمين ، فقام عليٌّ عليه السلام مرَّةً أُخرى ، فأجلسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له : « إنَّه عمرو » ، ونادى مرَّةً أُخرى ، فقام عليٌّ عليه السلام ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال له : « ادنُ منِّي » فدنا منه ، فنزع عمامته عن رأسه وعمَّمه بها وأعطاه سيفه ذا الفقار ، وقال له : « امضِ لشأنك » ثُمَّ رفع يديه وقال : « اللَّهمَّ إنَّك أخذت منِّي حمزة يوم أُحد ، وعبيدة يوم بدر ، فاحفظ اليوم عليَّاً ، ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين ».

وقال نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم لمَّا دنا عليٌّ عليه السلام من عمرو : « خرج الإيمان سائره إلى الكفر سائره »..

فبرز إليه عليٌّ ، وهو يقول :

« لا تعجلنَّ فقد أتــاك * مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيَّةٍ وبصيــرة والـ * صدق منجي كلَّ فائــز

---

١) ارشاد الشيخ المفيد ١ : ١٠٠.

إنِّي لأرجـو أن أُقيـم * عليك نائحـة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى * صيتها بعد الهزاهز »

فلمَّا انتهى إليه قال : « يا عمرو إنَّك في الجاهلية تقول : لا يدعوني أحدٌ إلى ثلاث الا قبلتها ، أو واحدة منها ». قال : أجل. قال : « فإنِّي أدعوك إلى شهادة أن لا إله الا الله ، وأنَّ محمَّداً رسول الله ، وأن تُسلم

لربِّ العالمين ». قال : يا ابن أخ ، أخِّر هذه عنِّي. فقال له عليٌّ : « أمَّا إنَّها خيرٌ لك لو أخذتها ».

ثُمَّ قال : « فها هنا أُخرى » قال : ما هي ؟ قال : « ترجع من حيث جئت ». قال : لا تَحدَّث نساء قريش بهذا أبداً.

قال : « فها هنا أُخرى ». قال : ما هي ؟ قال : « تنزل تقاتلني » فضحك عمرو وقال : إنَّ هذه الخصلة ما كنت أظنَّ أنَّ أحداً من العرب يرومني مثلها ، إنِّي لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك ، وقد كان أبوك لي نديماً (١) .

قال عليٌّ عليه السلام : « ولكنِّي أُحبُّ أن أقتلك ، فانزل إن شئت ».

فغضب عمرو ونزل فضرب وجه فرسه حتى رجع (٢) ، وحمل على عليٍّ عليه السلام وضربه على رأسه فاتَّقاها بالدرقة ، فقدَّها السيف ونفذ منها إلى رأسه فشجَّه ، وبقي محتفظاً بثباته ، وتوالت عليه الضربات وهو يحيد عنها ، ثُمَّ كرَّ عليه عليٌّ عليه السلام فضربه على حبل عاتقه ضربةً كان دويُّها كالصاعقة ،

---

١) قال أبو الخير أستاذ ابن أبي الحديد : « والله ما طلب عمرو الرجوع من عليٍّ إلاّ خوفاً منه ، فقد عرف قتلاه ببدر وأُحد ، وعلم إن هو بارز علياً قتله عليٌّ ، فاستحى أن يظهر الفشل ، فأظهر هذا الإدّعاء ، وإنَّه لكاذب ». أنظر فضائل الإمام علي : ١١٣.

٢) الارشاد ١ : ١٠٢ ، وإعلام الورى ١ : ٣٨١.

ارتجَّ له العسكران ، فسقط يخور بدمه كالثور ، وارتفعت غبرة حالت بينهما وبين الجيشين.

على أنَّ هناك رواية أُخرى (١) تذهب إلى أن الامام ضرب عمراً على ساقيه فقطعهما جميعاً ، فسقط الى الأرض ، فأخذ عليٌّ عليه السلام بلحيته وذبحه ، وأخذ رأسه بيده هدية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأقبل والدماء تسيل على وجهه من ضربة عمرو ، ورأس عمرو بيده يقطر دماً ، وكان وجه علي عليه السلام يتهلَّل فرحاً ، فألقاها بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام أبو بكر وعمر فقبّلا رأس عليٍّ عليه السلام ، فعانقه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ودعا له ،

فقال عمر بن الخطَّاب لعليٍّ عليه السلام : هلا استلبت درعه ، فليس للعرب درع خير منها؛ فقال عليٌّ : « ضربته فاتَّقاني بسوأته فاستحييت أن أسلبه ».

وعلى أيِّ حال فقد علت أصوات المسلمين بالتكبير ، بعد أن أصابهم الخوف في بادئ الأمر ، وانهزم الذين كانوا مع عمرو بن عبد ودٍّ ، واقتحمت خيولهم الخندق ، وكبا بنوفل بن عبدالله بن المغيرة فرسه ، فجعلوا يرمونه بالحجارة ، فقال لهم : قتلة أجمل من هذه ، ينزل إليَّ بعضكم أقاتله ، فنزل إليه عليٌّ عليه السلام فضربه حتَّى قتله ، وبعث الله عليهم ريحاً في ليالٍ شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم ، فانصرفوا هاربين لا يلوون على شيء ، حتَّى ركب أبو سفيان ناقته وهي معقوله! فلمَّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله ذلك : قال : « عوجل الشيخ ».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في قتل عليٍّ عليه السلام لعمرو : « لضربة عليٍّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين ».

---

١) ارشاد القلوب ٢ : ٢١٨.

قال جابر : « فما شبهت قتل عليٍّ عمراً الا بما قصَّ الله تعالى من قصة داود وجالوت ، حيث قال : (فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوت) (١) » (٢) .

نعم لقد قلبت ضربة عليٍّ عليه السلام لعمرو الوضع تماماً ، بعدما كان النصر حليف قريش بقوَّتها الجبَّارة ، وصدق سبحانه حيث قال : (وكَمْ مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً) (٣) .

بسيف عليٍّ عليه السلام كان النصر حليف المسلمين وهنا يسكت القلم ، ولا يدري ماذا يكتب عن شجاعة ابن أبي طالب عليه السلام فقد كفى الله المؤمنين القتال به عليه السلام.

ولمَّا نُعي عمرو بن عبد ودٍّ إلى أخته عمرة ، قالت : مَن قتله ؟ ومن الذي اجترأ عليه ؟ فقيل لها : قتله عليُّ بن أبي طالب. فقالت : لقد قتل الأبطال وبارز الأقران ، وكانت ميتته على يد كفءٍ كريم من قومه ، وأنشأت تقول :

لو كان قاتل عمرو غيـر قاتله * لكنت أبكـي عليـه دائم الأبد

لكنَّ قاتلــه من لا يعـاب به * قد كـان يدعى أبوه بيضة البلد

من هاشم في ذراها وهي صاعدة * إلـى السماء تميت الناس بالحسد

قوم أبى الله الا أن تكـون لهم * كرامـة الديـن والدنيا بلا لدد

يا أم كلثوم ابكيـه ولا تدعـي * بكـاء معولة حرّى على ولد [٤]

هكذا اكتسح عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام فرسان المعارك وشجعان الفلا..

---

١) سورة البقرة : ٢٥١.

٢) انظر إعلام الورى ١ : ٣٨٢.

٣) سورة البقرة : ٢٤٩.

٤) ارشاد القلوب ٢ : ٢١٨ بتفاوت.

حتَّى لم يعد له مثيل بين أبطال العرب ، يسابق الأسود ، ويقطع الرؤوس ، ولايخاف في الله لومة لائم ، فهو الوحيد الذي بدَّد آمال الأحزاب في الخندق ، وبثَّ في صفوفهم الرعب ، وهنا أنزل الله تعالى على رسوله الآية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً) (١) .

وقعة بني قريظة :

بنو قريظة : هي فخذ من جذام اخوة النضير ، ويقال : إنَّ تهوُّدهم كان في أيام عاديا أبي السموأل ، ثُمَّ نزلوا بجبل يقال له : قريظة ، فنُسبوا إليه ، وقد قيل : إنَّ قريظة اسم جدِّهم بعقب الخندق (٢) .

وكانت هذه الغزوة في ذي القعدة سنة خمس (٣) من الهجرة ، وكان بين بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلح فنقضوه ، ومالوا مع قريش ، فوجَّه إليهم سعد بن معاذ وعبدالله بن رواحه

وخوَّات بن جُبير ، فذكَّرهم العهد وأساءوا الإجابة ، فلمَّا انهزمت قريش يوم الخندق دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام ، فقال له : « قدِّم راية المهاجرين إلى بني قريظة » وقال : « عزمت عليكم ألا تصلُّوا العصر الا في بني قريظة » ثُمَّ سار إليهم في المسلمين وهم ثلاثة آلاف ، والخيل ستة وثلاثون فرساً ، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة.

---

١) سورة الاحزاب : ٣٣ | ٩.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٢.

٣) طبقات ابن سعد ٢ : ٥٧.

وحاصر المسلمون بني قريظة شهراً أو خمساً وعشرين ليلة (١) أشدَّ الحصار.. فدنا منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقيه عليُّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : « يارسول الله لا تدنُ » ، فقال : « أحسب أنَّ القوم أساءوا القول » ، فقال : « نعم يا رسول الله » ، فيقال : إنَّه قال بيده كذا وكذا ، فانفرج الجبل حين رأوه ، وقال : « يا عبدة الطاغوت ، يا وجوه القردة والخنازير ، فعل الله بكم وفعل ».. فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أياماً حتَّى نزلوا على حكم سعد بن معاذ الأنصاري ، وقد حكم انَّه تقتل مقاتلتهم ، وتُسبى ذراريهم ، وتجعل أموالهم للمهاجرين دون الأنصار ، فقال رسول الله : « لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ـ سماوات ـ ».

ومن مواقف أمير المؤمنين عليه السلام وهي التي تعنينا بالبحث : انَّه ضرب أعناق رؤوساء اليهود أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، منهم : حُيي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢) .

عمرة الحديبية :

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للعمرة في ذي القعدة سنة ست للهجرة (٣) ، ومعه ألف وأربعمئة (٤) من أصحابه ، وساقَ من الهدي سبعين بدنة (٥) ، كما ساق أصحابه أيضاً. ومعهم

السيوف في أغمادها ، وأعلن في أكثر أنحاء

---

١) الكامل في التاريخ ٢ : ٧٥.

٢) انظر إعلام الورى ١ : ٣٨٢.

٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ٧٢.

٤) الكامل في التاريخ ٢ : ٨٦.

٥) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٤.

الجزيرة بأنَّه لا يريد حرباً ولا قتالاً ، وبلغ المشركين خروجه ، فأجمع رأيهم على صدِّه عن المسجد الحرام..

فسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بأصحابه حتَّى دنا من الحديبية ، وهي على تسعة أميال من مكَّة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى في المنام أنَّه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ المفتاح (١) .

أرسلت إليه قريش مِكرز بن حفص ، فأبى أن يكلِّمه ، وقال : « هذا رجل فاجر » ، فبعثوا إليه الحُليس بن علقمة من بني الحارث بن عبد مناة ، وكان من قوم يتألَّهون ، فلمَّا رأى الهدي قد أكلت أوبارها ، رجع؛ فقال : يا معاشر قريش إنِّي قد رأيت ما لا يحلُّ صدُّه عن البيت..

وكان آخر من بعثوا سهيل بن عمرو ليصالحه على أن يرجع عنهم عامه ذلك ، فأقبل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكلَّم رسول الله وأرفقه ، ثُمَّ جرى بينهم الصلح ، فدعا رسول الله عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : « أكتب بسم الله الرحمن الرحيم » (٢) ، فقال سهيل : لا نعرف هذا ولكن اكتب.. باسمك اللَّهمَّ ، فكتبها. وقيل : قال عليه السلام : « لولا طاعتك يا رسول الله لما محوت ».

ثُمَّ قال : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمَّد رسول الله سهيل بن عمرو » (٣) ةة فقال سهيل : لو نعلم أنَّك رسول الله لم نقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال لعليٍّ : « امحُ رسول الله » فقال : « لا أمحوك

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٤.

٢) حسب رواية ابن الأثير في الكامل في تاريخ ٢ : ٩٠.

٣) إعلام الورى ١ : ٣٧٢.

أبداً » (١) ، فمحاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال له موضع رسول الله : محمَّد بن عبدالله ، وقال لعليٍّ : « لتبلينَّ بمثلها » (٢) ، واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، وانَّه من أتى منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذن وليِّه ردَّه إليهم ، ومن جاء قريشاً ممَّن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يردُّوه عليه ، ومن أحبَّ أن يدخل في عهد رسول الله دخل (٣) ..

روى ربعي بن خراش عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنَّه قال :

« أقبل سهيل بن عمرو ورجلان ـ أو ثلاثة ـ معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديبية ، فقالوا له : إنَّه يأتيك قوم من سلفنا وعبداننا فارددهم علينا ، فغضب حتَّى احمارَّ وجهه ، وكان إذا غضب عليه السلام يحمارُّ وجهه ، ثُمَّ قال : لتنتهنَّ يا معشر قريش ، أو ليبعثن الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان ، يضرب رقابكم وأنتم مجفلون عن الدين. فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، قال عمر : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنَّه ذلكم خاصف النعل في الحُجرة. وأنا خاصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحُجرة ».

ثمَّ قال عليٌّ عليه السلام : « أما انَّه قد قال صلى الله عليه وآله وسلم : من كذب عليَّ متعمَّداً فليتبوَّأ مقعده من النار » (٤) .

---

١) ذكر في إعلام الورى ١ : ٣٧٢ انَّه قال : « إنَّه والله لرسول الله على رغم أنفك » ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : « امحها يا علي » ، فقال له : « يا رسول الله ، إنَّ يدي لا تنطلق تمحو اسمك من النبوَّة ».

٢) « ستدعى إلى مثلها فتجيب ، وأنت على مضض » ، كذا ذكرها مسلم في صحيحه ٣ : ١٤٠٩|٩٠.

٣) انظر تفاصيل ذلك في : الكامل في التاريخ ٢ : ٩٠ ، طبقات ابن سعد ٢ : ٧٤.

٤) صحيح الترمذي ٥ : ٦٣٤|٣٧١٥ ، إرشاد المفيد ١ : ١٢٢ ، مستدرك الحاكم ٤ : ٢٩٨ ، إعلام الورى ٢ : ٢٧٣ ، باختلاف.

وقعة خيبر :

غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، خيبر في جمادى الأولى سنة سبع من مهاجره ، وهي على ثمانية بُرُد من المدينة (١) ، أي أربعة ليال ـ على التقريب ـ (٢) ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالتهيُّؤ لغزوة خيبر ، وخرج معه ألف واربعمائة رجل ، معهم مائتا فارس ، وأعطى لواءه لعليِّ بن أبي طالب عليه السلام (٣) .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يجدُّ السير باتِّجاه خيبر ، ونزل عليها ليلاً ، ولم يعلم أهلها ، فخرجوا عند الصباح إلى عملهم بمساحيهم ، فلمَّا رأوه عادوا ، وقالوا : محمَّد والخميس ، يعنون الجيش ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « الله أكبر خربت خيبر ، إنَّا إذا نزلنا بساحة قوم (فساءَ صباح المنذرين)! » (٤) .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد سلَّم أبابكر رايةالجيش ، ولكنَّ أبابكر عاد بالراية دون أن يصنع شيئاً فرجع ، ثُمَّ جعل القيادة لعمربن الخطَّاب بعده ، قال الطبري والحاكم : فعاد يجبّن أصحابه ويجبنونه (٥) ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « والله لأعطينَّها غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله (٦) ،

---

١) طبقات ابن سعد ٢ : ٨١.

٢) فضائل الإمام علي : ١١٦.

٣) الطبقات الكبرى ٢ : ٨١.

٤) انظر الكامل في التاريخ ٢ : ١٠٠ ، طبقات ابن سعد ٢ : ٨١.

٥) تاريخ الطبري ٣ : ٩٣ ، المستدرك وتلخيصه للذهبي ٣ : ٣٧.

٦) طبقات ابن سعد ٢ : ٨٥ ، وزاد على ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون) : ٢٢٨ :

=

يأخذها عنوةً » (١) . وفي رواية أخرى : « لأُعطينَّ الرآية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرّار » (٢) .

فتطاولت لذلك الأعناق ورجا كلُّ واحد أن يكون المقصود بهذا القول.

وفيها جاء عن عمر بن الخطَّاب انَّه قال : فما أحببت الإمارة قبل يومئذٍ ، فتطاولت لها واستشرفت رجاء أن يدفعها إليَّ ، فلمَّا كان الغد دعا عليَّاً فدفعها إليه ، فقال : « قاتل ولا تلتفت ، حتى يفتح الله عليك » (٣) .

وفي تفصيل الخبر أن علياً عليه السلام كان قد أُصيب بالرمد ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عينيه ، ثم أعطاه الراية (٤) ، فما شكا وجعاً حتَّى مضى لسبيله ، فنهض بالراية وعليه حلَّة حمراء (٥) ، إنطلق مهرولاً ، فركز رايته بين حجرين أمام الحصن ، فأشرف عليه رجل من يهود يخطر بسيفه ، فقال له : مَن أنت ؟ قال : « أنا عليُّ بن أبي طالب » ، فقال اليهودي : غُلبتم يا معشر يهود ، وخرج مرحب اليهودي ، صاحب الحصن ، وعليه مغفر يماني ، قد نقبه مثل البيضة على رأسه ، وكان مزهوّاً بشجاعته وبطولاته ، خرج يتبختر في

=

« ويفتح الله على يديه » ، صحيح البخاري ـ كتاب الفضائل ٥ : ١٩٧|٨٧ و١٩٨ ، صحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ٤ : ١٨٧١|٣٢ ـ ٣٤ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٧٢٤|٦٣٨ ، سنن ابن ماجة ١ : ١١٧|٤٣ ، مسند أحمد ١ : ١٨٥ ، ٥ : ٣٥٨ ، المستدرك ٣ : ١٠٩ ، الخصائص للنسائي : ٤ ـ ٨ ، تاريخ الاسلام للذهبي ـ المغازي : ٤٠٧ ، الاستيعاب ٣ : ٣٦.

١) الكامل في التاريخ ٢ : ١٠١.

٢) ابن هشام | السيرة البوية ٣ : ٢٦٧ (ذكر المسير إلى خيبر).

٣) الطبقات الكبرى ٢ : ٨٤.

٤) الطبقات الكبرى ٢ : ٨٥ ، سير أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون) : ٢٢٨.

٥) ابن الأثير في تاريخه : ١٠١.

مشيته ، وهو يقول :

قد علمت خيبرُ أنِّي مرحبُ * شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبُ

اذا الحروبُ أقبلتْ تلهَّبُ

فقال عليٌّ صلوات الله عليه وبركاته :

« أنا الذي سمَّتني أُمِّي حيدرة * أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليثُ بغاباتٍ شديدٌ قسورة » [١]

فاختلفا ضربتين ، فبدره عليٌّ عليه السلام فضربه فقدَّ الجحفة والمغفر ورأسه ، وشقَّه نصفين حتى وصل السيف إلى أضراسه ، فوقع على الأرض ، وكان لضربته عليه السلام دويٌّ كدوي الصاعقة ، فلمَّا رأى اليهود صنيع عليٍّ عليه السلام بفارسهم مرحب ولَّوا هاربين ، وكان الفتح على يديه عليه السلام.

قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خرجنا مع عليٍّ عليه السلام حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، برايته إلى خيبر ، فلمَّا دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه يهوديٌّ فطرح ترسه من يده ، فتناول عليٌّ عليه السلام باباً كان عند الحصن فتترَّس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل ، حتى فتح الله عليه ، ثُمَّ ألقاه من يده ، فلقد رأيتني في نفر سبعة ، أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه » (٢) .

وقيل : « إنَّ الباب كان حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع ، فرمى به عليُّ بن أبي طالب عليه السلام خلفه ودخل الحصن ودخله

١) انظر : ابن الأثير في تاريخه ٢ : ١٠١ ، وابن سعد في طبقاته ٢ : ٨٥ ، مع اختلاف يسير.

٢) ابن الأثير في تاريخه ٢ : ١٠٢.

المسلمون » (١).

ومهما يكن الحال فإن دلَّت هذه الروايات على شيءٍ ، فإنَّما تدلُّ على شجاعة الإمام وقدرته الخارقة العجيبة في بدنه ، مع قوة إلهيّة معنوية عالية ، وعليٌّ عليه السلام نفسه يقول عن هذا الحادث : « والله ما قلعت باب الحصن بقوَّة جسدية ، ولكن بقوَّة ربَّانية » (٢) .

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري قال : « لمَّا قدم عليٌّ عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بفتح خيبر قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لولا أن يقول فيك طوائف من أُمَّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم ، لقلت فيك اليوم قولاً لا تمرُّ بملأ الا أخذوا من تراب رجليك ومن فضل طهورك فيستشفون به ، ولكن حسبك أن تكون منِّي وأنا منك ، ترثني وأرثك ، وأنَّك منِّي بمنزلة هارون من موسى الا أنَّه لا نبيَّ بعدي ، وأنَّك تؤدِّي ذمَّتي ، وتقاتل على سُنَّتي ، وأنَّك في الآخرة غداً أقرب الناس منِّي ، وأنَّك غداً على الحوض خليفتي... إلى آخره ».

فخرَّ عليٌّ عليه السلام ساجداً ، ثُمَّ قال : « الحمد لله الذي منَّ عليَّ بالإسلام ، وعلَّمني القرآن ، وحبَّبني إلى خير البريَّة ، خاتم النبيِّين وسيِّد المرسلين ، إحساناً منه إليَّ ، وفضلاً منه عليَّ ».

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك : « لولا أنت يا عليُّ لم يُعرف المؤمنون بعدي » » (٣) .

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٦ ، وانظر : سير أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدين) : ٢٢٩.

٢) ارشاد القلوب ٢ : ٢١٩.

٣) إعلام الورى ١ : ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ، ابن المغازلي | المناقب : ٢٢٧|٢٨٥ وقطعة منه في مجمع الزوائد ٩ :

=

وقعة ذات السلاسل :

وتسمَّى أيضاً وقعة وادي الرمل. وكان سببها أنَّ عدداً من الأعراب قد اجتمعوا لغزو المدينة ـ في وادي الرمل ـ على حين غفلة من أهلها ، فوفد أعرابي على نبيِّ الله وأخبره بالأمر ، وخرج أمير المؤمنين ومعه لواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن خرج غيره إليهم ، ورجع عنهم خائباً ، ثُمَّ خرج صاحبه وعاد بما عاد به الأول (١) ، ثُمَّ أرسل عمرو بن العاص (٢) ، فعاد كما عاد صاحباه ، فمضى عليه السلام نحو القوم ، يكمن النهار ويسير الليل ، حتى وافى القوم بسحر ، وصلَّى بأصحابه صلاة الغداة ، وصفَّهم صفوفاً واتَّكأ على سيفه وانقضَّ بمن معه على القوم على حين غفلة منهم ، وقال : « يا هؤلاء ، أنا رسولُ رسولِ الله ، أن تقولوا : لا إله الا الله محمَّد رسول الله ، والا ضربتكم بالسيف ».

فقالوا له : إرجع كما رجع صاحباك.

قال : « أنا أرجع! لا والله حتَّى تسلموا ، أو لأضربنَّكم بسيفي هذا ، أنا عليُّ بن أبي طالب بن عبدالمطَّلب » (٣) .

فاضطرب القوم ، وأمعنوا بهم قتلاً وأسراً ، حتَّى استسلموا له ، وتمَّ الفتح على يده.

---

١٣١ ، ومناقب الخوارزمي : ٢٢.

١) إعلام الورى ١ : ٣٨٢.

٢) انظر : الكامل في التاريخ ٢ : ١١٠ وفيها اختلاف حيث لم يذكر من كان قبله!.

٣) الإرشاد ١ : ١١٣ ـ ١١٦ ، إعلام الورى ١ : ٣٨٢.

وعن أمِّ سلمة قالت : كان نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً في بيتي؛ إذ انتبه فزعاً من منامه ، فقلت : الله جارك ، قال : « صدقت ، الله جاري ، ولكن هذا جبرئيل يخبرني أنَّ عليَّاً قادم ». ثمَّ خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا عليَّاً ، وقام المسلمون صفَّين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلمَّا

بصر به عليٌّ عليه السلام ترجَّل عن فرسه ، وأقبل عليه يقبّله. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إركب ، فإنَّ الله ورسوله عنك راضيان » فبكى عليٌّ عليه السلام فرحاً وانصرف إلى منزله.

ونزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سورة العاديات لهذه المناسبة (١) .

فتح مكَّة :

كان الفتح في شهر رمضان ، سنة ثمان من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢). وكان سبب هذه الوقعة : أنَّ قريشاً نقضت الوثيقة التي وقعتها مع النبي في الحديبية ، وتمادت في ذلك ، حتى ذهبت إلى تحريض حلفائها بني الدؤل من بني بكر على خزاعة حلفاء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، واستطاع هؤلاء أن يتغلَّبوا على خزاعة بمساعدة قريش ، فلمَّا وصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عزم على أن ينصر خزاعة..

فجهّز جيشه وأكد رغبته في التكتيم على هذا الأمر ، لمداهمة قريش في مكة قبل أن تتجهز لحرب ، وكان يقول : « اللَّهمَّ خُذ على أبصارهم فلا يروني الا بغتةً »! (٣) ، لكن الأمر تسرّب إلى حاطب بن أبي بلتعة ، فكتب كتاباً إلى أهل مكَّة يطلعهم فيه على سرِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسير إليهم ،

---

١) انظر : إعلام الورى ١ : ٣٨٣ ، إرشاد المفيد ١ : ١١٦ ـ ١١٧.

٢) الطبقات الكبرى ٢ : ١٠٢.

٣) الطبقات الكبرى ٢ : ١٠٢.

وأعطى الكتاب أمرأة سوداء وأمرها أن تأخذ على غير الطريق ، فنزل بذلك الوحي.

فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام وقال : « إنَّ بعض أصحابي قد كتب إلى أهل مكَّة يخبرهم بخبرنا وقد سألت الله أن يعمّي اخبارنا عليهم ، والكتاب مع امرأة سوداء قد أخذت على غير الطريق ، فخذ سيفك والحقها وانتزع الكتاب منها » وبعث معه الزبير بن العوَّام.

فمضيا على غير الطريق ، فأدركا المرأة ، فسبق إليها الزبير وسألها عن الكتاب فأنكرته ، وحلفت أنَّه

لا شيء معها ، وبكت ، فقال الزبير : يا أبا الحسن ، ما أرى معها كتاباً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام : « يخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ معها كتاباً ويأمرني بأخذه منها وتقول : إنَّه لا كتاب معها »!

ثمَّ اخترط السيف وقال : « أما والله لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنَّك ثُمَّ لأضربنّ عنقك ».

فقالت له : اذا كان لابدَّ من ذلك ، فأعرض يا ابن أبي طالب عنِّي بوجهك. فأعرض عنها ، فكشفت قناعها فأخرجت الكتاب من عقيصتها ، فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وصار به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

ثمَّ مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفتح مكَّة في عشرة آلاف مقاتل ، وأعطى الراية سعد بن عبادة ، وأمره أن يدخل بها مكَّة ، فأخذها سعد وجعل يقول :

اليوم يوم المَلحمَه * اليوم تسبى الحُرُمَه

---

١) الارشاد ١ : ٥٧.

فسمعها رجل من المهاجرين ، فأعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « اليوم يوم المرحمة ، اليوم تحمى الحرمة » لعليِّ بن أبي طالب : « أدركه فخذ الراية منه ، وكن أنت الذي تدخل بها » (١) .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقطع الطريق باتجاه مكَّة ودخلها عنوةً بهذا الجيش الهائل ، الذي لم تعرف له مكَّة نظيراً في تاريخها من قبل ، وأعلن العفو وهو على أبواب مكَّة ، وقال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء ».

وأباح دم ستة رجال ، ولو كانوا متعلِّقين بأستار الكعبة ، وأربع نسوة ، هم : عكرمة بن أبي جهل ،

وهبار بن الأسود ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ومِقيس بن صُبابة الليثي ، والحويرث بن نُقيذ ، وعبدالله بن هلال بن خطل الادرمي ، وهند بنت عتبة ، وسارة مولاة عمرو بن هاشم ، وقينتان كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢) .

فمضى عليُّ بن أبي طالب عليه السلام يجدُّ في طلب أولئك الذين أهدر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم دماءهم فقتل منهم اثنين هم : الحويرث بن نقيذ ، وسارة.

وأجارت أمُّ هانئ بنت أبي طالب حموين لها : الحارث بن هشام ، وعبدالله بن ربيعة ، فأراد عليٌّ عليه السلام قتلهما. فقال رسول الله : « يا عليُّ قد أجرنا من أجارت أمُّ هانئ » (٣) وتفرّق الباقون ، ثم وفد بعضهم على النبي بعد أن أخذ الأمان.

ولم يترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنماً داخل الكعبة وخارجها الا وحطَّمه

---

١) إعلام الورى ١ : ٣٨٥ ، وانظر ابن الأثير | الكامل في التاريخ ٢ : ١٢٢.

٢) طبقات ابن سعد ٢ : ١٠٣ ، وانظر الكامل في التاريخ ٢ : ١٢٣ ، وفيه ثمانية رجال وأربع نسوة.

٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٩ ، وانظر الطبقات لابن سعد ٢ : ١١٠.

تحت قدميه أمام قريش..

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو بمكَّة ـ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح. فقالوا : إنَّا لا نأخذ السلاح على الله ولا على رسوله ونحن مسلمون ، قال : ضعوا السلاح ، قالوا : إنَّا نخاف أن تأخذنا بإحنة الجاهلية ، فانصرف عنهم وأذَّن القوم وصلَّوا ، فلمَّا كان في السحر شنَّ عليهم الخيل فقتل منهم ما قتل وسبى الذرية.

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « اللَّهمَّ إنِّي أبرأ إليك ممَّا صنع خالد »! وبعث عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فأدَّى إليهم ما أخذ منهم حتَّى العقال وميلغة الكلب ، وبعث معه بمال ورد من اليمن فودى القتلى ، وبقيت معه منه بقية ، فدفعها عليٌّ عليه السلام إليهم على أن يحلِّلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممَّا علم وممَّا لا يعلم. فقال رسول الله : « لما فعلت أحبُّ إليَّ من حمر النعم

» ويومئذٍ قال لعليٍّ : « فداك أبواي » (١) ، فتمَّ بذلك موادُّ الصلاح ، وانقطعت أسباب الفساد.

وقعة حنين :

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثمان من الهجرة ، وحنين وادي بينه وبين مكَّة ثلاث ليال (٢) .

وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ هوازن قد جمعت بحنين جمعاً كبيراً تريد غزو المسلمين وقتالهم ، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جيش عظيم عدَّتهم اثنا عشر ألفاً ، فقال بعضهم : ما نُؤتى من قلَّة ، فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

١) انظر : تاريخ اليعقوبي ٢ : ٦١ ، إعلام الورى ١ : ٣٨٦ ، إرشاد المفيد ١ : ٥٥.

٢) ابن سعد في طبقاته ٢ : ١١٤.

ذلك من قولهم.

وكان لواء المهاجرين مع عليِّ بن أبي طالب عليه السلام (١) ، ووزَّع بقية الرايات على قوَّاد الجيش وزعماء القبائل.

ويروى عن جابر بن عبدالله الأنصاري ، أنَّه قال : « لمَّا استقبلنا وادي حُنين ، انحدرنا في وادٍ أجوف حَطُوطٍ ، إنما ننحدر فيه انحداراً في عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكمنوا لنا في شعابه ومضايقه ، قد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطُّون الا والكتائب قد شدَّت علينا شدَّة رجل واحد ، فانهزم الناس أجمعون لا يلوي أحد على أحد.. الا أنَّه قد بقي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته » (٢) .

وعلى أيِّ الأحوال فلقد اتَّفق المؤرِّخون على أنَّ عليَّاً عليه السلام وأكثر بني هاشم ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الأزمة (٣) ، وعليُّ بن أبي طالب عليه السلام يذبُّ الناس بسيفه ويفرِّقهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كانت أكثر مواقفه في الحروب التي مضت ، فلم يستطع أحد أن يدنو من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم الا جدله بسيفه.

وكان رجل من هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء أمام الناس ، فإذا أدرك رجلاً طعنه ، ثُمَّ رفع رايته لمن وراءه فاتَّبعوه ، فحمل عليه عليٌّ عليه السلام فقتله (٤) ، فكانت الهزيمة ، فقال رسول الله للعبَّاس : « صِحْ

---

١) طبقات ابن سعد ٢ : ١١٤.

٢) انظر الكامل في التاريخ ٢ : ١٣٦.

٣) انظر : طبقات ابن سعد ٢ : ١١٥ ، ابن الأثير في تاريخه ٢ : ١٣٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٦٢ ، إعلام الورى ١ : ٣٦٨.

٤) ابن الأثير في تاريخه ٢ : ١٣٧.

للأنصار » وكان صيِّتاً ، فنادى : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب السمُرة ، ياأصحاب سورة البقرة! فأقبلوا كأنَّهم الإبل إذا حنَّت على أولادها ، يقولون : يا لبَّيك يا لبَّيك! فحملوا على المشركين ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر إلى قتالهم فقال : « الآن حمي الوطيس »! وهو أول من قالها ، ثُمَّ قال :

« أنا النبيُّ لا كذبْ * أنا ابن عبدالمطَّلب » [١]

واقتتل الناس قتالاً شديداً.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبغلته دُلدُل : « البِدي دلدل » فوضعت بطنها على الأرض ، فأخذ حفنة من تراب فرمى بها في وجوههم ، فكانت الهزيمة (٢) وقيل : إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد قتل منهم أربعين رجلاً (٣) ، واستشهد من المسلمين أيمن ابن أمِّ أيمن ، ويزيد بن زَمعَة بن الأسود بن المطَّلب بن عبدالعُزَّى وغيرهما (٤) .

تبوك والاستخلاف :

ثمَّ كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك في رجب سنة تسع من مُهاجره (٥).

لمَّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام؛ لغزو المسلمين في ديارهم ، لم يتردَّد في مواجهة تلك الجيوش ، فأمر الناس

---

١) طبقات ابن سعد ٢ : ١١٥ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٣٧.

٢) ابن الأثير في تاريخه ٢ : ١٣٧.

٣) إعلام الورى ١ : ٣٨٧ ، وروى ذلك المفيد في الارشاد ١ : ١٤٤.

٤) الكامل في التاريخ ٢ : ١٣٩.

٥) الطبقات الكبرى ٢ : ١٢٥.

بالتجهُّز لغزو الروم ، وأعلم الناس مقصدهم ، لبعد الطريق وشدَّة الحرَّ وقوَّة العدو.. لذلك يسمى بجيش العسرة ، وهي آخر غزوات الرسول.

ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسير في أصحابه ، حتى قدم تبوك في ثلاثين ألفاً من الناس ، والخيل عشرة آلاف. واستعمل على المدينة علياً عليه السلام وقال له : (تقيم أو أقيم) « إنَّه لابدَّ للمدينة منِّي أو منك » (١) ، « إن المدينة لا تصلح إلاّ بي أو بك » (٢) .

وهذه هي الغزوة الوحيدة من الغزوات التي لم يشترك فيها عليُّ بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... وكان بقاؤه عليه السلام في المدينة أمر تفرضه مصلحة الإسلام ، بعدما ظهر للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم من أمر المنافقين ، فإنَّ بقاءهم بالمدينة يشكِّل خطراً على الدعوة.

فأرجف المنافقون بعلي عليه السلام وقالوا : ما خلَّفه الا استثقالاً له! فلمَّا سمع عليٌّ عليه السلام ذلك أخذ سلاحه ولحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخبره ما قال المنافقون ، فقال : « كذبوا ، وإنَّما خلفتك لما ورائي ، أما ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى ؟ الا أنَّه لا نبيَّ بعدي » (٣) . فقال : « قد رضيت ، قد رضيت » (٤) . ثُمَّ رجع إلى المدينة وسار رسول الله بجيشه.

وفي رواية الشيخ المفيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « ارجع يا أخي

١) إعلام الورى ١ : ٢٤٣.

٢) الارشاد ١ : ١٥٥.

٣) الكامل في التاريخ ٢ : ١٥٠ ، وانظر الاصابة في تمييز الصحابة ٢ : ٥٠٧ ترجمة الامام علي ، وسير أعلام النبلاء (سيرة الخلفاء الراشدين) : ٢٢٩ ، وأخرجه الترمذي ٢٩٩٩ و٣٧٢٤ وقال : صحيح غريب.

وانظر طرق الحديث عن الصحابة في تاريخ ابن عساكر ـ ترجمة الإمام علي ١ : ٣٠٦ ـ ٣٩٠.

٤) إعلام الورى ١ : ٢٤٤.

إلى مكانك ، فإن المدينة لا تصلح إلاّ بي أو بك ، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ إنّه لا نبيّ بعدي » (١) .

وجاء في طبقات ابن سعد (٢) انَّه قال : أخبرنا الفضل بن دُكين ، قال : أخبرنا فضل بن مرزوق عن عطية ، حدَّثني أبو سعيد ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزوة تبوك وخلَّف عليّاً في أهله ، فقال بعض الناس : ما منعه أن يخرج به الا أنَّه كَرِهَ صحبته ، فبلغ ذلك عليّاً فذكره للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « يا ابن أبي طالب ، أما ترضى أن تنزل منّي بمنزلة هارون من موسى ».

وفي احدى الروايات : قال : فأدبر عليٌّ مسرعاً ، كأنّي أنظر إلى غبار قدميه يسطع.. وبلا شكٍّ لقد قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام هذه المقالة ، وقد استخلفه في المدينة وكشف عن منزلته منه ، وعن منزلته بعده صلى الله عليه وآله وسلم .. أمّا لماذا راجع عليٌّ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمر استخلافه في المدينة فالأصح والأنسب « أن يكون عليٌّ عليه السلام قد عزَّ عليه أن تفوته معركة من معارك الإسلام ، لاسيما وأنَّه يتَّجه إلى عدوٍّ يفوق المسلمين بعدده وعتاده عشرات المرَّات ، فكان يتمنَّى أن يبقى إلى جانبه يفديه بنفسه وروحه ، كما كان يصنع في بقية المعارك ، وعندما أشعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك أجابه بتلك الكلمات التي اتَّفق عليها المؤرِّخون والمحدِّثون » (٢) .

١) الارشاد ١ : ١٥٦.

٢) طبقات ابن سعد ٣ : ١٧.

٣) سيرة الأئمة الاثني عشر ١ : ٢٣٩.

هذا ، ولم يكن قوله له : « أما ترضى أن تنزل منّي بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي » مختصّاً بهذا الموقف ، فقد قال له ذلك مرات عديدة سجّل التاريخ وكان هذا الحديث من أوضح الأدلة على استخلافه من بعده على عموم المسلمين في بحوث مفصّلة مذكورة في كتب العقائد (١) .

٤ ـ عليٌّ يبلّغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

قصة تبليغ سورة براءة في السنة التاسعة للهجرة من القصص المشهورة ، والمنقولة في كتب السير والحديث ، نوردها كما أخرجها أحمد بن حنبل في مسنده من حديث أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثه ببراءة إلى أهل مكة : « لا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف في البيت عريان ، ولا يدخل في الجنة إلاّ نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدّة فأجله إلى مدّته ، والله بريء من المشركين ، ورسوله » قال : فسار بها ثلاثاً ، ثم قال النبي لعلي : « إلحقه ، فردَّ عليَّ أبا بكر ، وبلّغها أنت » قال : ففعل.

فبينا أبو بكر في بعض الطريق؛ إذ سمع رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القصوى ، فخرج أبو بكر فزعاً ، فظنّ أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا هو عليّ عليه السلام ، فدفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخذها منه وسار ، ورجع أبو بكر.. فلمّا قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى ، وقال : يا رسول الله ، أحَدَثَ فيَّ شيء ؟

قال : « لا ، ولكن أمرتُ أن لا يبلّغها إلاّ أنا أو رجل منّي » (٢) .

---

١) راجع السيد علي الميلاني | نفحات الازهار ـ حديث المنزلة.

٢) مسند أحمد ١ : ٣ ، ٣٣١ و٣ : ٢١٢ ، ٢٨٣ و ٤ : ١٦٤ ، ١٦٥.

وفي بعض رواياتها : « لا يبلّغ عني إلاّ أنا أو رجل مني » (١) .

ولهذه القصة دلالة كبيرة نأتي عليها في محلّها.

٥ ـ على عليه السلام في اليمن :

وفي السنة العاشرة للهجرة بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن جامعاً لصدقات أهلها ، وجزية أهل نجران وسفيراً وقاضياً.. قال عليّ عليه السلام : « ولمّا بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اليمن ، قلت : تبعثني وأنا رجل حديث السن ، وليس لي علم بكثير من القضاء ؟ قال : فضرب صدري رسولالله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : اذهب ، فإن الله عزّ وجلّ سيثبت لسانك ويهدي قلبك.. » قال : « فما أعياني قضاء بين اثنين » (٢).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث قبله خالد بن الوليد في بضع مئات من الجند ، قال البراء بن عازب : كنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد ، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ـ يعني قبيلة همدان ـ ثم بعث علي بن أبي طالب ، وأمره أن يقفل خالداً ومن معه ، إلاّ من أحب أن يعقب مع علي فليعقب معه ، فكنت فيمن عقب مع عليّ ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا ، ثم تقدم علي فصلّى بنا ثم صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأسلمت همدان جميعاً.

فكتب علي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإسلامهم ، فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

١) سنن الترمذي ٥ : ٦٣٦ | ٣٧١٩ ، الخصائص للنسائي : ٢٠ ، مجمع الزوائد ٩ : ١١٩ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٧٦ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٧٠ ، تفسير الطبري ١٠ : ٤٦.

٢) مسند أحمد ١ : ١٣٦ ، الارشاد ١ : ١٩٤ و١٩٥ باختلاف.

الكتاب خرّ ساجداً ، ثم رفع رأسه فقال : « السلام على همدان ، السلام على همدان » (١).

٦ ـ عليٌّ في حجَّة الوداع [٢] :

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة متوجِّها إلى الحجِّ في السنة العاشرة من الهجرة ، لخمس بقين من ذي القعدة ، وهي حجَّة الإسلام ، وكان ابن عبَّاس يكره أن يقال : حجَّة الوداع ، ويقول « حجَّة الإسلام » (٣) .

وأذَّن صلى الله عليه وآله وسلم في الناس بالحجِّ ، فتجهَّز الناس للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحضر المدينة ـ من ضواحيها ومن جوانبها ـ خلق كثير.

وحجَّ عليٌّ عليه السلام من اليمن ، حيث قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثمائة فارس ، فأسلم القوم على يديه.. ولمَّا قارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكَّة من طريق المدينة ، قاربها أمير المؤمنين عليه السلام من طريق اليمن ، فتقدَّم الجيش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فسرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، وقال له : « بم أهللت يا عليُّ » ؟ فقال : « يا رسول الله ، إنَّك لم تكتب إليَّ بإهلالك ، فعقدت نيتي بنيِّتك ، وقلت : اللَّهمَّ اهلالاً كإهلال نبيِّك ». فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « فأنت شريكي في حجِّي ومناسكي وهديي ، فأقم على إحرامك ، وعد على جيشك وعجِّل بهم إليَّ حتَّى نجتمع بمكَّة » (٤).

---

١) ابن كثير | البداية والنهاية ، البيهقي | دلائل النبوة ٥ : ٣٩٤ ، وقال : أخرجه البخاري مختصراً من وجه آخر ، صحيح البخاري ٥ : ٢٠٦.

٢) انظر : الطبقات الكبرى ٢ : ١٣٠ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٠٩ ، إعلام الورى ١ : ٢٥٩ ، ارشاد المفيد ١ : ١٧٠.

٣) الطبقات الكبرى ٢ : ١٣١.

٤) صحيح مسلم ٢ : ٨٨٨ ، ارشاد المفيد١ : ١٧١ ، إعلام الورى١ : ٢٥٩ ، وانظر : الكامل في التاريخ ٢ : ١٧٠.

ولمَّا أكملوا مناسك الحجِّ ، نحر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده ستِّين بدنة ، وقيل : اربعاً

وستّين ، وأعطى عليّاً عليه السلام سائرها ، فنحرها وأخذ من كلّ ناقةٍ بضعة ، فجمعت في قدر واحد فطبخت بالماء والملح ، ثُمَّ أكل هو وعلي عليه السلام (١) .

وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالناس ، وأراهم مناسكهم وعلَّمهم حجَّهم ، إلى أن قال : « لا ترجعوا بعدي كفَّاراً مضلِّين يملك بعضكم رقاب بعض ، إنِّي قد خلَّفت فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، ألا هل بلَّغت » ؟ قالوا : نعم. قال : « اللَّهمَّ اشهد ».

ثمَّ قال : « إنَّكم مسؤولون ، فليبلِّغ الشاهد منكم الغائب » (٢) . ثمَّ ودَّعهم وقفل راجعاً إلى المدينة.

غدير خُمٍّ :

لمَّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسكه وقفل إلى المدينة ، وانتهى إلى الموضع المعروف بغدير خُمٍّ نزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يقيم عليّاً عليه السلام وينصِّبه إماماً للناس؛ فقال : « ربِّ إنَّ أُمَّتي حديثو عهد بالجاهلية » فنزل عليه : إنَّها عزيمة لا رخصة منها ، فنزلت الآية : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٠٩ ، إعلام الورى ١ : ٢٦٠ ، وانظر الطبقات الكبرى ٢ : ١٣٥.

٢) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ٩ : ٩٠ ح|٢٦ ـ ٢٩ ، صحيح مسلم ١ : ٨١ ح|١١٨ ـ ١٢٠ ، كتاب الايمان ، مسند أحمد ٥ : ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٧٣ ، سنن الترمذي ٤ : ٤٨٦ ح|٢١٩٣ ، سنن أبي داود ٤ : ٢٢١ ح|٤٦٨٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١١١ ، ومثله في السيرة الحلبية ٣ : ٣٣٦ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٨٠م.

رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس) (١) .

فلمّا نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خُمٍّ ، ونزل المسلمون حوله ، أمر بدوحات فقُمِمْنَ ، وكان يوماً شديد الحرِّ ، حتَّى قيل : إنَّ أكثرهم ليلفُّ رداءه على قدميه من شدَّة الرمضاء ، وصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مكان مرتفع ، فردّ من سبقه ، ولحقه من تخلَّف ، وقام خطيباً ، ثُمَّ قال : « ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله. فأخذ بيد عليٍّ فرفعها ،

حتَّى بان بياض ابطيه ، وقال : « من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه ، اللَّهمَّ والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ».

وقد ورد هذا الحديث في الكثير من كتب السيرة والتاريخ وكتب الحديث ايضاً وغيرها (٢) بصيغ متعدِّدة ، تثبت أحقِّية الإمام عليٍّ عليه السلام بالإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو من أشهر النصوص على خلافته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد أن نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلَّى ركعتين ، ثُمَّ زالت الشمس فأذَّن مؤذنه لصلاة الظهر ، فصلَّى بالناس وجلس في خيمته ، وأمر عليّاً عليه السلام أن يجلس في خيمة له بإزائه ، ثُمَّ أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً

---

١) إعلام الورى ١ : ٢٦١ ، والآية من سورة المائدة ٥ : ٦٧ ، وقصة نزولها في علي عليه السلام في غدير خم رواها كثير من المفسرين ، منهم : الواحدي | اسباب النزول : ١١٥ ، السيوطي | الدر المنثور ٢ : ٣٩٨ ، الشوكاني | فتح الغدير ٢ : ٦٠.

٢) انظر : خصائص أمير المؤمنين | الحافظ النسائي : ٢١ ـ ٢٢ مطبعة التقدُّم بالقاهرة ، وقد ذكر في حديث الغدير اسانيد عديدة وطرق شتَّى وألفاظ مختلفة ، بلغت تسع عشرة رواية ، مسند أحمد ١ : ١١٩ من طريقين ، ١٥٢ ، ٤ : ٢٨١ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، وسنن ابن ماجة ١ : ٤٣|١١٦ ، والمستدرك ٣ : ١٠٩ ـ ١١٠ ، والبداية والنهاية ٥ : ٢٠٨ ، الفصل الاخير من سنة ١٠ هـ.

فيهنِّئوه بالإمامة ، ويسلِّموا عليه بإمرة المؤمنين ، ففعل الناس ذلك اليوم كلُّهم ، ثُمَّ أمر أزواجه وجميع نساء المؤمنين أن يدخلن معه ويسلِّمن عليه بإمرة المؤمنين ، ففعلن ذلك ، وكان ممَّن أطنب في تهنئته بذلك المقام عمر بن الخطَّاب ، وقال فيما قال : « بخٍ بخٍ لك يا عليُّ ، أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة ».

وأخرج أحمد وغيره ان أبا بكر وعمر قالا له : أمسيت يبن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة (١) .

وأنشد حسَّان بن ثابت :

يناديهم يـومَ الغدير نبيُّهم * بخُمٍّ وأسمع بالنبـيِّ مناديـا

بأنِّي مولاكـم نعـمْ ووليُّكـم * فقالوا ولم يبدوا هنـاك التعاميا

إلهك مولانـا وأنـتَ وليُّنـا * ولاتجدن في الخلق للأمر عاصيا

فقـال له قـم يـا علـيُّ فإنَّني * رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فمـن كنت مـولاه فهذا وليُّـه * فكونوا له أنصـارَ صدقٍ مواليا

هنـاك دعـا : اللَّهمَّ والِ وليَّه * وكُن للذي عادى عليَّاً معاديا [٢]

إذن فحديث الغدير حديث صحيح بلغ حدَّ التواتر ، جمع كثير من

---

١) مسند أحمد ٤ : ٢٨١ ، فضائل الصحابة لاحمد بن حنبل ٢ : ٥٦٩|١٠١٦ و١٠٤٢|٦١٠ ، اسد الغابة ٤ : ٢٨ ، تفسير الرازي ١٢ : ٤٩ ـ ٥٠ ، روح المعاني للآلوسي ٦ : ١٩٤ ، الصواعق المحرقة : ٤٤.

٢) روى هذه الأبيات : الخوارزمي في مقتل الإمام الحسين ١ : ٤٧ الطبعة الاولى ، والجويني في فرائد السمطين ، من طريقين ١ : ٧٣ ـ ٧٤ ، تحقيق محمَّد باقر المحمودي ، مؤسَّسة المحمودي ، ١٩٧٨م ، وابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٣٣ ، والكنجي في كفاية الطالب : ٦٤ ، تحقيق هادي الأميني ، دار احياء تراث أهل البيت ، ط٣ ، وإعلام الورى ١ : ٢٦٢ ـ ٢٦٣. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

العلماء طرقه ـ كما رأينا سابقاً ـ لكنَّه لاقى من التأويل والكتمان ما لم يبلغه خبر قبله ولا بعده!

فصاحب (البداية والنهاية) على سبيل المثال ـ مع كل ما جمعه من طرق هذا الحديث ومصادره ـ يصرّ على اختزال دلالته إلى ردّ شكاوى نفر من الصحابة ، وفدوا معه من اليمن ، وكانوا على خطأ ، وهو على الصواب ، فيقول ابن كثير عن هذا الحديث : « فبيّن فيه فضل علي وبراءة عرضه ممّا كان تكلّم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن ، بسبب ما كان صدر منه إليهم » إلى قوله : « وذكر من فضل علي وامانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثيرة من الناس منه » (١) .

والالتواء والتحميل واضحان جداً في ما ذهب إليه ابن كثير وغيره هنا (٢) ، فشكاوى هؤلاء النفر كان

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ردّها في محلّها وأمام شهودها ، وبيّن فيها ما يمكن أن يبيّنه ، وقد أوردها ابن كثير كلّها. فأمرها لا يستدعي جمع كلّ الحجيج الذين بلغوا مئة ألف أو يزيدون !! ولا يستدعي أيضاً التأخير كل هذا الوقت ، منذ أول وفودهم مكة ، وحتى انقضاء الحج وعودتهم من مكة صوب أوطانهم! إنه تحميل كبير لا يرتضيه ناقد له فقه بالأخبار والسيرة ، لكنها مشكلة الركون لما استقر في أذهانهم ، بفعل الواقع السياسي الذي جانب هذا الحديث الشريف ودلالاته الناصعة.

وأقل ما يقال في تأويل ابن كثير ومن ذهب مذهبه إنهم خلطوا ، إن لم

---

١) البداية والنهاية ٥ : ١٨٣ ـ ١٨٩.

٢) في مناقشة دعاوى ابن كثير ، راجع : منهج في الانتماء المذهبي : ٩٥ ـ ١٢٤.

يكونوا عامدين فغافلين ، بين قضيتين منفصلتين ، قضية الشكوى الخاصة ، وقضية خطبة الغدير العامة على الملأ من المسلمين.

٥ ـ عليٌّ عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ساعات الوداع :

مرض النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعثة أُسامة :

لمَّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنوَّرة ، من حجِّ الوداع ، أقام أيَّاماً وعقد لأُسامة بن زيد ، على جُلَّة من المهاجرين والأنصار ـ منهم أبو بكر وعمر ـ وأمره أن يقصد حيث قُتل أبوه ، وقال له : « أوطئ الخيل أواخر الشام من أوائل الروم » ، فتكلَّم المنافقون في إمارته ، وقالوا : أمَّر غلاماً على جلَّة المهاجرين والأنصار! فاشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : « إن تطعنوا في إمارته ، فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل ، وإنَّه لخليق للإمارة ، وكان أبوه خليقاً لها » (١) .

واشتدَّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه ، فتأخَّر مسير أُسامة لمرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وثقل رسول الله ، ولم يشغله شدّة مرضه عن إنفاذ أمر الله ، فقال : « أنفذوا جيش

أُسامة »! قالها مراراً ، وإنَّما فعل عليه السلام ذلك لئلا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الإمامة ، ويطمع في الإمارة ، فيستوسق الأمر لأهله (٢).

وروى بعضهم أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما أحس منهم التباطؤ ، كان يكرر قوله :

---

١) الكامل في التاريخ ٢ : ١٨٢ ، الطبقات الكبرى ٢ : ١٤٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١١٣. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أمّر زيد بن حارثة ، أبا أسامة ، في غزوة مؤتة ، وفيها استشهد رضوان الله عليه.

٢) إعلام الورى ١ : ٢٦٣.

« أنفذوا بعثة أُسامة » ثم يقول : « لعن الله من تخلّف عنه » (١) .

وقد أثبتت المصادر التاريخية أنّ في هذا الجيش أُناساً من كبار الصحابة ، منهم أبو بكر وعمر (٢) .

الرزية كلُّ الرزية :

لم يكن موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلافة الإمام عليٍّ عليه السلام يوم غدير خُمٍّ آخر المواقف التي صرَّح فيها بأنَّه الوصي من بعده ، بل حينما اشتدَّ به مرضه وعلم بما ستقع به أُمَّته من الاختلاف من بعده ، أراد أن يصرِّح بها؛ فقال : « ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لا تضُّلون بعده أبداً » ثُمَّ أُغمي عليه ، وقام أحدهم ليلتمس الدواة والكتف ، فقال عمر : ارجع فإنَّه يهجر ـ أو غلبه الوجع ـ حسبنا كتاب الله!!

فمازال يمنع منها حتى كثر التنازع؛ فغضب النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وأخرجهم من عنده ، فقال ـ بعد أن عرضوا عليه الدواة والكتف ـ : « دعوني ، فالذي أنا فيه خير ».

هنا كان يتوجَّع ابن عبَّاس ويقول : « يوم الخميس ، وما يوم الخميس! » ثُمَّ بكى حتَّى بلَّ دمعه الحصى. فقيل له ـ والرواية عن سعيد بن جُبير ـ : يا ابن عبَّاس ، وما يوم الخميس ؟

قال : « اشتدَّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه ، فقال : « ائتوني أكتب لكم كتاباً لا

---

١) الشهرستاني | الملل والنحل ١ : ٢٩.

٢) ابن سعد الطبقات الكبرى ٤ : ٦٦ ، ترجمة اسامة بن زيد ، تهذيب تاريخ دمشق ٢ : ٣٩٥ ، ٣ : ٢١٨ ، مختصر تاريخ دمشق ٤ : ٢٣٧|٢٤٨ ، ٥ : ٥٦|١٢٩ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٧٧ ، تاريخ الخميس ٢ : ١٧٢.

تضلُّون بعدي » فتنازعوا ، وما ينبغي عند نبيٍّ تنازع ، وقالوا : ما شأنه ، أهَجَر ؟ استفهموه! قال : « دعوني ، فالذي أنا فيه خير » ». فكان ابن عبَّاس يقول : « إنَّ الرزية كلَّ الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم » (١) .

عليٌّ عليه السلام وآخر لحظات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

لمَّا كثر التنازع عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما رأينا سابقاً بشأن الكتاب ، وخرجوا من عنده ، قال : « رُدُّوا عَلَيَّ أخي عَلِيَّ بن أبي طالب ». ولمَّا حضر قال : « ادنُ منِّي » فدنا منه فضمَّه إليه ، ونزع خاتمه من يده ، فقال له : « خُذ هذا فضعه في يدك » ودعا بسيفه ودرعه ولامته ، فدفع جميع ذلك إليه ، وقال له : « اقبض هذا في حياتي » ودفع إليه بغلته وسرجها وقال : « امضِ على اسم الله إلى منزلك » (٢) .

وكان عليٌّ عليه السلام لا يفارقه الا لضرورة ، ولمَّا خرج لبعض شأنه قال لهم : « أُدعوا لي أخي وصاحبي » وفي رواية : « ادعو لي حبيبي » فدعوا له أبا بكر ، فنظر إليه ، ثم وضع رأسه ، ثم قال : « ادعو لي حبيبي » فدعوا له عمر ، فلما نظر إليه وضع رأسه ثم قال : « ادعو لي حبيبي » فقالت أُمُّ سلمة : أُدعوا له عليَّاً ، فدُعي أمير المؤمنين عليه السلام ، فلمَّا دنا منه أومأ إليه فأكبَّ

---

١) ذكرت بعدَّة صيغ في كلٍّ من : صحيح مسلم ـ كتاب الوصية ٣ : ١٦٣٧|١٢٥٧ ، مسند أحمد ١ : ٢٢٢ ، مسند أبي يعلى ٤ : ٢٤٠٩|٢٩٨ البداية والنهاية ٥ : ٢٠٠ ، الطبقات الكبرى ٢ : ١٨٨ ، صحيح البخاري ـ كتاب المرضى ٧ : ٣٠|٢١٩ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٨٢ ، إعلام الورى ١ : ٢٦٥ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٤٨٥ تحقيق الأستاذ خليل شحادة وسهيل زكار ، الملل والنحل ـ المقدّمة الرابعة : ٢٩.

٢) إعلام الورى ١ : ٢٦٦ ـ ٢٦٩.

عليه ، فناجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً (١) ولمَّا سُئل عن ذلك قال : « علَّمَني ألف باب من العلم ، فتح لي من كلِّ باب ألف باب (٢) ، ووصَّاني بما أنا قائمٌ به إن شاء الله » (٣).

ولمَّا قرب خروج تلك النفس الطيِّبة إلى جنان الخلد وسدرة المنتهى قال له : « ضع رأسي يا عليُّ في حجرك ، فقد جاء أمر الله عزَّ وجلَّ فإذا فاضت نفسي ، فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ، ثُمَّ وجِّهني إلى القبلة وتولَّ أمري ، وصلِّ عليَّ أوَّل الناس ، ولا تفارقني حتَّى تواريني في رمسي ، واستعن بالله عزَّ وجلَّ ».

ثمَّ قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه ، ففاضت نفسه ، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ، ثُمَّ وجَّهه وغمَّضه ومدَّ عليه إزاره واشتغل بالنظر في أمره..

ولمَّا أراد عليٌّ عليه السلام غسله استدعى الفضل بن العبَّاس ، فأمره أن يناوله الماء ، بعد أن عصَّب عينيه ، فشقَّ قميصه من قبل جيبه ، حتى بلغ به إلى سرَّته ، وتولَّى غسله وتحنيطه وتكفينه ، والفضل يناوله الماء ، فلمَّا فرغ من غسله وتجهيزه تقدَّم فصلَّى عليه (٤) .

---

١) انظر الحديث بألفاظه المتقاربة في : ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ٣ : ١٧|١٠٣٦ ، الرياض النضرة ٣ : ١٤١ ، ذخائر العقبى : ٧٣ ، المناقب للخوارزمي : ٢٩.

٢) كنز العمَّال ١٣ : ١١٤ ح|٣٦٣٧٢ ، ورواه ابن عساكر في تاريخه كما في ترجمة الإمام عليٍّ منه ٢ : ٤٨٥|١٠١٢ ، والجويني في فرائد السمطين ١ : ١٠١|٧٠.

٣) إعلام الورى ١ : ٢٦٦.

٤) إعلام الورى ١ : ٢٦٦ ـ ٢٦٩ ، ارشاد المفيد ١؛ ١٨٧ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١١٤ ، الطبقات الكبرى ٢ : ٢٠١ ـ ٢٠٢ ، ٢١٢ ـ ٢١٥ ، ٢٢٠ ، تهذيب الكمال ١٣ : ٢٩٨ ، مجمع الزوائد ، باب إسلامه ٩|١٠٣.

هذه خاتمة ثلاثين عاماً من الجهاد مع هذا الإنسان العظيم المسجَّى اليوم بين يدي عليِّ بن أبي طالب ، فكانت النهاية أن وارى جسده التراب وما أصعبها من نهاية!!

أمَّا البداية فقد احتضن محمَّد بن عبدالله عليَّاً في حجره وهو وليد ، وها هو عليٌّ يحتضن محمَّداً على صدره في آخر رمق من حياته ! آه فطبت حيًّا وميِّتاً..

ولنقرأ ما قاله عليُّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يصفُ هذه الخاتمة المؤلمة : « ولقد قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنَّ رأسه لعلى صدري ، ولقد سالت نفسه في كفِّي ، فأمررتُها على وجهي ، ولقد وُلِّيتُ غسله صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة أعواني ، فضجَّت الدار والأفنية : ملأ يهبط ، وملأ يعرج ، وما فارقتْ سمعي هينمةٌ منهم ، يصلُّون عليه ، حتَّى وارياه ضريحه » (١) .

وبعد هذه النهاية المفجعة تتساقطُ قطرات الدمع من عليٍّ عليه السلام حزناً منه على فراق أخيه محمَّد بن عبدالله ، الرسول ، الأمين صلى الله عليه وآله وسلم ، فيضجُّ صدره بالآلام والمحن ، ويقف على شفير قبر أخيه مطأطأ رأسه ، والدمع يجري كحبَّات لؤلؤ تناثرت على خدَّيه ، وهو يقول : « بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء ، خصَّصت حتى صرت مسلِّياً عمّن سواك ، وعمَّمت حتى صار الناس فيك سواء . ولولا أنك أمرت بالصبر ، ونهيت عن الجزع ؛ لانفدنا عليك ماء الشؤون » (٢).

---

١) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٩٧.

٢) نهج البلاغة ، الخطبة : ٢٣٥.

الباب الثاني

علي عليه السلام قبل تولي الخلافة

مدخل في خصائصه والأدلَّة على إمامته

في القرآن الكريم له أوفر نصيب ، وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم له الحظُّ الأوفر والذكر الأكثر والشأن الأكبر ، وفي أيام الإسلام كلها ، منذ ابتداء الإسلام ، وعلى امتداد أكثر من نصف قرن من عمر الإسلام ، له المناقب والمواقف والمفاخر ، التي لا تعرفها هذه الأُمَّة لرجل عاش معه أوجاء بعده ، بل وقبل الإسلام أيضاً ، حظي بما لم يحظَ به أحدٌ من البشر.

فهو أقرب الناس إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وأخصُّهم به ، نشأ في حجره ، يتَّبعه اتِّباع الصبي لأمِّه وأبيه ، يتلقى منه مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ومفاتح العلوم وأسرار الحياة وفلسفتها.

فإذا قال أهل العلم بالحديث كأحمد بن حنبل وغيره : « إنَّه لم يرد في الصحاح والحسان لأحد من الصحابة ما ورد لعليٍّ » (١) ، فإنَّما يقرِّون حقيقة شاهدها تأريخ صدر الإسلام كلِّه ، من هنا حقَّ لبعض أهل العلم القول : إنَّ

---

١) انظر : المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٠٧ ـ ١٠٨ ، الاستيعاب ٣ : ٥١ ، تاريخ الخلفاء : ١٣٣.

الحديث عن مناقب عليٍّ لا يعدو أن يكون نافلة وفضولاً ، تماماً كالحديث عن نور الشمس (١) .

وهذا هو الذي يفسّر لنا تكاثر الكتب الصغيرة والكبيرة في فضائله ومناقبه في ألوان متعددة ومن

جوانب مختلفة ، اجتمع فيها لرجل واحد ما لم يجتمع لعشرات الرجال في تاريخ الإسلام ، فماذا عسانا ذاكرين من ذلك كلِّه ؟!

سنقصر مادة هذا الفصل على باقة صغيرة ممَّا جاء في حقِّه ، نوزِّعها على محورين :

الأول : في ما اختصَّ به من مناقب لم يشركه فيها أحد ، الا أن يكون من أهل بيته خاصةً.

الثاني : في ما دلَّ على إمامته العظمى وخلافته المباشرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المحور الأول : خصائصه الخاصة

لقد تفرَّد عليٌّ عليه السلام بخصائص تستحق أن يفرد فيها كتاب لعظمتها وكثرتها ، وإنَّها لتؤلِّف كتاباً جيداً ، لا تكرار فيه ولا تشابه.

ولقد جرى ، قبل عهود التصنيف ، على ألسنة الصحابة ، أشياء من ذلك لم تجرِ بحقِّ غيره ، فمنهم من ذكر جملة منها تذكيراً بحقِّه ، وإنكاراً على أُناس جهلوه أو تجاهلوه ، ومنهم من ذكر له خصالاً يتمنى لو كانت له واحدة منها ، وبعض هذا الذي ورد على ألسنة الصحابة سنجعله مدخلاً لهذا

---

١) فضائل الإمام علي : ٢٨.

الفصل ، لننتقل بعده إلى فضائل وخصائص مفردة :

١ ـ تمنّى عمر بن الخطَّاب لنفسه واحدة من خصال ثلاث اجتمعن في عليٍّ عليه السلام ، فقال : لقد أُعطي عليُّ بن أبي طالب ثلاث خصال ، لأن تكون لي خصلة منها أحبُّ إليَّ من أن أُعطى حُمر النعم!

قيل : وما هنَّ يا أمير المؤمنين ؟

قال : تزوُّجه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسكناه المسجد مع رسول الله ، يحلُّ له فيه ما يحلُّ له ، والراية يوم خيبر (١) .

٢ ـ وسعد بن أبي وقَّاص يتمنَّى لنفسه واحدة من ثلاث أُخر اجتمعن في عليٍّ عليه السلام ويردُّ بها على معاوية اللعين ، وهو يراوده على سبِّ أمير المؤمنين عليه السلام !

قال معاوية لسعد : ما يمنعك أن تسبَّ ابن أبي طالب ؟

قال سعد : لا أسبُّه ما ذكرت ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن تكون لي واحدة منهن أحبُّ إليَّ من حُمر النعم!

قال معاوية : ما هنَّ يا أبا إسحاق ؟

قال : لا أسبُّه ما ذكرت حين نزل عليه الوحى؛ فأخذ عليَّاً وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ، ثُمَّ قال : « ربِّ إنَّ هؤلاء أهل بيتي ».

ولا أسبُّه ما ذكرت حين خلَّفه في غزوة تبوك ، غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له علي : « خلَّفتني على الصبيان والنساء! » قال : « ألا ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى ؟ الا أنَّه لا نبيَّ بعدي ».

---

١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣٥ |٤٦٣٢.

ولا أسبُّه ما ذكرت يوم خيبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لأُعطينَّ هذه الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويفتح الله على يديه » فتطاولنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « أين عليٌّ » ؟ قالوا : هو أرمد.

فقال : « ادعوه » فدعوه ، فمسح عينيه بريقه ، ثُمَّ أعطاه الراية ففتح الله عليه (١).

٣ ـ وسعد أيضاً يذكر ثلاث خصال أُخر لعليٍّ عليه السلام يتمنَّى إحداهنَّ ، ويشهد منهن بفضل عليٍّ وحقِّه ، رغم أنَّه قد تخلَّف عنه في حروبه..

قيل لسعد : إنَّ عليَّاً يقع فيك أنَّك تخلَّفت عنه.

فقال سعد : والله إنَّه لرأي رأيته ، وأخطأ رأيي! إنَّ عليَّ بن أبي طالب أُعطي ثلاثاً لأن أكون أُعطيت إحداهنَّ أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها :

لقد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خُمٍّ ، بعد حمد الله والثناء عليه : « هل تعلمون أنِّي أولى بالمؤمنين ؟ » قلنا : نعم. قال : « اللَّهمَّ من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، والِ من والاه

وعادِ من عاداه ».

وجيء به يوم خيبر وهو أرمد ما يبصر ، فقال : « يا رسول الله إنِّي أرمد ». فتفل في عينيه ودعا له فلم يرمد حتى قُتل ، وفتح عليه خيبر.

وأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمَّه العبَّاس وغيره من المسجد ، فقال له العبَّاس : تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك ، وتسكن عليَّاً ؟!

فقال : « ما أنا أخرجتكم وأسكنته ، ولكنَّ الله أخرجكم وأسكنه » (٢) .

٤ ـ وعبدالله بن عبَّاس ، في حديث أكثر جمعاً ، يردُّ على نفر ينتقصون

---

١) المستدرك ٣ : ١١٧|٤٥٧٥.

٢) المستدرك ٣ : ١٢٦|٤٦٠١.

من عليٍّ عليه السلام في أيَّام معاوية ، فيقول : أُفٍّ ، وتُفٍّ!! وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره!

ثُمَّ ينطلق ابن عبَّاس يذكر نماذج من هذه الفضائل ، فيبدأ بحديث راية خيبر ، ثُمَّ يقول : ثُمَّ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلاناً بسورة التوبة ، فبعث عليَّاً خلفه فأخذها منه ، وقال : « لا يذهب بها الا رجل هو منِّي وأنا منه ». ثُمَّ يذكر قول النبيِّ له : « أنت وليِّي في الدنيا والآخرة ».. وأنَّ عليَّاً أول من آمن .. وحديث الكساء وآية التطهير.. وحديث مبيت عليٍّ في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الهجرة .. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أما ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى الا أنَّه ليس بعدي نبي ، إنَّه لا ينبغي أن أذهب الا وأنت خليفتي ».. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي ومؤمنة ».. وحديث سدِّ الأبواب الا باب عليٍّ ، وحديث الغدير : « من كنت مولاه... » الحديث (١) .

ونظائر هذا ممَّا ورد على ألسنة الصحابة فيه عليه السلام كثير وكثير ، نكتفي بهذا القدر منه ، لننتقل إلى إفراد بعض خصائصه عليه السلام ، ممَّا نزل فيه من القرآن الكريم ، وممَّا جاء فيه في الحديث

الشريف :

أولاً : في القرآن الكريم :

١ ـ نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

عليٌّ أحد المدعوين في مباهلة وفد نصارى نجران ، إذ قال عزَّ من قائل : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللهِ

---

١) مسند أحمد ١ : ٣٣١ ، المستدرك ٣ : ١٤٣|٤٦٥٢.

عَلَى الْكَاذِبِين) (١) ، أولئك هم الذين اصطفاهم الله وانتخبهم رسول الله : عليٌّ وفاطمة والحسنان عليهما السلام ، بهم خلَّد التأريخ حدثاً عظيماً يعدُّ من احدى معاجز حضرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وأجمع المفسِّرون على أنَّ المقصود من (أنفسنا) نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونفس عليٍّ عليه السلام (٢) .

٢ ـ عليٌّ عليه السلام من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاصَّته :

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌّ وفاطمة والحسنان عليهما السلام هم المدعوون بأصحاب الكساء الخمسة ، والمشار إليهم بقوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (٣) .

نزل الروح الأمين بهذه الآية المباركة ، حينما جلَّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام بكساءٍ حبري ، وغشَّاهم به ، ثُمَّ أخرج يديه المباركتين فألوى بهما إلى السماء ، ثُمَّ قال : « اللَّهمَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصَّتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيرا » (٤) .

١) سورة آل عمران : ٦١.

٢) انظر : معالم التنزيل البغوي ١ : ٤٨٠ ، الكشّاف | الزمخشري ١ : ٣٧٠ ، أسباب النزول | الواحدي : ٧٤ ـ ٧٥ ، دار ومكتبة الهلال بيروت ١٩٩١م ، صحيح مسلم ٤ : ١٨٧١|٣٢ ـ ٢٤٠٤ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٧٢٤|٦٣٨ ، سير أعلام النبلاء (سيرة الخلفاء الراشدين) : ٢٣٠.

٣) سورة الأحزاب : ٣٣.

٤) من مصادر حديث الكساء : تفسير الرازي ٨ : ٨٠ ، أسباب النزول : ٢٥٢ ، مسند أحمد ٤ : ١٠٧ و٦ : ٢٩٢ ، ٣٠٤ ، صحيح مسلم ـ كتاب فضائل الصحابة ٤ : ٢٤٢٤|١٨٨٣ ، مصابيح السُنَّة ٤ : ٤٧٩٦|١٨٣ ، المستدرك ٢:٤١٦ و٣ : ١٤٨ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٢٨٣ ، الصواعق المحرقة ، باب ١١ الفصل١ : ١٤٣ ، الخصائص : ٤ ، شواهد التنزيل ٢ : ٦٣٧|٩٢ ـ ٧٧٤ ، أُسد الغابة ٤ : ٢٩ ، الخصائص الكبرى للسيوطي ٢ : ٤٦٤ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ ، الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩ : ٦٩٣٧|٦١.

٣ ـ القرآن الكريم يأمر بالصلاة على آل بيت النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم :

ولمَّا كان الإمام عليٌّ عليه السلام من أهل بيت محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فله شأن في قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (١) وممَّا لاريب فيه كانت هذه « الصلاة » من الواجبات في حال التشهد؛ لما ثبت بالتواتر حينما سألوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : كيف نصلِّي عليك يا رسول الله ؟

فقال : « قولوا : اللَّهمَّ صلِّ على محمدٍ وآل محمدٍ ، كما صلَّيت على إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك على محمدٍ وآل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم » (٢) .

وفي هذا الشأن أنشد الشافعي أبياته الشهيرة :

يا أهل بيت رسول الله حبُّكمُ * فرضٌ من الله في القرآن أنزله

كفاكمُ من عظيم الشأن أنَّكمُ * مَنْ لم يُصلِّ عليكم لا صلاة له (٣)

٤ ـ على عليه السلام يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله :

تخلَّف عليٌّ عليه السلام يوم الهجرة ليبيت في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويصرف الأعداء عنه ، ويؤدّي الأمانات إلى أهلها ، حتى تكتمل رسالة الإسلام المحمَّدية ، فنزل فيه قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَاد) (٤) .

---

١) سورة الأحزاب : ٥٦.

٢) صحيح البخاري ٦ : ٢١٧|٢٩١ ، الترمذي ٥ : ٣٥٩|٣٢٢.

٣) الصواعق المحرقة باب ١١ فصل١ : ١٤٨.

٤) سورة البقرة : ٢٠٧ ، وانظر التفسير الكبير ٥ : ٢٠٤.

---

٥ ـ عليٌّ عليه السلام وسورة الدهر :

لم يختلف أهل التفسير على أنَّ سورة « الانسان » أو « هل أتى » نزلت خاصَّةً في عليٍّ وأهل بيته عليهم السلام (١) ، في قصَّة التصدُّق على المسكين واليتيم والأسير ، (فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً... إِنَّ هذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً) (٢) .

٦ ـ في بيوت أذن الله أن ترفع :

لمَّا تلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى : (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَال) (٣) ، قيل له : أي بيوت هذه ؟!

قال عليه أفضل الصلاة وأتمُّ السلام : « بيوت الأنبياء » ، ثُمَّ قيل له : هذا البيت منها ـ إشارة إلى بيت عليٍّ وفاطمة عليها السلام ـ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « نعم ، من أفاضلها » (٤).

٧ ـ بعليٍّ كفى الله المؤمنين القتال :

في استبساله يوم وقعة الأحزاب قيل : إنَّ الآية المباركة : (وَرَدَّ اللهُ

---

١) أنظر : الكشّاف ٤ : ٦٧٠ ، تفسير الرازي ٣٠ : ٢٤٣ ، فتح الباري | الشوكاني ٥ : ٣٤٩ ، روح المعاني ٢٩ : ١٥٧ ـ ١٥٨ ، معالم التنزيل ٥ : ٤٩٨ ، تفسير أبي السعود ٩ : ٧٣ ، تفسير البيضاوي ٢ : ٥٥٢ ، تفسير النسفي ٣ : ٦٢٨ ، أسباب النزول : ٣٢٢.

٢) سورة الإنسان : ١١ و٢٢.

٣) سورة النور : ٣٦.

٤) الدرُّ المنثور ، عند تفسير الآية ، وقال : أخرجه ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة ، وذكره الحاكم في شواهد التنزيل : من سورة النور |٥٦٧ ـ ٥٦٨ ، والآلوسي في روح المعاني ١٨ : ١٧٤.

الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَال) (١) نزلت في الإمام عليٍّ عليه السلام. حتى أنَّ ابن مسعود كان يقرأ الآية : (وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَال) بعليٍّ بن أبي طالب (٢) .

٨ ـ ليس أفضل من إيمان عليٍّ عليه السلام وجهاده في سبيل الله :

والآية الكريمة تشهد بجهاد عليٍّ وبطولاته : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَيَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُون) (٣) ، عند تفاخر « العبَّاس وطلحة » بالسقاية وسدانة الكعبة (٤) .

ثانياً : في الحديث الشريف :

١ ـ أوَّلهم إسلاماً :

ومَنْ أصدق من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال لعليٍّ : « أنت أوَّل مَنْ آمن بي ، وأنت أول من يصافحني يوم القيامة ، وأنت الصدِّيق الأكبر ، وأنت الفاروق تفرِّق بين الحقِّ والباطل ، وأنت يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكافرين » (٥)

١) سورة الأحزاب : ٢٥.

٢) أنظر : دلائل الصدق ٢ : ١٧٤ ، ما نزل من القرآن في عليٍّ | أبو نعيم : ١٧٢ ، تحقيق المحمودي.

٣) سورة التوبة : ١٩ ـ ٢٠.

٤) أنظر أصحاب التفاسير المعتمدة كالطبري والبغوي والقرطبي وابن الجوزي والرازي والخازن ، عند تفسير الآيات من سورة التوبة.

٥) إرشاد المفيد ١ : ٣١ ـ ٣٢ ، إعلام الورى ١ : ٣٦٠ ـ ٣٦١ ، مناقب ابن شهرآشوب ٢ : ٦ ، أنساب الأشراف ٢ : ١١٨|٧٤ ، وكذا نقله المجلسي في البحار ٣٨ : ٢٢٧|٣٣.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « السُّبَّق ثلاثة : السابق إلى موسى : يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى : صاحب ياسين ، والسابق إلى محمَّدٍ : عليُّ بن أبي طالب » (١) .

وحينما اختصَّه بمصاهرته في فاطمة سيِّدة النساء ، قال لها : « لقد زوَّجتك أعظمهم حلماً ، وأقدمهم سلماً ، وأكثرهم علماً » (٢) .

لو لم تكن لعليٍّ عليه السلام سوى هذه الخصال لكفاه ذلك فخراً ، وفضلاً ، وعزَّاً على غيره من العالمين!

٢ ـ أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره :

من يجهل حديث المؤاخاة ، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا أخوك وأنت أخي » (٣) ؟! فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يأخِّره حينما آخى بين المهاجرين والأنصار الا لنفسه ، ليكون أخاه ووارثه ، ي

٣ ـ وأحبُّ الخلق إلى الله :

ذات ليلة أُهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طير مشوي ، فلم تطب نفسه أن يأكله لوحده ، فدعا ربَّه قائلاً : « اللَّهمَّ.. ائتني بأحبِّ الخلق إليك ليأكل معي هذا الطير » كان يتمنَّى أن يأكل معه أحبُّ الخلق إلى الله عزَّ وجلَّ لتتمَّ البركة ويعمَّ الفضل ، وإذا طارق يحوم حول الباب ، وكان هناك من يمنعه ، يرجع ويعود يطرق الباب ، حتى أذن له في الثالثة أو الرابعة ، وإذا به عليُّ بن أبي طالب ، ولمَّا رآه رسول الله قال : « ما حبسك عنِّي » ؟! قال عليه السلام : « والذي بعثك بالحقِّ نبيَّاً إنِّي لأضربُ الباب ثلاث مرَّات ويردَّني أنس » (١) .

هكذا التقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أحبِّ الخلق إليه والى الله على مائدة النور.

٤ ـ الا باب عليٍّ :

لمّا كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبواب شارعة في المسجد النبوي الشريف ، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسدِّ الأبواب الا باب عليٍّ عليه السلام فتكلَّم الناس في ذلك ، فلمَّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولهم ، قام وخطب فيهم فقال : « أمَّا بعد.. فإنِّي أُمرتُ بسدِّ هذه الأبواب الا باب عليٍّ ، وقال فيه

---

١) أنظر قصَّة الطائر المشوي بالمصادر التالية : سنن الترمذي ٥ : ٦٣٦|٣٧٢١ ، الخصائص للنسائي : ٥ ، فضائل الصحابة| أحمد بن حنبل ٢ : ٥٦٠|٩٤٥ ، المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣٠ ـ ١٣٢ ، مصابيح السُنَّة ٤ : ١٧٣|٤٧٧٠ ، أُسد الغابة ٤ : ٣٠ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٦٣ ، جامع الأصول ٩ : ٤٧١ ، الرياض النضرة ٣ : ١١٤ ـ ١١٥ ، وقال الخوارزمي في مقتل الإمام الحسين : ٤٦ : أخرج ابن مردويه هذا الحديث بمائة وعشرين إسناداً ، تذكرة الحفَّاظ : ١٠٤٣.

قائلكم ، والله ما سددته ولا فتحته ، ولكنّي أُمرتُ فاتبعته » (١).

ومثله حديث « المناجاة » يوم الطائف ، حيث قال الناس : لقد أطال نجواه مع ابن عمّه! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أنا انتجيته ، ولكنَّ الله انتجاه » (٢) .

٥ ـ الذائد عن الحوض :

إنَّه صاحب حوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة ، يثبته قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « كأنّي أنظر إلى تدافع مناكب أُمَّتي على الحوض ، فيقول الوارد للصادر : هل شربت ؟ فيقول : نعم ، والله لقد شربت ، ويقول بعضهم : لا والله ما شربت فيا طول عطشاه » (٣) .

وقال لعليٍّ عليه السلام : « والذي نبَّأ محمَّداً وأكرمه ، إنَّك لذائد عن حوضي ، تذود عنه رجالاً ، كما يذاد البعير الصادي عن الماء ، بيدك عصا من عوسج كأنّي أنظر الى مقامك من حوضي » (٤) .

وفي رواية عن عليٍّ عليه السلام قال : « والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة ، لأقمعنَّ

---

١) سنن الترمذي ٥ : ٢٧٣٢|٦٤١ ، مسند أحمد ١ : ٣٣١ ، فضائل الصحابة ٢ : ٩٨٥|٥٨١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧ : ١٣ ، المستدرك ٣ : ١٢٥ ، مجمع الزوائد ٩ : ١١٤ ـ ١١٥ ، الرياض النضرة ٣ : ١٥٨ ، الخصائص للنسائي : ١٣ ، الإصابة ٤ : ٢٧٠ ، جامع الأصول ٩ : ٦٤٩٤|٤٧٥ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٧٤ و٣٧٩ ، الخصائص بتخريج الأثري ح|٢٣ ، ٤١.

٢) سنن الترمذي ٥ : ٣٧٢٦|٦٣٩ ، مصابيح السُنَّة ٤ : ٤٧٧٣|١٧٥ ، جامع الأصول ٩|٦٤٩٣ ، تذكرة الخواص : ٤٢ ، مناقب الخوارزمي : ٨٢ شرح نهج البلاغة ٩ : ٢١|١٧٣ ، الرياض النضرة ٣ : ١٧٠ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٦٩.

٣) إعلام الورى ١ : ٣٦٩ ، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٣٩ : ٦|٢١٦.

٤) مناقب ابن شهرآشوب ٢ : ١٦٣ ، مناقب الخوارزمي : ٦٠.

بيدي هاتين عن الحوض أعداءنا ، ولأوردنَّ أحبَّاءنا » (١) .

٦ ـ (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ) [٢] :

خصَّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره بساعة من السحر ، يأتيه فيها كلَّ ليلة ، يطرق الباب ـ وذلك عند نزول الآية ـ ويقول : « الصلاة ، رحمكم الله ، إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً » (٣) .

٧ ـ على عليه السلام يبلِّغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمرٍ من السماء :

لمَّا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر بتبليغ سورة براءة أميراً على الحج.. بعث خلفه عليَّاً عليه السلام ليأخذها منه! فيعود أبو بكر ويسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أحدث فيَّ شيء ، يا رسول الله ؟ فيقول صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ، ولكنِّي أُمرت الا يبلِّغ عنِّي الا أنا أو رجل منِّي » (٤) .

٨ ـ كرَّار وليس بفرَّار :

تقدّمت قصة خيبر ، ورجوع صاحب الراية الأول ، ثم الثاني يجبّن أصحابه ويجبّنونه.

وإذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم ـ والرواية عن عليٍّ عليه السلام ـ ويقول : « والذي نفسي بيده ، لأُعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله ، كراراً ليس بفرَّار ، يفتح الله على يديه ، فأرسل إليَّ وأنا أرمد؛ فتفل في عينيَّ

---

١) مناقب ابن شهرآشوب ٢ : ١٦٢.

٢) سورة طه : ١٣٢.

٣) تفسير القرطبي ١١ : ١٧٤ ، تفسير الرازي ٢٢ : ١٣٧ ، روح المعاني ١٦ : ٢٤٨ ، وانظر الخصائص بتخريج الأثري ح|١١٢ ، ١١٣ ، وخرَّجه النسائي وابن ماجة وابن خزيمة من وجوه.

٤) مسند أحمد ١ : ٣ ، ٣٣١ و٣ : ٢١٢ ، ٢٣٨ و٤ : ١٦٤ ، ١٦٥ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٩٨.

وقال : اللَّهمَّ اكفه أذى الحرّ والبرد ، فما وجدتُ حرَّاً بعدُ ولا برداً » (١) .

هذه بعض الخصائص التي ذكرها أهل المناقب والسير ، في حقِّ أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ووصيِّه ، ووزيره ، وأمينه ، وخليفته من بعده على أُمَّته فلولاه « لم تثبت الملَّة ، ولا استقرت الشريعة ، ولا ظهرت الدعوة ،فهو عليه السلام ناصر الإسلام ووزير الداعي إليه ، من قبل الله عزَّ

وجلَّ ، وبضمانه لنبيِّ الهدى عليه السلام النصرة ، تمَّ له في النبوَّة ما أراد ، وفي ذلك من الفضل ما لا توازنه الجبال فضلاً ، ولا تعادله الفضائل كلُّها محلاً وقدراً » (٢) .

المحور الثاني : النصوص الدالَّة على إمامته عليه السلام :

قال تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُون) (٣) .

قال المفسِّرون : إنَّ معناها لنجعلنَّ من أُمّتك أئمةً يهدون مثل تلك الهداية ، لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين (٤) . فهذه الآية الكريمة ـ وغيرها من الآيات ـ (٥) تفيد وجوب الإمام في كلِّ زمان ،

---

١) خصائص النسائي : ٣٩|١٤ و١٥٩|١٥١ ، تاريخ ابن عساكر ـ ترجمة الامام علي عليه السلام ، مجمع الزوائد ٩ : ١٢٢ ، إعلام الورى ١ : ٣٦٤ ، سنن ابن ماجة ١ : ٤٣ ، مسند أحمد ١ : ٩٩ و١٣٣ ، مستدرك الحاكم ٣ : ٣٧ ، وانظر فرائد السمطين ١ : ٢٥٣|١٩٦ و٢٦١|٢٠١.

٢) إرشاد المفيد ١ : ٥٠ ـ ٥١.

٣) سورة السجدة : ٢٤.

٤) الكشَّاف ٣ : ٥١٦ ، روح المعاني ٢١ : ١٣٨ ، تفسير الرازي ٢٥ : ١٨٦ ، تفسير النسفي ٣ : ٤٥ ، تفسير أبي السعود ٧ : ٨٧.

٥) مثل : سورة المائدة : ٥٥ ـ ٥٦ ، سورة النساء : ٧١.

ولمَّا كان الإمام موجوداً بأمر من الله عزَّ وجلَّ فوجب علينا حقُّ طاعته ونصرته ، كما قال تعالى : (يَاأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُم) (١) .

وكذا السُنَّة المطهَّرة فرضت علينا معرفة الإمام والاقتداء به ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من مات وليس عليه إمام فإنَّ موتته موتة جاهلية » (٢) ، وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام بوجوب طاعة الإمام وموالاته : « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (٣) .

إذن فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك أُمَّته دون إمام يقود زمامها من بعده ، وذلك بأمرٍ من السماء ، إذ قال عزَّ من قائل : (وَإن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه) فما هو جواب الرسول الذي

سيملأ هذا الفراغ ؟ سيتَّضح ذلك من خلال الأسطر التالية التي تكشف عن حقيقة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمارس إعداد الخليفة من بعده عملياً ونظرياً :

١ ـ اسمعوا لعليٍّ وأطيعوا :

لمَّا نزل قوله تعالى : (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين) رفع شأن عليٍّ عليه السلام على آله وعشيرته أجمعين ، وخصَّه بمنزلة لا يشركه فيها أحد ، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام بشأنه يوم الانذار : « إنَّ هذا أخي ، ووصيي ،

---

١) النساء : ٥٩.

٢) ورد هذا الحديث بعدَّة صيغ ، انظر : مسند أحمد ٤ : ٩٦ ، كنز العمَّال ١ : ١٠٣|٤٦٤ ، المستدرك على الصحيحين ١ : ١١٧ ، مجمع الزوائد ٥ : ٢١٨ ، ٢٢٤ ، الدرُّ المنثور ٢ : ٢٨٦ ـ عند الآية (١٠٣) من سورة آل عمران ، ينابيع المودَّة : ١١٧.

٣) صحيح مسلم ـ كتاب الإمارة ٣ : ١٤٧٨|٥٨ ـ (١٨٥١) ، جامع الأصول ٤ : ٤٦٣|٢٠٦٥.

وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا » (١) .

٢ ـ وأولى بالناس من أنفسهم :

بشأنه عليه السلام نزل قول الله عزَّ وعلا : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون) (٢) حينما تصدَّق بخاتمه حال الصلاة (٣) .

وأثبت الآلوسي في تفسيره ، من شعر حسَّان بن ثابت في هذه الحادثة ، قال : فأنشد حسَّان :

أبا حسـنٍ تفديك نفسي ومهجتـي * وكلُّ بطـيءٍ في الهدى ومسارعِ

فأنت الذي أعطيـتَ إذ كنت راكعاً * زكاةً ، فدتك النفس يا خير راكعِ

فأنـزلَ فيـك اللهُ خيـرَ ولايـةٍ * وبيَّنهـا في محكمـاتِ الشرائعِ

وإذ كان أمير المؤمنين عليه السلام ـ بحكم القرآن ـ أولى بالناس من أنفسهم ، لكونه وليَّهم بالنصِّ في

التبيان ، وجبت طاعته على كافتهم بجليِّ البيان ، كما وجبت طاعة الله وطاعة رسوله عليه وآله السلام ، بما تضمَّنه الخبر عن

---

١) أنظر تاريخ الطبري ٢ : ٣٢١ ، الكامل في التاريخ ١ : ٥٨٧ ، السيرة الحلبية ١ : ٤٦١ ، شرح نهج البلاغة ١٣ : ٢١١ ، ٢٤٤ ، تفسير البغوي ٤ : ٢٧٨ ، تفسير الخازن ٣ : ٣٧١ ـ ٣٧٢.

٢) سورة المائدة : ٥٥.

٣) انظر قصة تصدُّقه بالخاتم في تفسير الطبري ٦ : ١٨٦ ، أسباب النزول للواحدي : ١١٤ ، تفسير الرازي ١٢ : ٢٦ ، تفسير أبي السعود ٢ : ٥٢ ـ دار إحياء التراث العربي ، تفسير النسفي ١ : ٤٢٠ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ، تفسير البيضاوي ١ : ٢٧٢ ـ دار الكتب العلمية ، ط١ ـ ١٤٠٨هـ ، معالم التنزيل للبغوي ٢ : ٢٧٢ ، لباب النقول في أسباب النزول | السيوطي : ٩٣ ـ دار إحياء العلوم ـ بيروت ، ط٣ ـ ١٤٠٦هـ ، فتح القدير | الشوكاني ٢ : ٥٣ ـ دار إحياء التراث العربي ، روح المعاني | الآلوسي ٦ : ١٦٧ ـ ١٦٩ دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥هـ ، فضائل الصحابة ٢ : ٦٧٨|١١٥٨ ، جامع الأصول ٩ : ٤٧٨|٦٥٠٣ ، الكشَّاف | الزمخشري ١ : ٦٤٩ ، ط١.

ولايتهما للخلق في هذه الآية بواضح البرهان (١) .

٣ ـ إنَّ عليَّاً مولى المؤمنين :

قُمَّت شجيرات الغدير ، وتجمَّع الحشد الهائل من حجَّاج بيت الله الحرام ، وإذا بالصمت يخطف الوجوه ، فماذا عسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلغ في حرِّ الرمضاء وساعة الظهيرة ؟

وإذا بجبرئيل الأمين يكفي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمر بما فيه إكمال الدين وإتمام النعمة على المسلمين ، بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس) (٢) .

ثمَّ فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاية عليٍّ عليه السلام على الشاهد والغائب؛ فقال : « من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللَّهمَّ والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، واخذل من خذله ، وانصر من نصره » ، وبعد فرض الولاية نزل قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (٣) .

فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحمدالله على إكمال الدين ورضا الربِّ برسالته وولاية عليٍّ عليه السلام من بعده ، فأصبح عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة.

---

١) إرشاد المفيد ١ : ٧.

٢) سورة المائدة : ٦٧.

٣) سورة المائدة : ٣.

وحديث الغدير هذا حديث صحيح (١) ، قد بلَّغ حدَّ التواتر عند جميع المسلمين (٢) كما مرَّ بنا سابقاً.

٤ ـ الوزارة والخلافة :

في نصّ حديث المنزلة يتفرّد عليّ بمنزلة لا يشاركه في مثلها أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يا عليُّ : « أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى ، الا أنَّه لا نبيَّ بعدي » استثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النبوَّة ، وأوجب له ما دون ذلك من الخصائص ، فهو الوزير بعده والخليفة على أُمَّته.

وحديث المنزلة هذا حديث متواتر لا خلاف فيه (٣) .

وأنَّ القول بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام يقتضي حصول جميع منازل هارون من موسى لأمير المؤمنين عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ ما خصّه الاستثناء المنطوق به في الخبر من النبوة. وإن من منازل هارون من موسى عليهما السلام هي : الشركة في النبوَّة ، والأخوة ، والتقدُّم عنده في الفضل والمحبَّة والاختصاص على جميع قومه ، والخلافة له في حال غيبته على أُمَّته ، وغيرها من المنازل ، فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استثنى ما لم يرده من المنازل

---

١) أنظر : مسند أحمد ٤ : ٢٨١ ، ٣٦٨ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١١١ ـ ١١٢ ، السيرة الحلبية ٣ : ٣٣٦ ، مستدرك الحاكم ٣ : ١٤٨ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٧٨٨|٦٦٣ ، صحيح مسلم ـ كتاب فضائل الصحابة ٤ : ١٨٧٣ |٢٤٠٨ من عدَّة طرق ، تهذيب الكمال ١٣ : ٣٠٢ ، فتح القدير ٢ : ٦٠ ، الدرُّ المنثور ٣ : ١١٧ ، أسباب النزول : ١١٥ ، تفسير المنار|محمد رشيد رضا ٦ : ٤٦٣ ، تفسير الرازي ١٢ : ٤٩ ـ ٥٠ ، الرياض النضرة ٣ : ١٢٧ ، مناقب أمير المؤمنين | الحافظ محمد

بن سليمان الكوفي القاضي ١ : ١١٩.

٢) أنظر : البداية والنهاية ٥ : ٢٣٣.

٣) تقدَّمت مصادر هذا الحديث سابقاً ، وانظر : مصنف ابن أبي شيبة ـ فضائل عليٍّ ٧ : ٤٩٦ |١١ ـ ١٥ ، السيرة النبوية لابن حبَّان : ١٤٩.

بعده بقوله : « إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي » فدلَّ هذا الاستثناء على أنَّ ما لم يستثنه حاصل لأمير المؤمنين عليه السلام بعده ، وإذا كان من جملة المنازل الخلافة في الحياة ، وثبتت بعده ، فقد تبيَّن صحَّة النصِّ عليه بالإمامة (١) .

٥ ـ لن يخرجكم من هدى ولن يُدخلكم في ضلالة :

وذلك من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأُمَّته : « من أحبَّ أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنَّة عدنٍ غرسها ربِّي ، فليتولَّ عليَّ بن أبي طالب ، فإنَّه لن يُخرجكم من هدى ، ولن يُدخلكم في ضلالة » (٢) .

وفي هذا دلالة واضحة على فرض ولاية الإمام عليٍّ عليه السلام ، كما يصرِّح مرَّة أُخرى عليه أفضل السلام بقوله : « يا عليُّ ، أنت تبيِّن لأُمَّتي ما اختلفوا فيه من بعدي » (٣) .

٦ ـ لا ، لكنَّه علي! :

عليٌّ عليه السلام هو الذي قال عنه رسول الله : « إنَّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » فتطاولت لذلك الأعناق كلٌّ يقول : أنا هو! وفيهم أبو بكر وعمر ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « لا ، لا ، لكنَّه عليٌّ » (٤).

---

١) إعلام الورى ١ : ٣٣١ ـ ٣٣٢ بتصرُّف.

٢) المستدرك : ٢ : ١٢٨ ، لسان الميزان ٢ : ٣٤ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٠٨ كنز العمَّال. ١١ : ٦١١|٣٢٩٦٠.

٣) المستدرك ٣ : ١٢٢ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، حلية الأولياء ١ : ٦٤ ، تاريخ ابن عساكر ـ ترجمة الإمام علي ٢ : ٤٨٦|١٠١٤ ـ ١٠١٨ ، مناقب الخوارزمي : ٢٣٦ ، كنز العمَّال ١١|٣٢٩٨٣.

٤) أنظر : مسند أحمد ٣ : ٨٢ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٩٨.

٧ ـ كلُّهم من قريش :

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يمارس تعيين الخلفاء من بعده؛ فصرَّح بأنَّهم « اثنا عشر خليفة » لكن خصَّص المنبع الأصيل لهذه الخلافة « كلُّهم من قريش »!

وهذا حديث متواتر أيضاً رواه أصحاب الصحاح والسنن وغيرهم (١) ».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم بشأن عليٍّ عليه السلام : « إنَّه منِّي وأنا منه ، وهو وليُّكم بعدي... إنَّه منِّي وأنا منه وهو وليُّكم بعدي » يكرِّرها (٢) ، يحدّد أنه هو أول الخلفاء الأثني عشر القرشيين.

٨ ـ قاتل الفَجَرة :

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « عليٌّ أمير البررة ، قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله » (٣).

٩ ـ حقُّه لازم لنا ، وفضله مبرَّز :

من رسالة معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر ، وهي الرسالة التي أشار إليها الطبري ، ثُمَّ قال : كرهت ذكرها لأمور لا تحتملها العامَّة!

---

١) أنظر : صحيح البخاري ـ الأحكام ـ باب ٥١ ح|٦٧٩٦ ، صحيح مسلم ـ الإمارة ح|١٨٢١ ـ ١٨٢٢ ، مسند أحمد ١ : ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، سنن أبي داود ح|٤٢٨٠ ، سنن الترمذي ـ كتاب الفتن : ٤|٢٢٢٣ ، مصابيح السُنَّة ٤ : ح|٤٦٨٠.

٢) مسند أحمد ٥ : ٣٥٦ ، خصائص النسائي : ح|٨٧ ، ومثله انظر : المستدرك ٣ : ١٣٤ ، سنن الترمذي ٥ : ح|٣٧١٢ ، المصنَّف ابن أبي شيبة : ح٧ ـ فضائل علي ح|٥٨ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبَّان ٩ : ٤١ ح|٦٨٩٠.

٣) تفسير الرازي ١٢ : ٧٦ ، كنز العمال ١١|٣٢٩٠٩ ، فضائل الصحابة ٢ : ٦٧٨|١١٥٨.

قال فيها معاوية مخاطباً محمَّد بن أبي بكر : « قد كنَّا وأبوك معنا في حياة نبيِّنا نرى حقَّ ابن أبي طالب

لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا » (١) .

ومن قول محمَّد بن أبي بكر في رسالته إلى معاوية ، يصف فيها عليَّاً عليه السلام : « وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيُّه ، وأبو ولده ، أوَّل الناس له اتِّباعاً ، وأقربهم به عهداً ، يخبره بسرِّه ويطلعه على أمره » (٢) .

١٠ ـ لن تضلّوا بعده :

إضافة إلى هذا الاجراء النظري الصريح بخلافة عليٍّ عليه السلام وولايته ، أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينفِّذ إجراءً عملياً بحقِّه عليه السلام مرّة بعد أخرى قبيل رحيله.. ففي الأولى أمر بدواة وكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده ، لكنَّها كانت الرزية التي أبكت ابن عبَّاس ، حتى بلَّ دمعه الحصى!

قد حالوا دون كتابة الكتاب الذي سيكون آخر شهادة حقٍّ ناطقة بولاية عليٍّ عليه السلام وإذا بقول أحدهم : « حسبنا كتاب الله » لكنّ كتاب الله يقول : (مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ الله) (٣) ! ومن عصى الرسول فقد عصى الله..

وفي الثانية عزم صلى الله عليه وآله وسلم أن يخلي المدينة المنورة ممّن يعلم منهم الخلاف على علي عليه السلام والمنازعة في الخلافة ، فعقد الراية لأسامة وأمرهم بالانقياد

---

١) انظر اشارة الطبري : تاريخ الطبري ٤ : ٥٥٧ ـ أحداث سنة ٣٦ ، ونص رسالته في مروج الذهب للمسعودي ٣ : ٢١ ، تحقيق عبدالأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ، ١٩٩١م ، وشرح نهج البلاغة ٣ : ١٨٨.

٢) مروج الذهب ٣ : ٢١ ، شرح نهج البلاغة ٣ : ١٨٨.

٣) سورة النساء : ٤ / ٨٠ .

له والامتثال لأمره ، ليبلغ أمته بابلغ خطاب ان هؤلاء إنما هم جنود لهذا القائد الشاب ابن السابعة عشرة فلا ينازعوا غداً على زعامة الأمة وإمامة المسلمين! لكنّهم تخلّفوا عنها أيضاً بعذر أو بآخر ، رغم ردّه كل تلك الأعذار ، وتأكيده البليغ « انفذوا بعثة اسامة » « لعن الله من تخلف عنها »!!

الفصل الأول : قصة السقيفة

أعقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمور خطيرة ، جرَّت وراءها فتناً عديدة غيَّرت مسار الإسلام الذي أراده الله تعالى وأراده رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام. تمخَّضت هذه الأحداث عن تعيين الناس الخليفة ، وجثمان النبيِّ العظيم لم يوارَ في التراب بعد ، والإمام عليٌّ عليه السلام وبنو هاشم ـ وجمع من المهاجرين والأنصار ـ منهمكون بجثمان النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم حافِّين به يودِّعونه في آخر ساعات وجوده على أرض المعمورة. لقد انقطع الوحي ، ورحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وينتظرُ أمته من بعده أمرٌ خطير..

في هذه اللحظات المؤلمة الشديدة ، وبعد ساعة من انقطاع الوحي ، استغلَّ عمر بن الخطَّاب فرصة الخلاف بين الأوس والخزرج ونبأ اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة ، يتداولون فيها أمر الخلافة بعد رسول الله ، خوفاً على مستقبل الأنصار ، فيما لو كانت الخلافة بيد قريش! فأخذ عمر بن الخطَّاب بيد أبي بكر وانخرطا من بين الجموع الحاشدة بجثمان النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فيصحبهما أبو عبيدة إلى سقيفة بني ساعدة ، ليتمَّ تنفيذ « البيعة الفلتة »! لخليفة رسول الله على أُمَّته.

على أي حال انضم الثلاثة إلى تجمُّع الأنصار ، وبعد أن دار جدل عنيف ، غلبهم المهاجرون؛ لأنَّهم « أوَّل من عبد الله في الأرض ، وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحقُّ الناس بهذا الأمر بعده ، ولاينازعهم ذلك الا ظالم.. وأنتم يا معشر الأنصار لا يُنكر فضلكم في

الدين ولا سابقتكم العظيمة في الإسلام ، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله.. فنحن الأمراء وأنتم الوزراء »! على حدِّ تعبير أبي بكر (١) .

ولمَّا عارض أحد الأنصار بذكر فضائلهم ونصرتهم للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وعدم تسليم الأمر للمهاجرين ، ردَّ عليه عمر بقوله : « هيهات لا يجتمع سيفان في غمد ، والله لا ترضى العرب أن تؤمِّركم والنبيُّ من غيركم ، ولا تمتنع العرب أن تولِّي أمرها من كانت النبوَّة فيهم ، ولنا بذلك الحجَّة الظاهرة ، من نازعنا سلطان محمَّد ونحن أولياؤه وعشيرته الا مدلٍ بباطلٍ ، أو متجانفٍ لإثمٍ ، أو متورِّطٍ في هلكة »!!

هذه حجَّتهم الظاهرة : قوم محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ، أولياؤه وعشيرته لا ينازعهم على سلطان محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم الا ظالم ، متجاهلين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام الذي بايعوه وبايعه مئة ألف أو يزيدون في غدير خمٍّ ، وبعد فهو أقرب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العلم والزهد وسائر الصفات المستلزمة للإمامة والولاية العامة وأخصُّهم به ، وهو ابن عمِّه الذي نشأ في بيته ، كما نشأ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أبيه أبي طالب!

فقال بشير بن سعد ـ أحد زعماء الأنصار ـ : « يا معشر الأنصار ، إنَّا والله وإن كنَّا أولي فضيلة وسابقة في الدين ، الا أنَّ محمَّداً من قريش وقومه أولى به ، وأيمُ الله لا يراني الله أُنازعهم هذا الأمر أبداً ».

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيُّهما شئتم فبايعوا.. فأدار عمر ظهره لأبي بكر ، وقال لأبي عبيدة : ابسط يدك أُبايعك ، فأنت أمين

---

١) الإمامة والسياسة| ابن قتيبة ١ : ١٤ ـ ١٥ ، مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي ـ مصر ١٩٦٩م.

هذه الأُمَّة!! ولمَّا امتنع أبو عبيدة ، أدار عمر إلى أبي بكر ، فبسط يده وصفق عليها ليكون خليفة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فبويع أبو بكر ، بايعه أبو عبيدة وبشير بن سعد الخزرجي ، ثُمَّ بايعه الأوس. وتمَّت مسرحية « السقيفة » وقد مثَّل دور البطولة فيها أبو بكر وعمر!

وما أن انتصف نهار اليوم حتى تمَّت بيعة أبي بكر بهذا النحو ، الذي كان مفاجأة لأكثر الناس ، وأخذوا يزفُّون عبدالله بن عُثمان التيمي ـ أبو بكر بن أبي قحافة ـ إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكون بيعته على نطاق أوسع!

تسرَّب نبأ السقيفة والبيعة في أرجاء المدينة المنوَّرة ، على ساكنها السلام ، كلُّهم علموا بخبر البيعة ، الا عليٌّ وبنو هاشم ومن معهم ، حيث كانوا مع مصيبة وداع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !

فانطلق البراء بن عازب وجاء يضرب باب بني هاشم قائلاً : يا معشر بني هاشم ، قد بويع أبو بكر!

سادت لحظة هدوء ، متسائلين : ما كان المسلمون يُحدثون حدثاً نغيب عنه ، ونحن أولى بمحمَّد ، لكنَّ العبَّاس بن عبد المطَّلب لم يستغرب هذا الفعل منهم ، فقال : فعلوها وربِّ الكعبة!!

ولمَّا كان اليوم الثاني ، وبعد أن واروا جثمان النبي الطاهر ، انحاز مع عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام بنو هاشم جميعاً ، ومعهم طائفة من المهاجرين والأنصار ، اعتقاداً منهم بحقِّ عليٍّ في الخلافة (١) .

---

١) صحيح مسلم ـ الجهاد والسير ٣ : ٥٢|١٣٨٠ ، صحيح البخاري ـ باب غزوة خيبر ٥ : ٤٥٦|٢٨٨ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٢٣١.

فقال الأنصار : لا نبايع الا عليَّاً ، وقال الزبير : لا أغمد سيفاً حتى يُبايع علي ، وانظم وانحاز في بيت عليٍّ وفاطمة عليهما السلام : المقداد بن عمرو ، وخالد بن سعيد ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذرٍّ الغفاري ، وعمَّار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأُبي بن كعب ، وحذيفة بن اليمان ، وابن التيهان ، وعبادة بن الصامت (١) ، كلُّهم يرفضون البيعة لابن أبي قحافة ، للسبب الآنف ذكره..

إضافةً إلى ذلك فقد اعتصم جماعة من الأنصار في أحيائهم ، فجاء عبدالرحمن بن عوف يعاتبهم على تخلُّفهم عن بيعة الخليفة ، ويذكر لهم حقَّه بقرابته من رسول الله ، وما شابه ذلك من الحجج التي يتشبَّثون بها ، من أجل إثبات حق أبي بكر بالخلافة ، وأنَّه أولى بها من غيره ، فردَّ عليه جماعة الأنصار : « إنَّ ممَّن سمَّيت من قريش ، مَنْ إذا طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد : عليُّ بن أبي طالب »!

هذا أحد المواقف ضد الاتجاه الذي نال خلافة رسول الله بالغلبة! وموقف آخر يمكن أن نقتبس منه بعض الأقوال ، كقول الفضل بن عبَّاس ، الذي قام خطيباً وأجاد حيث قال : « يا معشر قريش : إنَّه ما حقَّت لكم الخلافة بالتمويه! ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم » (٢) ، ويقصد بصاحبنا عليَّ

بن أبي طالب عليه السلام.

وأنشد عتبة بن أبي لهب ، معرباً عن أولوية علي عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ ، تاريخ أبي الفداء ٢ : ٦٣ ، ابن أبي الحديد ٢ : ٤٩ ، ٥٦ و٦ : ١١ ، وزاد في ١ : ٢٢٠ حذيفة وابن التيهان وعبادة بن الصامت ، وتاريخ الطبري ٣ : ١٩٨ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٨٩ ، ١٩٤ ، تاريخ الخلفاء : ٥١ ولم يذكروا الأسماء.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤.

وبأمر الخلافة؛ إذ يقول :

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الأمرَ منصرفٌ * عن هاشمٍ ثُمَّ منها عن أبي الحسنِ

عن أوَّل الناس إيماناً وسابقةً * وأعلم الناس بالقرآن والسننِ [١]

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكُّون في عليٍّ عليه السلام (٢) .

وما كان من أبي بكر الا أن ينتظر عليّاً عليه السلام وأصحابه أن يبايعوه! ولمَّا تأخَّرت بيعتهم أرسل عمر بن الخطَّاب إلى بيت عليٍّ عليه السلام ، فنادى عليّاً وأصحابه وهم في الدار فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالحطب ليحرق البيت ومن فيه ، فقيل له : إنَّ فيه فاطمة!

قال : وإن (٣) !!

لكنَّهم اقتحموا بيت عليٍّ عليه السلام.. وقد ثبت عن أبي بكر قوله ، حين حضرته الوفاة : « وددت أنِّي لم أكشف عن بيت فاطمة ، وتركته ولو أُغلق على حرب » (٤).

أتى قنفذ ـ رسول الخليفة الجديد ـ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يدعوك خليفة رسول الله. فقال عليه السلام : « لسريع ما كذَّبتم على رسول الله »!

فرجع فأبلغ أبا بكر قوله ، فبكى أبو بكر طويلاً! فبعثه مرَّةً أُخرى بتحريض من عمر ، فقال : خليفة

رسول الله يدعوك لتبايع ، فقال عليه السلام

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ ، شرح نهج البلاغة ٦ : ٢١ وغيرها.

٣) أنظر قصَّة هذا الحدث في : الإمامة والسياسة ١ : ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٦ ، ٦ : ٥٨ ، ٢٠ : ١٤٧ ، تاريخ أبي الفداء ٢ : ٦٤ ، العقد الفريد ٥ : ١٢.

٤) الإمامة والسياسة ١ : ٢٤ ، تاريخ الطبري ٣ : ٤٣٠.

بصوت مرتفع : « سبحان الله! لقد ادَّعى ما ليس له ». فرجع قنفذ وأبلغه كلام عليٍّ فبكى أبو بكر طويلاً..

أمَّا عمر فتعجَّل الأمر ، وأتى بيت عليٍّ مع جماعة وطرقه بشدَّة ، فلمَّا سمعت فاطمة أصواتهم نادت : « يا أبتِ يا رسول الله ، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطَّاب وابن أبي قحافة » ؟!

فانصرف القوم باكين لبكائها ومناجاتها أباها ، الا عمر لم يتصدَّع قلبه لبكاء ابنة رسول الله وبضعته ، فبقي معه جماعة ، حتى أخرجوا عليَّاً عليه السلام فمضوا به إلى أبي بكر ، وعرضوا عليه البيعة فأجابهم بكلّ ثبات وعزيمة : « أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم ، لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ».

فقالوا : نضرب عنقك!!

فقال عليه السلام : « إذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله »!

فقال عمر : أمَّا عبدالله فنعم ، وأمَّا أخو رسوله فلا!

وأبو بكر ساكت! ثُمَّ قال عمر لأبي بكر : ألا تأمر فيه بأمرك ؟!

فأجابه الخليفة : لا أُكرهه على شيء مادامت فاطمة إلى جنبه!

فلحق عليٌّ عليه السلام بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يصيح ويبكي وينادي : « يا ابن أمّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني » (١) .

وهكذا وقع سريعاً تأويل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام :

---

١) أنظر : شرح النهج ٢ : ٥٦ ، ٦ : ١١ ، الإمامة والسياسة : ١٢ ـ ١٣ ، تاريخ اليعقوبي ـ مختصراً ـ ٢ : ١٢٦ ، الفتوح ابن أعثم ١ : ١٣ ، دار الكتب العلمية ، ط١ ـ ١٤٠٦هـ.

قال الإمام علي عليه السلام : « إنَّ ممَّا عهد إليَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ الأُمَّة ستغدر بي بعده » (١).

وفي رواية أُخرى قال عليه السلام : « بينما كنَّا نمشي أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخذ بيدي.. فلمَّا خلا له الطريق اعتنقني ثُمَّ أجهش باكياً ، قلت : يا رسول الله ، ما يبكيك ؟

قال : ضغائن في صدور أقوام ، لا يبدونها لك الا من بعدي » (٢) .

موقف فاطمة عليها السلام من البيعة :

لقد كان موقف عمر وأبي بكر من بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منتهى الجفاء والتحدِّي ، متجاهلين مقامها الرفيع الشأن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاسيَّما وأنَّهما قد سمعا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ الله يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ ».

ثمَّ جاء عمر وأبو بكر إليها يلتمسان رضاها فقالت لهما : « نشدتكما الله ، ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني! ؟ » فقالا : نعم ، سمعناه من رسول الله.

فقالت : « فإنِّي أُشهد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني ، وما أرضيتماني ،

---

١) المستدرك ٣ : ١٤٠ ، ابن عساكر ٣ : ١٤٨|١١٦٤ ـ ١١٦٨ ، تذكرة الحفَّاظ ٣ : ٩٩٥ ، ابن أبي الحديد ٦ : ٤٥ ، كنز العمَّال ١١|٣٢٩٩٧ ، الخصائص الكبرى ٢ : ٢٣٥.

٢) مستدرك الحاكم ٣|١٣٩ ، ابن أبي الحديد ٤ : ١٠٧ ، مجمع الزوائد ٩ : ١١٨ ، كنز العمَّال. ١٧٦١٣|٤٦٥٣٣.

ولئن لقيتُ النبيَّ لأشكونَّكما إليه » (١) . فمازالت غضبى عليهما حتى توفِّيت (٢).

وعن ابن قتيبة قال : وخرج عليٌّ ـ كرَّم الله وجهه ـ يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دابَّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة. فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أنَّ زوجك وابن عمِّك سبق إليها قبل أبي بكر ما عدلنا به.

فيقول عليٌّ كرَّم الله وجهه : « أفكنت أدعُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم أدفنه ، وأخرج أُنازع الناس سلطانه » ؟!

فقالت فاطمة : « ما صنع أبو الحسن الا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم » (٣) .

أمَّا عليٌّ عليه السلام ، فقد خاصمهم بقوله : « الله الله يا معشر المهاجرين ، لاتُخرجوا سلطان محمَّد عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم ، ولاتدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقِّه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحنُ أحقُّ الناس به ، لأنَّا أهل البيت ، ونحنُ أحقُّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا : القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعيَّة ، القاسم بينهم بالسويَّة ، ووالله إنَّه لفينا ، فلا تتَّبعوا الهوى فتضلُّوا عن سبيل الله ، فتزدادوا من الحقِّ بعداً ».

فلمَّا سمعوا منه هذا الكلام قال بشير بن سعد الأنصاري ـ الذي أقرَّ

---

١) الإمامة والسياسة : ١٣.

٢) صحيح البخاري ٥ : ٢٨٨|٢٥٦ ، صحيح مسلم ٣ : ١٣٨|٥٢.

٣) الإمامة والسياسة ١ : ١٢ وكذا شرح النهج ٢ : ٤٧.

بنود السقيفة ـ : لو كان هذا الكلام سمِعتْه الأنصارُ منك قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان (١) .

وأنشد عليه السلام معرِّضاً بأبي بكر :

فإن كنتَ بالشورى ملكتَ أمورَهم * فكيف بهذا والمشيـرون غُيَّبُ

وإن كنتَ بالقُربى حججتَ خصيمهم * فغيـرُك أولـى بالنبيِّ وأقربُ [٢]

وله عليه السلام كلام واسع وخطب عدَّة يصف فيها أمر الخلافة والتفضيل ، محفوظ في كتاب نهج البلاغة ، وقد اقتطفنا من احدى خطبه المعروفة بالشقشقية مقاطع منها :

« أما والله لقد تقمَّصها فلان ، وانَّه ليعلم أنَّ محلِّي منها محلَّ القطب من الرَّحَا ، ينحدر عنِّي السيل ، ولا يرقى إليَّ الطير »...

« فيا عجباً ، بينا هو يستقيلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته!! لشدَّ ما تشطَّرا ضرعيها.. فصبرتُ على طول المدَّة وشدَّة المحنة.. حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنِّي أحدُهم! فيا لله وللشورى ، متى اعترض الريب فيَّ مع الأول منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر! » (٣) .

ولمَّا بلغه عليه السلام احتجاج قريش بأنَّهم قوم النبيِّ وأولى الناس به ، قال : « احتجَّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة » (٤) .

---

١) الإمامة والسياسة : ١٢.

٢) نهج البلاغة : ٥٠٣|١٩٠.

٣) نهج البلاغة ، الخطبة الثالثة بتصرف.

٤) نهج البلاغة : الخطبة ٦٧ ، وانظر : الإمامة والسياسة : ١١.

الفصل الثاني : عليٌّ مع أبي بكر وعمر وعُثمان

بيعته لأبي بكر :

رأينا فيما سبق كيف وقف أمير المؤمنين عليه السلام من أحداث السقيفة ، خلال الأشهر الأولى من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع جماعة من المهاجرين والأنصار ، موقفاً يتَّسم بالشدَّة والصلابة ، محتجَّاً عليهم بالمنطق الذي احتجوا فيه على الأنصار يوم السقيفة ، إضافةً إلى أنَّه عليه السلام قد ذكَّرهم بالنصوص التي صرَّح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحقِّه ، والتي لا يجهلها أحد منهم ، واستطاع عليه السلام بتلك المواقف الحكيمة أن يستميل إلى جانبه عدداً من المسلمين.

ولكن ظهرت في هذه الفترة بوادر ارتداد بعض الأعراب ، قال : « فأمسكتُ يدي ، حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله ، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً ، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم ، التي إنَّما هي متاعُ أيَّامٍ قلائل... » (١) .

لله وللإسلام سكت وصبر على كلِّ ما سلف من هؤلاء الذين تآمروا عليه ، وأساءوا إلى بضعة رسول الله زوجته ، وقنع من الدنيا أن يجمع القرآن ويحفظه ، ويشتغل بتفقيه الناس والقضاء بينهم..

وبعد أن بويع لأبي بكر بالخلافة تميَّز في مجتمع المدينة ومكَّة ، عن سائر الناس ، فريقان :

---

١) نهج البلاغة ، الكتاب ٦٢.

الفريق الأول : فريق أظهر كلَّ ما كان يخفيه من نفاق وسعى إلى إثارة الفتنة ، يقابله فريق آخر لم

يظهر الحقَّ بكلّ ما يملك من قدرة..

فأمَّا الفريق الأول فهم الكائدون للإسلام ، أولهم وعلى رأسهم أبو سفيان الذي قدم على أمير المؤمنين عليه السلام يحرِّضه من مناجزة القوم الذين كانوا مع أبي بكر ، فيقول له : والله لئن شئت لأملأنَّها عليه خيلاً ورَجِلاً. فردَّه عليه السلام : « والله إنَّك ما أردت بهذه الا الفتنة ، وإنَّك والله طالما بغيت للإسلام شرَّاً ، لا حاجة لنا في نصيحتك » (١) .

ومن هذا القسم أيضاً مسلمو الفتح : ـ الطلقاء ، والمؤلَّفة قلوبهم ـ وكان في طليعتهم : سهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، وعكرمة بن أبي جهل ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، سعوا في الفتنة أيضاً ، يحرِّضون قريشاً على الأنصار لهتافهم باسم عليٍّ ، يريدون إلزامهم بتجديد البيعة والا فليقتلوهم!

وظهر أبو سفيان مرَّة أُخرى قائلاً : يا معشر قريش ، إنَّه ليس للأنصار أن يتفضَّلوا على الناس ، حتى يُقرُّوا بفضلنا عليهم.. وأيم الله لئن بطروا المعيشة ، وكفروا النعمة ، لنضربنّهم على الإسلام كما ضربونا عليه!

ولم يذكر لنا التاريخ في هذه الحوادث موقفاً إيجابياً واحداً لأبي بكر أو عمر لردع الفتن!

هؤلاء هم الذين طالما كادوا للإسلام بسيوفهم عشرين عاماً أو تزيد فدخلوا الإسلام عنوةً ، فلمَّا لم يجدوا بدَّاً من الكيد بأيديهم كادوه بألسنتهم.

---

١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٩ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٨٩.

وما أجمل قول حسَّان بن ثابت :

تنـادى سهيلٌ ، وابن حربٍ وحارثٌ * وعكـرمـة الشاني لنا ابنُ أبي جهلِ

أولئك رهطٌ من قريشٍ تبايعـوا * على خطَّةٍ ليست من الخططِ الفضلِ

وكلُّهم ثـانٍ عن الحـقِّ عطفـه * يقول اقتلوا الأنصار ، يا بئس من فعلِ

وأعجب منهم ، قابلـوا ذاك منهم * كأنَّـا اشتملنا من قريش على ذحلِ [1]

أمَّا الفريق الآخر فهم المناصرون لعليٍّ عليه السلام ، الداعون إلى حقِّه بالإمامة ، ويلحق بهذه الطائفة المهاجرون والأنصار الذين مالوا عن مبايعة أبي بكر ، حيث كانوا لا يشكُّون أنَّ الأمر صائر إلى عليٍّ عليه السلام ، وكان شعارهم الذي رفعوه بأصواتهم : « لا نبايع الا عليَّاً » ومنهم : عتبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب الذي أنشد يقول :

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الأمرَ منصرفٌ * عن هاشمٍ ، ثُمَّ منها عن أبي الحسـنِ

عن أوَّل النـاس إيمانـاً وسابقـةً * وأعلـمِ النـاس بالقـرآنِ والسُنـنِ

وآخر النـاس عهداً بالنبـيّ ومَـنْ * جبريـلُ عونٌ له فـي الغسل والكفن

مَنْ فيـه ما فيهم لا يمتـرون به * وليس في القوم ما فيه من الحسنِ [2]

ومنهم : المقداد وعمَّار وسلمان وأبو ذرٍّ وحذيفة بن اليمان وخالد بن سعيد بن العاص وأبو أيوب الأنصاري ، وسائر بني هاشم.

ولا ننسى موقف الحسن السبط من أبي بكر ، حين رآه يرقى منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مايزال في الثامنة من عمره ، يناديه : « إنزل عن منبر

---

١) الموفَّقيَّات | الزبير بن بكَّار : ٥٨٥.

٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ ، الموفَّقيَّات : ٥٨٠.

أبي ، واذهب الى منبر أبيك » (١)!

ومنهم : ابن عباس في حديثه مع عمر ، حين سأله عمر عن عليٍّ عليه السلام ، فقال : أيزعمُ أنَّ رسول الله نصَّ عليه ؟!

قال ابن عباس : نعم ، وأزيدك : سألت أبي عن ذلك ، فقال : صدق (٢) وغيرها من المواقف التي سنأتي عليها في موضوع لاحق.

ومنهم : قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي ، إذ ذكر ـ سعد بن عبادة ـ عليّاً عليه السلام ، فذكر من أمره نصّاً بوجوب ولايته ، فقال له ابنه : أنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول هذا الكلام في عليِّ بن أبي طالب ، ثُمَّ تطلب الخلافة ، ويقول أصحابك : منَّا أمير ومنكم أمير ؟! لا كلَّمتك والله من رأسي بعد هذا كلمةً أبداً (٣) .

وفي ما وراء المدينة ومكة هناك قبائل من المسلمين ، لم يرضوا بالبيعة لأبي بكر ، فامتنعوا عن أداء الزكاة له ، لا جحوداً بالزكاة ، ولكن إنكاراً لزعامته (٤) ، فعزم أبو بكر على مقاتلتهم بحجَّة أنَّ هذا الأمر تعطيل لفريضة الزكاة التي أوجبها الله على المسلمين ، غاضّاً بصره عن السبب الأصلي الذي دعاهم إلى هذا الموقف الصلب ، وهو اعتراضهم على الخلافة!

فمع أحد شيوخ كندة في حضرموت ، الحارث بن سراقة يقول : « نحن إنَّما أطعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان حيّاً ، ولو قام رجل من أهل بيته لأطعناه ،

---

١) مختصر تاريخ دمشق ٧ : ١٢٧.

٢) شرح نهج البلاغة ١٢ : ٢١.

٣) شرح نهج البلاغة ٦ : ٤٤.

٤) وهؤلاء غير المرتدين الذين خرجوا من الإسلام كأتباع مسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي.

وأمَّا ابن أبي قحافة فلا والله ، ما له في رقابنا طاعة ولا بيعة »!

ثمَّ أنشد أبياتاً ، كان أوَّلها :

أطعنــا رسول الله إذ كان بيننا * فيا عجباً ممَّن يطيع أبا بكرِ [1]

ومنهم : زعيم كندة الأشعث بن قيس ، الذي أمر قومه بمنع الزكاة ، وأن يلزموا بلادهم ، ويتَّحدوا على كلمة واحدة ، « فإنِّي أعلم أنَّ العرب لا تقرُّ بطاعة بني تيم بن مرَّة ، وتدع سادات البطحاء من بني هاشم إلى غيرهم.. » (٢).

والأنكى من ذلك كان الأمر مع مالك بن نويرة ، الذي استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صدقات قومه ، فلمَّا نُعي له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام بتوزيع الصدقات على فقراء قومه ، ولم يبعثها إلى الخليفة الجديد..

وأنشد يقول :

فقلتُ خذوا أموالكم غير خائفٍ * ولا نظرٍ فيما يجيء من الغدِ

فإن قام بالدين الُمحوَّق قائــمٌ * أطعنا ، وقلنا الدين دينُ محمَّدِ

إذن هؤلاء لم تطمئن قلوبهم للخليفة الجديد ، هذه هي مشكلتهم التي من أجلها ارتكب خالد بن الوليد أبشع مجزرة في ظلِّ الخلافة الجديدة ، فضرب أعناقهم صبراً واحداً بعد الآخر وارتكب أيضاً أقبح كبيرة ، إذ واقع زوجة مالك في ليلة قتله (٣) .

---

١) انظر الفتوح | ابن أعثم ١ : ٥٨ ، معجم البلدان| ياقوت الحموي ، « حضرموت ».

٢) الفتوح ١ : ٥٩ ـ ٦٠.

٣) الفتوح ١ : ٢١ ـ ٢٣ ، أُسد الغابة والإصابة ترجمة خالد بن نويرة ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣١ ـ ١٣٢ ، سير أعلام النبلاء (سير الخلفاء الراشدين) : ٤٣.

وهناك حروب داخلية ـ دينية وسياسية ـ غير هذه التي ذكرناها ، لابدَّ من الوقوف عليها ولو بشيء من الاختصار ، تلك التي جرت مع المرتدّين حقّاً ، الذين أعلنوا ارتدادهم عن الإسلام جهرةً ، ومالوا إلى أديان أُخرى ، وبعض رؤوساء هذه القبائل ادَّعى النبوَّة ، وكان على رأسهم : مسيلمة الكذَّاب ، الذي كان على قبيلة بني حنيفة ، ادَّعى النبوَّة ، قبل وفاة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ثُمَّ الأسود العنسي بصنعاء ، ثُمَّ ادَّعى النبوَّة طليحة بن خويلد الأسدي في بلاد بني أسد ، في مرض النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم الذي توفِّي فيه.

ثمَّ ادَّعت النبوة سجاح بنت الحارث التميمية ، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان رجل من أصحابها ينشد :

أمستْ نبيَّتنا أنثى نطيفُ بها * وأصبحت أنبياء الناس ذُكرانا

وانتهى أمرها أن تزوَّجها مسيلمة (١) .

فكانت هذه الحروب حروب المرتدِّين الحقيقيين ، أهمَّ دواعي توحيد الصفِّ في المدينة المنوَّرة ، إذ كانت هذه الحروب طويلة وكثيرة ، وقد اتَّفقوا كلّهم على مقاتلتهم يداً واحدة.

أبو بكر يستشير الإمام علي عليه السلام في حرب الروم :

في مطلع سنة ١٣هـ عزم أبو بكر على محاربة الروم ، فشاور جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقدَّموا وأخَّروا ، فاستشار عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ، فأشار عليه أن يفعل ، وقال له : « إن فعلتَ ظفرت »

---

١) أنظر : سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٢ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٤٦ ـ ١٤٧ ، ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

فقال : « بُشِّرت بخير » (١).

لكنَّ الناس تباطؤوا عن تلبية أمر أبي بكر ، فقال عمر : لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتَّبعتموه! فاختار أبو بكر خالد بن سعيد على قيادة الجيش وعقد له اللواء ، لكنَّ عمر ـ وكعادته ـ اعترض ، بحجَّة أنَّه تباطأ في بيعته للخليفة؛ فقال : أتولِّي خالداً وقد حبس عنك بيعته ، وقال لبني هاشم ما بلغك ؟! فحلَّ لواءه وجعل الجيش تحت إمرة يزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وأبي عبيدة الجرَّاح ، وعمرو بن العاص ، بالإضافة إلى خالد وجنده.

فحقَّق المسلمون انتصارات عظيمة ومتوالية ، افتتحوا خلالها عدَّة مدن ، وهذه كانت بشارة أمير المؤمنين عليه السلام.

ولكن سنرى قريباً كيف كانت سياسة أبي بكر في تعيين الولاة والامراء قد حقَّقت مطامع بني أُميَّة ، وفتحت أمامهم أبواب الخلافة الواسعة ، حتى تربَّع أوغاد بني أُميَّة وغيرهم من الطلقاء على رؤوس المسلمين ، وجرت وراءها فتن وبحور من الدماء العظيمة!!

رجوع أبي بكر إليه في الأحكام الشرعية

ومن جملة موارد الرجوع إليه في الأحكام الشرعية والقضايا الدينيّة في عهد أبي بكر ، وكما جاء الخبر به عن رجال من العامَّة والخاصَّة : أنَّ رجلاً رُفع إلى أبي بكر وقد شرب الخمر ، فأراد أن يقيم عليه الحدَّ ، فقال له : إنَّني شربتها ولا علمَ لي بتحريمها ، لأنَّي نشأت بين قومٍ يستحلُّونها ، ولم

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣٢ ـ ١٣٣.

أعلم بتحريمها حتى الآن.. فأُرتج (١) على أبي بكر ، ولم يعلم وجه القضاء فيه ، فأشار عليه بعضُ من حضره أن يستخبر أمير المؤمنين عليه السلام عن الحكم في ذلك ، فأرسل إليه من سأله عنه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : « مُرْ ثقتين من رجال المسلمين يطوفان به على مجالس المهاجرين والأنصار ، ويُناشدانهم الله هل فيهم أحدٌ تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحدَّ عليه ، وإن لم يشهد عليه أحدٌ بذلك فاستتبه

وخلّ سبيله » ففعل أبو بكر ذلك ، فلم يشهد عليه أحدٌ من المهاجرين والأنصار أنَّه تلا عليه آية التحريم ، ولا أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، فاستتابه أبو بكر وخلاَّ سبيله ، وسلَّم لعليٍّ عليه السلام فيما حكم به (٢).

جمع القرآن الكريم وتفسيره :

إنَّ الإمام عليَّاً عليه السلام وفي مدَّة اعتزاله الطويل تفرَّغ لعدَّة مهام ، كان أهمُّها وأوَّلها مهمَّة جمع القرآن الكريم ، فقد ثبت تاريخياً أنَّ عليَّاً عليه السلام أخذ على عاتقه الشريف مهمة جمع آيات الذكر الحكيم ، وكان ذلك مبكِّراً جدَّاً من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يخرج من بيته ، الا للصلاة حتى جمعه عنده.

وكان هذا أوَّل مصحف يجمع ، مرتَّباً بحسب ترتيب نزول السور القرآنية ، وكتب في حواشيه أشياء من الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ، واختصَّ به لنفسه..

---

١) أُرْتِجَ عليه وارتُجَّ عليه : استبهم عليه.

٢) الإرشاد ١ : ١٩٩ وما بعدها..

قال ابن سيرين : طلبت ذلك الكتاب ، وكتبت فيه إلى المدينة ، فلم أقدر عليه (١).

وكان الإمام عليٌّ عليه السلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أبرز كتَّاب الوحي ، ولمَّا توفِّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر علياً عليه السلام يجمع القرآن الكريم في مصحفٍ واحدٍ ، لذلك باشر عليه السلام بجمع القرآن وترتيبه ، ولمَّا تولَّى أبو بكر الخلافة أمر من جهته بجمع القرآن الكريم ، وقد أسند هذه المهمَّة إلى الصحابي زيد بن ثابت الأنصاري.

ولمَّا كان الإمام عليٌّ عليه السلام أكثر الصحابة ملازمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واختصاصاً به ، فقد كان أكثر من عُرف عنه تفسير القرآن الكريم ، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشأنه : إنَّه أكثرهم علماً ؟

وذكر القرطبي في تفسيره : « فأمَّا صدر المفسِّرين والمؤيَّد فيهم ، فعليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه ،

ويتلوه عبدالله بن عبَّاس ، وهو تجرَّد للأمر وكمّله ، وقال ابن عبَّاس : ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليِّ بن أبي طالب » (٢) .

وروي عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال : « سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيءٍ إلا أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آيةٍ إلا وأنا أعلم أبليل نزلت ، أم بنهار ، أم في سهل ، أم في جبل » (٣) .

وفي عهد أبي بكر واجه ـ وهو الخليفة ـ مشكلة في معنى بعض مفردات القرآن أحرجته كثيراً ، فقال في التخلُّص منها قولاً عجيباً ، فبلغ

---

١) انظر فهرست النديم : ٤٢ ، الإتقان في علوم القرآن ١ : ١٦٦ ، المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٨٨م.

٢) تفسير القرطبي ١ : ٢٧.

٣) الإتقان في علوم القرآن ٤ : ٢٠٤.

ذلك أمير المؤمنين فعجب لتوقف أبي بكر في هذه المفردة ، ثُمَّ لكلامه في التخلُّص منها.

سُئل أبو بكر عن معنى « الأبِّ » في قوله تعالى : (وَفَاكِهَةً وَأَبّاً) (١) ، فتحيَّر في معناها ، فقال : أيُّ سماء تظلُّني أو أيُّ أرضٍ تقلُّني : أم كيف أصنع إن قلت في كتاب الله تعالى بما لا أعلم ؟! أمَّا الفاكهة فنعرفها ، وأمَّا الأبُّ فالله أعلم به!

فبلغ مقاله هذا أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : « يا سبحان الله! أما علم أنَّ الأبَّ هو الكلأ والمرعى ؟! وأمَّا قوله عزَّ اسمه : (وَفَاكِهَةً وَأَبّاً) اعتدادٌ من الله سبحانه بإنعامه على خلقه فيما غذَّاهم به وخلقه لهم ولأنعامهم ، مما تحيى به أنفسهم وتقوم به أجسادهم » (٢) .

ونحو هذا في جوابه عليه السلام في معنى الكلالة ، بعد أن تحيَّر فيها أبو بكر وتردَّد في معناها (٣) .

قصَّة الاستخلاف :

في اللحظات الأخيرة من عمر أبي بكر ، عزم على أن يعهد بالخلافة من بعده إلى عمر بن الخطَّاب ، كذا وبكلِّ جرأة أنكر هو وأصحابه حديث الوصاية لعليٍّ عليه السلام ويوم غدير خُمٍّ ، وكأنَّ خلافة المسلمين ورثٌ ورثه من أبي قحافة ، وعليٌّ عليه السلام شهد كلَّ ذلك فكضم غيضه وأغمض عينيه ، وهو

صاحب الحقِّ الأوَّل والأخير.

---

١) سورة عبس : ٣١.

٢) الإرشاد ١ : ٢٠٠.

٣) انظر المصدر السابق ١ : ٢٠٠ ـ ٢٠١.

وعلى أيِّ حالٍ فقد تجاهل ابن أبي قحافة ذلك الحقَّ الذي كان حبلاً في رقابنا ، وتجاهل حقَّ الأُمَّة المسلمة ، وأصرّ على استخلاف عمر ، فقيل له وهو على فراش الموت : ما كنت قائلاً لربِّك إذا ولَّيته مع غلظته ؟!

وكان من قول طلحة بن عبيدالله : استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه ، وكيف به إذا خلا بهم ؟ وأنت لاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك! (١)

وقد أغضبه كثرة تذمر الصحابة من استخلافه عمر ، فقال : إنّي ولّيت أمركم خيركم في نفسي ، فكلّكم ورِمَ أنفه من ذلك ، يريد أن يكون الأمر له دونه ، ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولمّا تُقبِل ، وهي مقبلة ، حتى تتّخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج ، وتألموا الاضطجاع على الصوف الأذريّ كما يألم أحدكم أن ينام على حَسَك السَعدان... وأنتم أوّل ضالّ بالناس غداً ، فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالاً... (٢)

وقبل هذا وذاك استدعى عُثمان ليكتب له كتاب الوصية حتى لا يضلُّوا بعده!

روى ابن الأثير : أنَّ أبا بكر أمر عُثمان بن عفَّان ليكتب عهد عمر ، فقال له : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عَهِد به أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ، أمَّا بعد.. ثُمَّ أُغمي عليه ، فكتب عُثمان : فإنِّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطَّاب ، ولم آلكم خيراً.

ثمَّ أفاق أبو بكر ، فقال : أقرأ عليَّ. فقرأ عليه : فكبَّر أبو بكر ، وقال :

---

١) الكامل في التاريخ ٢ : ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

٢) تاريخ الطبري ٣ : ٤٣٠.

أراك خفت أن يختلف المسلمون إن متُّ في غشيتي ؟! قال : نعم. قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله.

فلمَّا كتب العهد أمر أن يُقرأ على الناس ، فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولىً له ، ومعه عمر ، فكان عمر يقول للناس : أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله ، فإنَّه لم يألكم نُصحاً! فسكت الناس (١) .

بالأمس القريب ادَّعى أبو بكر أنَّ الخلافة حقٌّ من حقوق المسلمين ، يولُّون من يجمع أمرهم عليه ، لكنَّه اليوم أوصى لعمر بن الخطَّاب ، دون أن يجمع المسلمين على كلمة واحدة!

ولنرى بعد ذلك قول الأستاذ عبدالفتاح عبد المقصود في كتابه « عليُّ بن أبي طالب » وهو يتحدَّث عن موقفه من أبي بكر ، بعد أن أوصى لعمر بن الخطَّاب من بعده ، قائلاً : « وكان حريَّاً بأن يفصم الغضب قلب عليٍّ عليه السلام لأنَّه إصرار على الحيف بعد الحيف ، ولكنَّه كظم وصبر ، ولم يضرَّه أن يأخذ مقعده في ذيل الناس ، مادام أصحاب الرسول قد بيَّتوا على نزع سلطان محمد من آله والخروج به ثانية من عقر بيته ، ولم يكن هذا بمستغرب من قريش ، ولكنَّه كان عجباً غاية العجب من الشيخ ، بعد أن استوت بينه وبين عليٍّ الأمور ، ولم تعد خافية على أبي بكر مكانة الشابِّ وأثره في حياة الجماعة الإسلامية ، من تضحيات وبذل عند ولادة الدين ومن حكمة وفضل ، ودولة الإسلام تشقُّ طريقها إلى الأمام... » (٢) .

وتوفِّي أبو بكر في٢١ ـ ٢٢ جمادى الآخرة سنة١٣هـ أواخر آب ٦٣٤م.

---

١) الكامل في التاريخ ٢ : ٢٧٣ ، وما بعدها.

٢) عن سيرة الأئمة الأثني عشر ١ : ٣٢٣.

ثانياً : في عهد عمر بن الخطَّاب :

« فواعجباً ، بينا هو يستقيلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته! لشدَّ ما تشطَّرا ضرعيها ، فصيَّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسُّها ، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها » (١)! !

نعم عجباً ، فبالأمس كان « الشيخ » يرجع إلى علي عليه السلام في شتَّى الأمور ليلتمس منه الصواب ، حتى كان يقول له : « لازلت موفَّقاً يا ابن أبي طالب » وكان يستقيل الخلافة في حياته إذ كان يقول : « أقيلوني أقيلوني فلست بخيركم » فكيف ـ والحال هذه ـ يعقدها لعمر بعد وفاته...!

وبلا شكٍّ فأنَّ هناك سابق اتِّفاق بينهما ـ بين الخليفة والوزير! ـ فقد كرهوا أن تجتمع النبوَّة والخلافة في بيت واحد ! هذا القول قد نطق به أحدهم بأعلى صوت وأصرح بيان!

وأخيراً ـ وكما هو منتظر ـ عهد أبو بكر بالخلافة من بعده إلى عمر بن الخطَّاب وكان عُثمان بن عفَّان من أشد أنصار هذا الاتِّجاه؛ لأنَّه شريك الدرب القيادي كما سيتَّضح قريباً!!

وبهذا الحال تمَّت الخلافة لعمر بن الخطَّاب ، وتحقَّقت ضالَّة قريش المنشودة في إبعاد أهل بيت النبوَّة الذين ظهر منهم شعاع الإسلام.. ويا ليتهم لم ينبسوا بكلمة واحدة تدين غصبهم لحقِّ أهل بيت النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، لكنَّهم وللأسف الشديد اعترفوا بكلِّ نواياهم المبيّتة..

مضى عمر بن الخطَّاب في سياسته على نفس الخطِّ الذي مشى به

---

١) نهج البلاغة : الخطبة ٣.

أبوبكر ، حذراً كما أوصاه صاحبه : « إحذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله الذين انتفخت أوداجهم وطمحت أبصارهم » وكأنِّي أراه لا يقصد الا عليَّ بن أبي طالب!

وشدَّد عمر على هؤلاء النفر ، حسب ما أوصى إليه ابن أبي قحافة ، فأوَّل ما بادر الى فعله : حبس هؤلاء الثُّلة المؤمنة في المدينة ولا يسمح لهم أيضاً أن يقاتلوا الكفَّار مع المسلمين كي لا تنتفخ

أوداجهم! ويقول لمن يلتمس منه الجهاد : لقد كان لك في غزوك مع رسول الله ما يكفيك ، نعم ما يكفيه من الثواب والشرف!! عجباً وألف عجب!!

نرجع القول مرَّة أُخرى : قد اعترفوا بحقِّ عليٍّ عليه السلام في الخلافة ، فهذا عمر بن الخطَّاب ، في حوار مع ابن عبَّاس دار بينهما ، يعترف بظلامة ابن أبي طالب.. وفي الحقيقة نلتمس من جواب ابن الخطَّاب على أسئلة ابن عبَّاس تبريرات عديدة في إقصاء عليٍّ عليه السلام عن حقِّه في خلافة الرسول.

يقول عمر أمام ابن عبَّاس : « لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمره ذروٌ من قول ، لا يُثبت حجَّةً ولا يقطع عذراً ، ولقد كان يربعُ في أمره وقتاً ما ، ولقد أراد في مرضه أن يصرِّح باسمه ، فمنعتُ من ذلك.. » وكذا أيضاً في حديث ابن عبادة (١) .

وفي عدَّة مواضع مع ابن عبَّاس :

قال ابن عبَّاس : إنِّي لأُماشي عمر في المدينة ، إذ قال لي : يا ابن عبَّاس ، ما أرى صاحبك الا مظلوماً.

---

١) انظر شرح نهج البلاغة ٦ : ٤٤.

فقلت في نفسي : والله لا يسبقني بها. فقلت له : يا أمير المؤمنين ، فاردد إليه ظلامته! فانتزع يده من يدي ، ومضى يهمهم ساعةً ، ثُمَّ وقف فلحقته ، فقال : يا ابن عبَّاس ، ما أظنُّهم منعهم عنه الا أن استصغره قومه!

فقلت في نفسي : هذه شرٌّ من الأولى ، فقلت : والله ، ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك (١) .

وفي مرَّةٍ أُخرى يقول لابن عبَّاس : أتدري ما منع الناس منكم ؟

قال ابن عبَّاس : لا.

قال عمر : لكنِّي أدري.

قال ابن عبَّاس : وما هو ، يا أمير المؤمنين ؟

قال : كرهت قريش أن تجتمع فيكم النبوَّة والخلافة فتجخفوا جخفاً (٢) ، فنظرت قريش لنفسها فاختارت فأصابت!

قال ابن عبَّاس : أيُميط عنِّي أمير المؤمنين غضبه ، فيسمع ؟

قال : قل ما تشاء.

قال : أمَّا قولك : إنَّ قريشاً كرهت ، فإنَّ الله تعالى قال لقوم : (ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أعْمَالَهُم) وأمَّا قولك : إنَّا كنَّا نجخف ، فلو جخفنا بالخلافة جخفنا بالقرابة ، ولكنَّا قوم أخلاقنا مشتقَّة من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال فيه الله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم) وقال له : (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِين).

---

١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٤٥ ، ١٢ : ٤٦ ، مسند أحمد ١ : ٣ ، ٣٣١ ، و٣ : ٢١٢ ، ٢٨٣ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٧١٩|٦٣٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٧٦ ، الإصابة ٤ : ٢٧٠.

٢) جخف : تكبّر.

وأمَّا قولك : فإنَّ قريشاً اختارت ، فإنَّ الله تعالى يقول : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَة) وقد علمت يا أمير المؤمنين أنَّ الله اختار من خلقِه لذلك مَنْ اختار ، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفِّقت وأصابت.

ثُمَّ قال : وأمير المؤمنين يعلم صاحب الحقِّ من هو ، ألم تحتجَّ العرب على العجم بحقِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واحتجَّت قريش على سائر العرب بحقِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟! فنحن أحقُّ برسول الله من سائر قريش (١) .

وأمثال ذلك من الأعذار التي كان يلتمس منها ابن الخطَّاب سبباً يبرِّر موقفهم من الإمام عليٍّ عليه السلام ، وهي كثيرة يطول بذكرها المقام ، وقد عدَّها سبباً في إقصاء الإمام عليٍّ من الخلافة (٢) .

وبعد مدَّةٍ وجيزة واصل عمر حروب الفتوح ، فبعث المثنى بن حارثة الشيباني في مواصلة تلك الحروب في نواحي العراق ، فهزمهم الفرس ففرُّوا إلى الأطراف ، فوقف عمر من أمره حائراً ، وأخذ

يستشير الصحابة في أن يخرج هو بنفسه في مواصلة الحرب..

ولمَّا استشار عليّاً عليه السلام نهاه عن الخروج قائلاً : « نحن على موعدٍ من الله ، والله منجزُ وعده ، وناصر جنده ، ومكان القيِّم بالأمر مكانُ النظَام من الخرز ، يجمعه ويضمُّه ، فإذا انقطع النظام تفرَّق الخرز وذهب ، ثُمَّ لم يجتمع بحذافيره أبداً ، والعرب اليوم ، وإن كانوا قليلاً ، فهم كثيرون بالإسلام ،

---

١) انظر : الكامل في التاريخ ٢ : ٤٥٨ ، تاريخ الطبري ٥ : ٣١ ، شرح ابن أبي الحديد ١٢ : ٥٣ ـ ٥٤ ، والآيات حسب التسلسل ، سورة محمَّد : ٩ ، سورة القلم : ٤ ، سورة الشعراء : ٢١٥ ، سورة القصص : ٦٨.

٢) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٢ : ٧٨ ـ ٧٩ ، ٦ : ٤٥ ، ١٢ : ٤٦.

عزيزون بالإجتماع ، فكن قُطباً ، واستدر الرحا بالعرب.

إنَّك إن شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهمُّ إليك ممَّا بين يديك. إنَّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا : هذا أصل العرب ، فإذا اقتطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشدُّ لَكَلَبِهم عليك ، وطمعهم فيك » (١) .

وبحقٍّ إنَّ كلَّ كلمة من كلمات هذه الخطبة تعكس لنا عظمة علم الإمام عليه السلام.. وتنمُّ عن شخصيته المجلَّلة بالكمال والحكمة والصدق ، وبحقٍّ إنَّه كما قيل : « هو القرآن الناطق ، وما بين الدفَّتين القرآن الصامت » فهو عليه السلام لم يأخذ الا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو معلِّمه الأوَّل والأخير الذي يستقي كماله من الله عزَّ وجلَّ..

فاستبشر عمر بهذه النصيحة العظيمة وعمل بها ، وكان باباً للفتوح وقنطرة لانتصارات عدَّة..

أمَّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد قنع من الدنيا أن لا يتكلَّم الا بلسان البررة الأطهار ، ليقدِّم للمسلمين ، ويحافظ على الشريعة المطهرة ، ويمنع من مخالفتها قولاً أو فعلاً ، في أكثر الموارد التي أوضح فيها المشكلات على عمر وحال دون تطبيق أحكام منها على خلاف الكتاب والسنة ، بحيث لو سكت لكانت أحكاماً تتّبع ، حتى قال فيه عمر : « لولا عليٌّ لهلك عمر » ، « أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن ».

كذا رضي لنفسه أن يكون كغيره من الناس ، متجاهلاً حقَّه ، من أجل

---

١) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٤٦.

حفظ بيضة الإسلام ، وقد ساهم الإمام عليه السلام بكلّ ما بوسعه ، وادَّى ما عليه من البلاغ ، من تعليم وتفقيه ، بل وقضاء أيضاً..

ومن الأمور التي أشار الإمام على ابن الخطَّاب هو أن يدوِّن التاريخ الإسلامي ، وأن يجعل أول عام في تاريخ المسلمين هو عام الهجرة ، حيث لم يكن للناس تاريخ خاص يؤرِّخون فيه ، فبعضهم كان يؤرِّخ بعام الفيل ، وآخرون يعتمدون في تاريخهم تأريخ الدول المجاورة لهم.. ممّا سبَّب الكثير من المشاكل والخلافات ، لذلك عزم ابن الخطَّاب على أن يضع للمسلمين تاريخاً يعتمدونه في أمورهم.

ولمَّا رأى اختلاف الصحابة توجَّه إلى الإمام عليه السلام ـ كعادته ـ بعد أن خاف أن يتفرَّق أصحابه؛ لأنَّهم وقعوا في اختلاف شديد.. لمَّا أقبل على عليِّ بن أبي طالب عليه السلام اتَّجه إليه يسأله ، فقال عليه السلام : « نؤرِّخ بهجرة الرسول من مكَّة إلى المدينة » فأعجب ذلك الخليفة وكلُّ الصحابة ، وهتف عمر يقول : « لازلت موفَّقاً يا أبا الحسن » ، فأرَّخ بأهمَّ حدثٍ تاريخي عظيم ، هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبداية عهد جديد في انتصارات عديدة ، كما مرَّ سابقاً..

وفي هذه الفترة ظهر من الإمام عليٍّ أمور كثيرة وتعلّم الناس منه الفقه والحديث والتفسير ، وكان مرجع المسلمين والمحافظ على الاحكام وسبباً للنجاة من القتل والخلاص من الموت ، فمثلاً :

روي أنَّه أُتي عمر بن الخطَّاب بحاملٍ قد زنت ، فأمر برجمها ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : « هَبْ لك سبيلٌ عليها ، أيُّ سبيل لك على ما في بطنها! ؟ والله تعالى يقول : (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) » ، فقال عمر : لا عشتُ

لمعضلةٍ لا يكون لها أبو حسن ، ثُمَّ قال : فما أصنع بها ؟ قال : « احتط عليها حتى تلد ، فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم الحدَّ عليها » فسُرِّي بذلك عن عمر ، وعوَّل في الحكم به على أمير المؤمنين عليه السلام (١) .

وتوفِّي عمر في ليلة الأربعاء ، لثلاثٍ بقين من ذي الحجَّة سنة ثلاث وعشرين ، طعنه أبو لؤلؤة ، مولى المغيرة بن شعبة ، بخنجرٍ مسموم ، فمات على أثرها (٢)) .

قصَّة الشورى (٣):

لمَّا طُعِنَ عمر بن الخطاب ، أُخذ ودماؤه تسيل منه ، قيل له وهو واهن القوى : لو استخلفت على الناس ، يا أمير المؤمنين! فقال : إن أستخلف ، فقد استخلف مَنْ هو خيرٌ منِّي ، وإن أترك فقد ترك مَنْ هو خيرٌ منِّي ـ يشير إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر ـ وأراد من ذلك أن يكون الأمر للمسلمين شورى ، فظهر مبدأ الشورى لأوَّل مرَّة على لسانه في خطبته الشهيرة التي قال فيها : « فمن بايع رجلاً من غير مشورةٍ من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه ، تغرَّة أن يُقتلا » (٤) .

ثُمَّ لم يلبث مليَّاً حتى نقض قوله ، بقوله : « لو كان أبو عبيدة حيَّاً لولَّيته!

---

١) إرشاد المفيد ١ : ٢٠٤ وما بعدها.

٢) أنظر قصَّة مقتله في الكامل في التاريخ ٢ : ٤٤٦ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٨٨ ، وغيرها من كتب التراجم والتاريخ.

٣) عن : سير أعلام النبلاء ٢ : ٩٢ وما بعدها ، الإصابة ٢ : ٥٠٨ ترجمة الإمام عليٍّ بن أبي طالب ، الكامل في التاريخ ٢ : ٤٥٩ ، طبقات ابن سعد ٣ : ٢٦٠..

٤) صحيح البخاري ٦|٦٤٤٢ ، مسند أحمد ١ : ٥٦.

لو كان معاذ بن جبل حيَّاً لولَّيته! لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيَّاً لولَّيته »! (١) ذلك لأن تمسكه بالشورى كان له سبب مثير!!

ففي موسم الحج من تلك السنة جاء عبدالرحمن بن عوف إلى ابن عباس ، فقال له : لو سمعت ما قاله أمير المؤمنين ـ يعني عمر بن الخطاب ـ إذ بلغه أن فلاناً « قال : لو قد مات عمر لبايعت فلاناً » فما

كانت بيعة أبي بكر إلاّ فلتة.. فهمّ عمر أن يخطب الناس رداً على هذا القول فنهيته لاجتماع الناس كلهم في الحج وقلت له : إذا عدت المدينة فقل هناك ما تريد ، فإنه أبعد عن إثارة الشغب.

فلما رجعوا من الحج إلى المدينة قام عمر في خطبته المذكورة.

قال ابن حجر العسقلاني : وجدته في الأنساب للبلاذري بإسناد قوي من رواية هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري ، بالإسناد المذكور في الأصل ، ولفظه قال عمر : بلغني أن الزبير قال : لو قد مات عمر لبايعنا علياً.. الحديث (٢)

اختار عمر ستة من الصحابة ، زعم : « أنَّ رسول الله كان راضياً عن هؤلاء الستَّة » وهم : عُثمان بن عفَّان وعليُّ بن أبي طالب ، وطلحة وسعد بن أبي وقَّاص والزبير وعبدالرحمن بن عوف قال : « وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم ».

---

١) الكامل في التاريخ ٢ : ٤٥٩ ، طبقات ابن سعد ٣ : ٣٤٣.

٢) مقدمة فتح الباري في شرح صحيح البخاري | ٣٣٧ ، القسطلاني | إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٠ : ١٩.

واستدعى إليه أبا طلحة الأنصاري فقال له : يا أبا طلحة ، إنَّ الله طالما أعزَّ بكم الإسلام ، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم ، وخذ هؤلاء النفر بإمضاء الأمر وتعجيله ، واجمعهم في بيتٍ واحد ، وقم على رؤوسهم ، فإنَّ اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اتَّفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما ، وإن رضي ثلاثة فانظر الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمَّا اجتمع فيه الناس ، وإن مضى الستَّة ولم يتَّفقوا على أمر ، فاضرب أعناق الستَّة ، ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم..

هذا هو مبدأ الشورى الذي أراده عمر ، ولنرى كيف تمَّ الإتِّفاق..

ولمَّا خرج عليٌّ عليه السلام والجماعة من البيت بانتظار الموعد المعيَّن ، ما لبث أن جاءه عمُّه العبَّاس يسأله عمَّا جرى ، فقال : « عدلتْ عنَّا »! فقال : وما علمك ؟

قال : « قرن بي عُثمان ، وقال : كونوا مع الأكثر ، فإن رضي رجلان رجلاً ورجلان رجلاً ، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن ، فسعد لا يخالف ابن عمّه ، وعبدالرحمن صهر عُثمان لا يختلفون ، فيولّيها أحدهما الآخر ، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني ».. ومضى يقصُّ على عمّه أحداث الشورى وتفاصيلها ، حتى ملكته الدهشة لما سمع.. فقال له العبَّاس : إحذر هؤلاء الرهط ، فإنَّهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم به غيرنا ، وأيم الله لا يناله الا بشرٌ لا ينفع معه خير! فقال عليٌّ عليه السلام : « أمّا لئن بقي عُثمان لأذكّرنَّه ما أتى ، ولئن مات ليتداولُنَّها بينهم ، ولئن فعلوا لتجدنّي حيث

يكرهون » (١).

ولمَّا اجتمعوا تكلَّم أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : « الحمد لله الذي بعث محمَّداً منَّا نبيَّاً ، وبعثه إلينا رسولاً ، فنحن بيت النبوَّة ، ومعدن الحكمة ، وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، لنا حقٌّ إن نُعْطَه نأخذه ، وإن نُمْنَعْه نركبْ أعجاز الإبل ولو طال السُّرى ، لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهداً لأنفذنا عهده ، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت ، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقٍّ وصلة رحم ، لا حول ولا قوَّة الا بالله ، اسمعوا كلامي وعوا منطقي ، عسى أن تروا هذا الأمر بعد هذا المجمع تُنتضى فيه السيوف ، وتُخان فيه العهود ، حتى تكونوا جماعة ، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة » ثُمَّ قال :

فإن تكُ جاسمٌ هلكـتْ فإنّي * بما فعلتْ بنو عبد بن ضخمِ

مطيعٌ في الهواجرِ كلَّ عيٍّ * بصيرٌ بالنَّوى من كلِّ نجمِ (٢)

ومهما كان الحال ، فقد جاء في سائر التواريخ أنَّ أوَّل عمل قام به طلحة أن أخرج نفسه منها ، ووهب حقَّه فيها لعثمان بن عفَّان ، كرهاً منه لعليِّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأدرك الزبير النوايا المبيتة من طلحة ، فثارت في نفسه نزعة القرابة التي تشدُّه إلى عليٍّ عليه السلام ، فقال : وأنا أُشهدكم نفسي

أنِّي قد وهبت حقِّي في الخلافة لعليٍّ بن أبي طالب ، فوقف سعد بن أبي وقَّاص وقال : لقد وهبت حقِّي لعبد الرحمن بن عوف ، « وبقي في الساحة ثلاثة كلُّ واحدٍ منهم يمثِّل اثنين » فقال عبدالرحمن لعثمان وعليٍّ عليه السلام : أيُّكما يخرج منها للآخر ؟ فلمَّا

---

١) الكامل في التأريخ | ابن الأثير ٢ : ٤٦١ ط. دار الكتب العلمية.

٢) تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٧ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٤٦٦.

لم يجد منهما جواباً ، أخرج نفسه منها على أن يجعلها في أفضلهما.

وعرض على كلٍّ منهما أن يتولَّى الأمر من يؤثر الحقَّ ولا يتَّبع الهوى ، ولا يخصُّ ذا رحمٍ ولا يألو الأُمَّة نصحاً ، فوافق كلٌّ منهما على هذه الشروط.. لكنَّه ـ وبعد أن أحرجه الإمام بقبول الشروط ـ خلا عبدالرحمن بسعد بن أبي وقَّاص ، فأدرك عليٌّ عليه السلام أنَّهما إنَّما يريدان مخرجاً يسهِّل لهما أن يُعطوا الخلافة لعثمان؛ فقال أمير المؤمنين لسعد : « (وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالاَرْحَام) (١) ، أسألك برحم ابني هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبرحم عمِّي حمزة منك أن لا تكون ظهيراً لعبد الرحمن »..

ويبدو من هذا الاتِّفاق أنَّهم خرجوا بشرط جديد يُحرِج عليَّاً عليه السلام ، ولا يمكن له أن يقبله ، وبذلك تكون البيعة لعثمان بن عفَّان ، فقال عبدالرحمن لعليٍّ عليه السلام : عليك عهد الله وميثاقه ، لتعملن بكتاب الله وسُنَّة رسوله وسيرة الشيخين من بعده ، قال الإمام : « أعمل بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه وبرأيي ، فيما لا نصَّ فيه من كتابٍ أو سُنَّة » ، ودعا عُثمان فقال له مثل ما قال لعليٍّ عليه السلام فوافق عليها ، وقال : نعمل نعمل ، فرفع رأسه إلى سقف المسجد ، ويده في يد عُثمان فقال : اللَّهمَّ اسمع واشهد ، اللَّهمَّ إنِّي قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عُثمان ، فبايعه ، وبهذا النحو الذي شهدناه تمَّت البيعة لعثمان ، وحسب التخطيط الذي أراده عمر بن الخطَّاب.

وعقّب الأُستاذ هاشم معروف الحسني على قصَّة الشورى هذه بقوله : « أقول ذلك وأنا على يقين بأنَّ عليَّاً لو وافقهما على الشرط الأخير ، لوضعا

١) سورة النساء : ١.

له شرطاً آخر ، وهكذا حتى ينسحب منها ، وتتمَّ لابن عفَّان بلا منازع ».

حتماً ، فهذه ليست أوَّل مؤامرة تظاهروا بها على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام حينها : « ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُون) ، والله ما وليتَ عُثمان إلا ليردَّ الأمر إليك ، والله كلَّ يومٍ في شأن »! فقال عبدالرحمن : يا عليُّ ، لا تجعل على نفسك حجَّةً وسبيلاً ، فخرج عليٌّ عليه السلام وهو يقول : « سيبلغ الكتاب أجله » ، فقال المقداد : يا عبدالرحمن ، أما والله لقد تركته ، وإنَّه من الذين يقضون بالحقِّ وبه يعدلون ، فقال : يا مقداد ، والله لقد اجتهدتُ للمسلمين. قال : إن كنتَ أردتَ الله فأثابك الله ثواب المحسنين.

ثم قال المقداد : ما رأيتُ مثل ما أتى إلى هذا أهل البيت بعد نبيِّهم ، إنِّي لأعجب من قريش أنَّهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أنَّ رجلاً أقضى بالعدل ولا أعلم منه ، أما والله لو أجد أعواناً عليه!

فقال عبدالرحمن : يا مقداد ، اتَّق الله ، فإنِّي خائفٌ عليك الفتنة.

فقال رجل للمقداد : رحمك الله ، مَن أهل هذا البيت ، ومن هذا الرجل ؟

قال : أهل البيت بنو عبدالمطَّلب ، والرجل عليُّ بن أبي طالب.

فقال عليٌّ عليه السلام : « إنَّ الناس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر بينها فتقول : إن وُلِّيَ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً ، وما كانت في غيرهم تداولتموها بينكم ».

وقد شهد أبو الطفيل رضي الله عنه حادثة الشورى بما شهده وسمعه ، فقال : كنت على الباب يوم الشورى ، فارتفعت الأصوات بينهم ، فسمعت عليَّاً عليه السلام

يقول : « بايع الناس لأبي بكر ، وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقُّ به منه ، فسمعتُ وأطعتُ مخافة أن يرجع الناس كفَّاراً يضرب بعضهم رقاب بعضٍ بالسيف ، ثُمَّ بايع الناس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه ، وأحقُّ به منه ، فسمعتُ وأطعتُ مخافة أن يرجع الناس كفَّاراً يضرب بعضم رقاب بعضٍ بالسيف ، ثُمَّ أنتم تريدون أن تبايعوا عُثمان! إذاً أسمع وأُطيع » (١) .

ولمَّا عزموا على البيعة لعثمان ، قال الإمام عليٌّ عليه السلام : « أُنشدكم الله ، أفيكم أحد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين نفسه غيري ؟ » قالوا : لا. قال : « أفيكم أحدٌ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كنتُ مولاه فهذا مولاه ، غيري ؟ » قالوا : لا.

قال : « أفيكم أحدٌ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى غيري ؟ » قالوا : لا.

قال : « أفيكم من أوْتمن على سورة براءة ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّه لا يؤدِّي عنِّي الا أنا أو رجل منِّي ، غيري ؟ » قالوا : لا.

قال : « ألا تعلمون أنَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرُّوا عنه في مأقطِ الحرب في غير موطن ، وما فررتُ قطُّ ؟ » قالوا : بلى.

قال : « ألا تعلمون أنِّي أوَّل الناس إسلاماً ؟ » قالوا : بلى.

قال : « فأيُّنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسباً ؟ » قالوا : أنت.

فقطع عليه عبدالرحمن بن عوف كلامه ، وقال : يا عليُّ ، قد أبى الناس الا عُثمان ، فلا تجعلنَّ على نفسك سبيلاً!

ثُمَّ توجَّه عبدالرحمن إلى أبي طلحة الأنصاري ، فقال له : يا أبا طلحة ،

---

١) كنز العمَّال ٥ : ٧٢٤|١٤٢٤٣.

ما الذي أمرك عمر ؟ قال : أن أقتل من شقَّ عصا الجماعة!

فقال عبدالرحمن لعليٍّ : بايع إذن ، والا كنتَ متَّبعاً غير سبيل المؤمنين!! وأنفذنا فيك ما أُمرنا به!!

فقال عليٌّ عليه السلام كلمته الشهيرة : « لقد علمتم أنِّي أحقُّ بها من غيري ، ووالله لأُسلمنَّ ما سلمت أمور المسلمين ، ولم يكن فيها جورٌ الا عليَّ خاصَّةً؛ إلتماساً لأجر ذلك وفضله ، وزهداً في ما تنافستموه من زخرفه وزبرجه » (١) .

كان هذا آخر ما قاله الإمام عليٌّ عليه السلام يوم الشورى ، فهل تسمَّى هذه شورى ؟ أم غلبة بالسيف ؟!

وختاماً من المناسب أن نذكر هذا المقطع من الخطبة المعروفة بالشقشقية والذي يصف فيه موقفه من هذه الشورى ، فيقول : « فصبرتُ على طول المدَّة ، وشدَّة المحنة.. حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة زَعَم أنِّي أحدهم ، فيا لله وللشورى ، متى اعترض الريبُ فيَّ مع الأوَّل منهم حتى صرتُ أُقرنُ إلى هذه النظائر! » (٢) .

ثالثاً : في عهد عُثمان :

دُفن عمر وتمَّت قصَّة الشورى ، وزُفَّ عُثمان كما زُفَّ صاحباه من قبل ، وبايعه الناس ، وتصدَّر المنبر ، منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ليخطب فيهم خطبته التي سيعلن فيها تعهده بالتزام سيرة الشيخين ، وسنرى فيما بعد كيف أنَّه خالف ما تعهد التزامه ، حتى سيرة الشيخين في عدَّة أمور ، وعطَّل بعض

---

١) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ١٦٦.

٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٣.

الواجبات حتى أصبح عهده عهد الفتن..

ومن أهمِّ الأمور التي انتهجها عُثمان في سياسته ، والتي فتحت أبواباً من الفتن واسعة :

١ ـ أحاط نفسه بأزلام بني أُميَّة ، وتربَّع على العرش يهب أموال المسلمين لرجالات عمومته بني أُميَّة ، فكانوا المقرَّبين منه ، بحيث ترك مشورة كبار الصحابة ، ولم يستعمل أحدهم على أمر من أمور

المسلمين واستغنى برأيه ورأي مروان ، والأنكى من كلّ ذلك أنَّه ألحق الضرر والضرب ـ وحتى الموت ـ بكبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسجن آخرين. فضرب عمَّاراً وفتق بطنه ، وسيَّر أبا ذرٍّ إلى الربذة ، وسيَّر عامر بن قيس من البصرة إلى الشام! وغير ذلك من الأمور الشنيعة ، حتى غلب على عهده التسلُّط والاثرة وجمع الأموال ، واكتفى برأي أصحاب الحيلة والدهاء ، من ذوي قرباه.

٢ ـ استبدال الولاة الذين عيَّنهم عمر ، بولاة جدد من بني أُميَّة من أصحاب المطامع ، وليس لأحدهم دين وازع أو سلطان رادع ، ولم يكن همُّ أحدهم سوى جمع الأموال والتربُّع على عرش الملك!

فجمع الشام كلَّه لابن عمّه معاوية ، وعبدالله بن أبي سرح ـ المرتدُّ ، الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتله ولو وجد متعلِّقاً بأستار الكعبة! ـ على مصر ، وهو أخوه من الرضاع ، وفي الكوفة ـ أخوه لأُمّه ـ الوليد بن عقبة ، وفي البصرة ابن عمّه سعيد بن العاص ، وولَّى ابن خاله عبدالله بن عامر على خراسان ، وفي المدينة المنوَّرة « مقرُّ الخلافة » كان مروان بن الحكم

ـ طريد رسول الله ولعينه ـ وزير الخليفة ومستشاره ، فهو ابن عمّه وكاتبه.

وكلُّهم من طغمة بني أُميَّة خاصَّة من مسلمة الفتح « الطلقاء ، والمؤلَّفة قلوبهم » حتى أصبحت أموال الدولة والمسلمين متاعاً خاصاً لهم ، وظنُّوا أنَّ الخلافة وراثةً لهم ، كما قال أبو سفيان : « يا بني أُميَّة تلقَّفوها تلقُّف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ، ولتصيرنَ إلى صبيانكم وراثةً »!

فهؤلاء هم عمال عُثمان الذين لا يريد أحدهم سوى أن يصبح جبَّاراً في الأرض أو ملكاً يُطاع أو يُسجد له!!

وقد كانت هذه المفارقات وغيرها السبّب لثورة الناس ضدّه ، فسعى الأمام عليه السلام للإصلاح وإخماد الفتنة ، وكم ذكّره بالله والدين ، وبحقوق المسلمين ، وكان مما قال له مرةً : « والله لو ظلم عامل من عمّالك حيث تغرب الشمس لكان اثمه شركاً بينه وبينك » (١) .

مهَّدت إلى ظهور فتن وأزمات وكم سعى الامام عليه السلام ومن معه من الصحابة في الإصلاح ولم يستجب عثمان ومن حوله لدعوته ، حتى فلت الأمر من يده ، لا سيّما وأنّ بعض أكابر الصحابة كانوا يساندون الثائرين على عثمان والمعترضين بشدة ويؤلّبون الجماهير ضده منهم عائشة التي كانت تقول : اقتلوا نعثلاً فقد كفر. وطلحة الذي كان يكاتب أهل البصرة يحرِّضهم على النهوض لقتل عُثمان (٢) . وعبدالرحمن بن عوف الذي قال

---

١) شرح نهج البلاغة | لابن أبي الحديد ٩ : ١٥.

٢) الكامل في التاريخ ٣ : ١٠٩.

لعثمان : « لِمَ فررتَ يوم أُحد ، وتخلَّفت عن بدر ، وخالفت سُنَّة عمر ؟ » (١) .

ولمَّا طالبت الجماهير المنتفضة عُثمان بعزل الولاة الفاسدين ، واستبدالهم بولاةٍ صالحين ، أبى ذلك ، فعزل أهل الكوفة سعيد بن العاص الأموي ورشحوا أبا موسى الأشعري ، لكن عثمان أقرّ سعيداً ولم يعزله ، وهكذا كان الأمر في بعض الولايات الاسلامية الاخرى بسبب ما لاقاه الناس من الولاة من جورٍ وفساد ، وحينئذٍ عادوا وطلبوا من عثمان ، أن يعزل نفسه ، حينها قال عُثمان : « ما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله » (٢) ، فجعل أمر الخلافة هبةً من الله تعالى ، ولا يمكن له أن ينزعها ، وليس من حقِّ الأُمَّة أيضاً أن تثور عليه وتنزع الخلافة منه!

رأى عُثمان أنَّ الأُمَّة كلَّها ضدَّه وسوف لا تتركه حتى يستجيب لارادتها ، ولم يرَ ناصحاً في هذه الأيَّام الشديدة من حياته غير الإمام عليِّ بن أبي طالب عليه السلام ، حينها أجتمع الناس إلى الإمام عليه السلام وبيَّنوا له فساد الأمر بيد عُثمان ، فنهض الإمام عليه السلام ليكلِّم الخليفة وينصحه ، فقال له : « إنَّ الناس ورائي ، وقد استسفروني بينك وبينهم ، ووالله ما أدري ما أقول لك! ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلُّك على أمرٍ لا تعرفه ، إنَّك تعلم ما نعلم ، وما سبقناك إلى شيءٍ فنُخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلِّغكه ، وقد رأيتَ كما رأينا ، وسمعتَ كما سمعنا ، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صحبنا..

وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطَّاب بأولى بعمل الحقِّ منك ، وأنت

---

١) سير اعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون) : ١٨٦.

٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٧١.

أقرب إلى أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيجة رحمٍ منهما ، وقد نلتَ من صهره ما لم ينالا ، فالله الله في نفسك ، فإنَّك والله ما تُبصَّر من عمىً ، ولا تُعلَّم من جهلٍ ، وإنَّ الطرق لواضحة ، وإنَّ أعلام الدين لقائمة..

فاعلم أنَّ أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادل ، هُدِي وهدى ، فأقام سُنَّةً معلومة ، وأمات بدعةً مجهولة ، وإنَّ السنن لنيِّرةٌ لها أعلام ، وإنَّ البدع لظاهرةٌ لها أعلام. وإنَّ شرَّ الناس عند الله إمامٌ جائرٌ ، ضلَّ وضُلَّ به ، فأمات سُنَّةً مأخوذةً ، وأحيا بدعةً متروكة ، وإنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر ، فيُلقى في نار جهنَّم فيدور فيها كما تدور الرحى ، ثُمَّ يرتبط في قعرها..

وإنِّي أُنشدك الله الا تكون إمام هذه الأُمَّة المقتول! فإنَّه كان يُقال : يُقتل في هذه الأُمَّة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، ويلبس أمورها عليها ، ويبثُّ الفتن فيها ، فلا يُبصرن الحقَّ من الباطل ، يموجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً ، فلا تكوننَّ لمروان سيِّقةً يسوقك حيث شاء بعد جلال السنِّ وتقضِّي العمر »!

فقال له عُثمان : « كلِّم الناس فيّ أن يؤجِّلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم ».

فقال عليه السلام : « ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه » (١) مة.

فكلَّمهم عليٌّ ، فرجع المصريون إلى مصر ، ولكنَّ تأخَّر عُثمان عن

---

١) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٦٤.

تنفيذ ما وعدهم به ، وكان الذي صرفه عن ذلك مروان بن الحكم ، إذ قال لعثمان : تكلَّم وأعلِمِ الناس أنَّ أهل مصر قد رجعوا ، وأنَّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً ، قبل أن يجيء الناس إليك من أمصارهم ، ويأتيك ما لا تستطيع دفعه! ففعل عُثمان ذلك (١) .

فثارت الفتنة من جديد ، وانتفضت الجموع الغاضبة ، فتشبَّث عُثمان مرَّةً أُخرى بعليٍّ عليه السلام بعد أن رجع المصريون وحاصروه ، فقال له : « يا ابن عمّ ، إنَّ قرابتي قريبة ، ولي عليك حقٌّ عظيم ، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم ، وهم مُصبِّحيَّ ، ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك ، وأُحبُّ أن تركب إليهم فتردَّهم عنِّي ».

فقال له عليٌّ عليه السلام : « على أيِّ شيءٍ أردُّهم عنك » ؟

قال : « على أن أصير إلى ما أشرت إليه ورأيته لي ».

فقال عليٌّ : « إنِّي قد كلَّمتك مرَّةً بعد أُخرى ، فكلُّ ذلك نخرج ونقول ، ثُمَّ ترجع عنه ، وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبدالله بن سعد ، فإنَّك أطعتهم وعصيتني ».

قال عُثمان : « فأنا أعصيهم وأُطيعك ».

فأمر الناس ، فركب معه من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلاً ، فأتى المصريِّين فكلَّمهم ، فذكر لهم ما وعد به عُثمان من العمل بالحق وإرضائهم (٢).

---

١) الكامل في التاريخ ٣ : ٥٤ ، تاريخ الطبري ٤ : ٣٦٠.

٢) الكامل في التاريخ ٣ : ٥٣ ـ ٥٤.

ولمَّا عاد الإمام عليٌّ عليه السلام من مهمَّته في تبليغ الوعود ، قال لعثمان : « تكلَّم كلاماً يسمعه الناس منك ، ويشهدون عليك ، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة ، فإنَّ البلاد قد تمخَّضت عليك ، فلا آمن أن يجيء ركب آخرين من الكوفة ، فتقول : يا عليُّ اركب إليهم ، ولا أقدر أن أركب

إليهم ولا أسمع عذراً ، ويقدم ركب من البصرة ، فتقول : يا عليُّ اركب إليهم ، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقِّك ».

فخرج عُثمان فخطب الناس ، فقال بعد الحمد والثناء : أمَّا بعد أيُّها الناس ، فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله ، وما جئت شيئاً الا وأنا أعرفه ، ولكنِّي فتنتني نفسي وكذَّبتني وضلَّ عنِّي رشدي ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من زلَّ فليتب ، ومن أخطأ فليتب ، ولا يتمادَّ في الهلكة ، إنَّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق » ، فأنا أوَّل من اتَّعظ ، واستغفر الله ممَّا فعلت وأتوب إليه ، فمثلي نزع وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم ، فوالله لئن ردَّني الحقُّ عبداً لأستنَّ بسُنَّة العبد ، ولأذلَّنَّ ذلَّ العبد ، ولأكونَنَّ كالمرقوق ، إن مُلِكَ صبر ، وإن عُتِقَ شكر ، وما عن الله مذهب الا إليه ، فلا يعجزنَّ عنكم خياركم أن يدنوا إليَّ ، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي (١) ، فوالله لأعطينَّكم الرضا ، ولأُنحينَّ مروان وذويه ولا أحتجب عنكم (٢).

فرقَّ الناس له ، وبكوا ، وبكى هو أيضاً..

---

١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٦٠ ـ ٣٦١.

٢) الكامل في التاريخ ٣ : ٥٥.

ولمَّا نزل عُثمان وعاد إلى بيته عاب عليه مروان إقراره بالخطأ ، وما أعطاهم من الوعد بالإصلاح والصلاح ، ولم يكن من عُثمان الا أن يركن إلى كلامه ويقول : أُخرج إلى الناس فكلِّمهم ، فإنِّي أستحي أن أُكلِّمهم! وخرج مروان إلى الناس فقال لهم : ما شأنكم ؟ قد اجتمعتم كأنَّكم جئتم لنهب! شاهت الوجوه! جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! أُخرجوا عنَّا.. ارجعوا إلى منازلكم ، فإنَّا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا (١) .

ولمَّا بلغ عليَّاً عليه السلام هذا الكلام ، وأنّ عُثمان أصرَّ على سياسته التي اختطَّها مروان وغيره ، ولم يستطع أن يغيِّر من موقفهم ، قال : « أي عباد الله ، يا للمسلمين! إنِّي إن قعدت في بيتي قال لي : تركتني وقرابتي وحقِّي ، وإنِّي إن تكلَّمت فجاء ما يريد يلعب به مروان ».. وقام مغضباً حتى دخل على

عُثمان فقال له : « أما رضيت من مروان ولا رضي منك ، الا بتحريفك عن دينك وعن عقلك.. والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه ، وأيمُ الله إنِّي لأراه يوردك ولا يُصدرك! وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، أذهبت شرفك ، وغُلبت على رأيك » (٢) .

وندم عُثمان على فعله ، فبعث إلى عليٍّ عليه السلام يستصلحه ، فقال عليٌّ عليه السلام : « أخبرته إنِّي غير عائد ».. أمَّا الناس فقد حاصروا عُثمان في بيته ومنعوا عنه الماء.. فاشتدَّ عليه الأمر ، وضلَّ حائراً لا يلوي فعل شيء ، الا أن يغلق عليه بابه وينتظر ما سيحدث!

---

١) الكامل في التاريخ ٣ : ٥٦ ، البداية والنهاية ٧ : ١٩٣.

٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٦٣.

لكنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر ولديه الحسن والحسين عليهما السلام بحمل سيفيهما والذود عن عُثمان يمنعان الناس عنه..

وذهب عليه السلام إلى طلحة ـ وكان هو الذي قد منع الماء عن عُثمان مع جماعة حوله ـ متناسياً كلَّ ما حدث من عُثمان ، فقال له : « يا طلحة ، ما هذا الأمر منك الذي وقعت فيه » ؟!

قال : « يا أبا الحسن ، بعد ما مسَّ الحزام الطُّبْيَين » (١) .

فقدم الإمام عليه السلام بيت المال ، وكسر الباب وأعطى الناس ، فانصرفوا عن طلحة حتى بقي وحده!

فسُرَّ عُثمان بذلك ودخلت عليه الروايا بالماء.

ونقل الطبري وابن الأثير في تاريخيهما (٢) ، قول عُثمان بشأن طلحة : « هذا ما أمر به طلحة بن عبدالله ، اللَّهمَّ اكفني طلحة ، فإنَّه حمل عليَّ هؤلاء وألَّبهم عليَّ ، والله إنِّي لأرجو أن يكون منها صفراً ، وإنَّ يُسفك دمه! إنَّه انتهك منِّي ما لا يحلُّ له! ».

أمَّا المصريون الذين كلَّمهم عليٌّ عليه السلام ورجعوا ، فبينما هم في بعض الطريق رأوا راكباً أمره مريب ، فأخذوه وفتَّشوه ، فإذا هو غلام عُثمان يحمل كتاباً بختم عُثمان الى عبدالله بن سعد أن يفعل بهم ويفعل! وكان مروان هو الذي زوَّر هذا الكتاب (٣) .

فرجعوا وشدَّدوا الحصار على عُثمان ، بعد أن خيَّروه بين ثلاث : أن

---

١) الكامل في التاريخ ٣ : ٥٦. وقوله « مسّ الحزام الطُّبْيَين » كناية عن المبالغة في تجاوز حدّ الشرّ والأذى ، لأن الحزام إذا بلغ الطبيين فقد انتهى إلى أبعد غاياته. فالطُّبي حلمة الضرع | لسان العرب (طبي).

٢) تاريخ الطبري : ٤ : ٣٧٩ ، الكامل في التاريخ ٣ : ١٦٧.

٣) انظر : الخلفاء الراشدون من تاريخ الاسلام للذهبي : ٤٥٨.

يخلع عمَّاله الذين شكتهم الناس ، أو يخلع نفسه ، أو يقتلوه!

وكأنَّه اختار لنفسه القتل ، حيث قال : « ما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله عزَّ وجلَّ ».

الباب الثالث

خلافة أمير المؤمنين عليه السلام

الفصل الأول : تولّي الخلافة وسياسته في الإصلاح :

قتل عُثمان ، ولم يكن ثمة فرصة لتعيين من يقوم بعده بالخلافة ، فلا سقيفة ولا شورى! فكان من حقّ الجماهير ، ولأوَّل مرَّة في تأريخها ، أن تطلق صوتها وترجع إلى رشدها.

فنهضت الجماهير عطشى تتسابق سباق الإبل إلى الماء ، جاءوا دار الإمام عليٍّ عليه السلام حيث اعتزل قبل هلاك عُثمان ، ولم يخرج من بيته ، يطالبون أن يخرج إليهم ليبايعوه..

حتى وصف أمير المؤمنين عليه السلام هذا السيل العارم وإصرارهم على البيعة بقوله : « فما راعني من الناس الا وهم رسلٌ إلي كعُرف الضبع ، يسألونني أن أُبايعهم ، وانثالوا عليَّ حتى لقد وُطئ الحسنان ، وشُقَّ عطفاي ».

ومضى يصف في خطبته هذه موقفه من الخلافة : « أما والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ولزوم الحجَّة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على أولياء الأمر الا يقرُّوا على كظَّة ظالم أو سغب مظلومٍ ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أوَّلها ، ولألفوا دنياهم أزهد عندي من عفطة عنزٍ » (١) .

وتمَّت بيعته في الخلافة في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي

---

١) مقاطع من خطبته الشقشقية.

الحجَّة عام ٣٥هـ ، وقال عليه السلام يصف ذلك الأمر : « وبسطتهم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، ثُمَّ تداككتم عليَّ تداكَّ الإبل الهيم على حياضها يوم وردها ، حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووُطئ الضعيف.. » (١) .

وعن أبي ثور ـ كما جاء في (الإمامة والسياسة) ـ أنَّه قال : « لمَّا كانت البيعة بعد مصرع عثمان خرجت في اثر عليٍّ عليه السلام والناس حوله يبايعونه ، فدخل حائطاً من حيطان بني مازن ، فألجأوه إلى نخلة وحالوا بيني وبينه ، فنظرت إليهم وقد أخذت أيدي الناس ذراع الإمام ، تختلف أيديهم على يده ، ثُمَّ أقبلوا به إلى المسجد الشريف ، فكان أوَّل من صعد المنبر في المسجد طلحة وبايعه بيده ، وكانت أصابعه شلاء ، فتطيَّر منها عليٌّ عليه السلام وقال : « ما أخلقها أن تنكث » ، ثُمَّ بايعه الزبير وأصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وجميع من في المدينة من المسلمين » (٢) .

بهذه اللهفة تمَّت أوَّل بيعة على صعيد واسع ، وصعد الخليفة الأول الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر الشريف بقبول الناس ورضاهم ، لكنَّ الإمام عليَّاً عليه السلام لم يكن من أصحاب السلطة.. فلم يقبل بالخلافة الا بعد أن رأى أنْ لا مفرَّ من ذلك ، وأنَّ مصلحة الإسلام والمسلمين تقتضي أن يمدَّ يده لتختلف عليه أيدي الناس المبايعة..

في هذا الجو المشحون بالفتن والحوادث بعد مقتل الخليفة وما خلَّف قتله من آثار ـ سنمرُّ عليها لاحقاً ـ في هذه الأجواء تمَّت البيعة للإمام عليه السلام ،

---

١) نهج البلاغة ، الخطبة : ٢٢٩.

٢) الإمامة والسياسة١ : ٥٠ ، وانظر : الكامل في التاريخ٣ : ٨١ ـ احداث سنة ٣٥ ، البداية والنهاية ٧ : ٢٢٧.

فقال ابن عبدالبر : « بويع لعليٍّ رضي الله عنه بالخلافة يوم قُتل عُثمان ، فاجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار ، وتخلَّف عن بيعته نفرٌ منهم ، فلم يهجهم ولم يُكرههم.. » (١).

وكان ممَّن تخلَّف عن بيعته يوم ذاك : حسَّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وزيد بن ثابت ، ومروان بن الحكم ، وسعد بن أبي وقَّاص ، وعبدالله بن عمر ، ومعاوية ومن معه في جماعة أهل الشام وآخرون (٢) ، وعائشة بنت أبي بكر ، زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث وقفت من الإمام عليٍّ أشدَّ المواقف العدائية التي سنقف عليها لاحقاً.

على أي حال قد تمَّت البيعة المثالية ، التي لم يشهد التأريخ مثلها على جوانب صفحاته ، بيعة ليس لها

نظيرٌ قطُّ ، اندفع كلُّ الناس يتسابقون أيُّهم يحوز الفضل قبل صاحبه.. ولم يفد معهم كلام ولا حجَّة ، فكانوا مصرِّين على بيعته حتى « وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيَّاي أن ابتهج بها الصغير ، وهَدَجَ إليها الكبير ، وتحامل نحوها العليل ، وحسرت إليها الكعاب.. » (٣) لا يرتضون له بديلاً حتى وإن أعلمهم بحقيقة الأمر وسياسته التي قد لا تُرضي الجمهور!

قد وضعهم أمام السياسة الواضحة ؛ إذ قال لهم : « دعوني والتمسوا غيري ، فإنَّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول.. وإنَّ الآفاق قد أغامت ، والمحجَّة قد تنكَّرت.. ».

---

١) تهذيب الكمال ١٣ : ٣٠٤.

٢) أنظر : الكامل في التاريخ ٣ : ٨٢ حيث ذكر عشرة أشخاصٍ تخلفوا عن بيعة الإمام.

٣) نهج البلاغة ، الخطبة : ٢٢٩.

وأضاف قائلاً : « واعلموا أنِّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أصغِ إلى قول القائل وعتب العاتب » (١) .

فاستجاب الناس طائعين إلى عرض أبواب السياسة التي سينتهجها ، ووجد المسلمون أنفسهم أمام واقعٍ جديد وأحداث جديدة لا عهد لهم بها من قبل.

ذكر الشيخ المفيد خبراً عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، قال : « جمع أمير المؤمنين عليه السلام الناس للبيعة ، فجاء عبدالرحمن بن ملجم المرادي ـ لعنه الله ـ فردَّه مرَّتين أو ثلاثاً ثُمَّ بايعه ، وقال عند بيعته له : « ما يحبس أشقاها! فوالذي نفسي بيده لتُخضبن هذه من هذا » ووضع يده على لحيته ورأسه عليه السلام ، فلمَّا أدبر ابن ملجم عنه منصرفاً قال عليه السلام متمثِّلاً :

« أشدد حيازيمك للمـوت * فـإنَّ المـوت لاقيـك

ولا تجـزع من المـوت * إذا حـلَّ بـواديـك

كمـا أضحكك الدهـر * كذاك الدهـر يبكيك » [٢]

سياسته الإصلاحية :

لمَّا آلت إليه خلافة المسلمين انصرف منذ اليوم الأوَّل لمشروع الإصلاح ، إصلاح ما نخره المتقدمون عليه وعُثمان وعمَّاله على صعيد الاتِّجاه السياسي والاجتماعي ، وحتى الثقافي ، في دولة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن جلائل خطبه ومشهوراتها ، تلك التي وصف فيها حال الأُمَّة ،

---

١) نهج البلاغة ، الخطبة : ٩٢.

٢) إرشاد المفيد ١ : ١١. ونقله العلاَّمة المجلسي في البحار ٤٢ : ١٩٢|٦.

حالهم الجديدة ، فيصفها في يوم بيعته : « .. ألا وإنَّ بليَّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم والذي بعثه بالحقِّ لتُبَلْبَلُنَّ بلبلةً ولتُغربلُنَّ غربلةً ، ولَتُساطُنَّ سوط القدر ، حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقَنَّ سابقون كانوا قصَّروا ، وليُقصِّرنَّ سبَّاقون كانوا سبقوا..

والله ما كتمتُ وشمةً ، ولا كذبت كذبةً ، ولقد نُبِّئتُ بهذا المقام وهذا اليوم... حقٌّ وباطل ، ولكلٍّ أهل ، فلئن أمِرَ الباطل لقديماً فعل! ولئن قلَّ الحقُّ ، فلربَّما ولعلَّ! ولقلَّما أدبر شيءٌ فأقبل » (١) ! كما أنبأه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومرَّةً أُخرى يضع النقاط الأساسية لواجبات الخلافة الجديدة : « اللَّهمَّ إنَّك تعلم أنَّه لم يكن الذي كان منَّا منافسةً في سلطان ، ولا التماس شيءٍ من الحطام ، ولكن لنردَّ المعالم من دينك ، ونُظهر الإصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتُقام المعطَّلة من حدودك » (٢) .

ردُّ المعالم الضائعة المغيَّبة من الدنيا ، وردُّ الحقِّ المنتهك من عباد الله ، وإقامة الحدود المعطَّلة ، كأنجح وأعدل سياسة في الحكم الإسلامي ، هذه هي أهمُّ أوجه السياسة في الخلافة الجديدة.

لأوَّل مرَّة سيُقام العدل ويُركل الظلم في أشدِّ حالات القتال! القتال على التأويل كما قاتل رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم على التنزيل : « إنَّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن » قال أبو بكر : أنا هو ؟ وقال عمر : أنا هو ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ، لكنَّه عليٌّ »! (٣) .

---

١) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٦.

٢) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٣١.

٣) مسند أحمد ٣ : ٨٣ ، المستدرك ٣ : ١٢٣.

هذا هو مشروع الإصلاح ، حسبما اختصره الإمام في خطبته السابقة ، وكان هذا إصلاح الساحة السياسة.

أمَّا التغيير الاجتماعي والديني والثقافي فتجسَّد في بيانه للناس عامَّةً ، وعمَّاله خاصَّةً ، بقوله : « إنَّ الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً بيَّن فيه الخير والشرَّ ، فخذوا نهج الخير تهتدوا ، واصدِفوا عن سمت الشرِّ تقصدوا..

الفرائض ، الفرائض! أدُّوها إلى الله ، تؤدِّكم إلى الجنَّة.. » ديناً.

أمَّا على الصعيد الاجتماعي والثقافي فيمكن أن نراه واضحاً في قوله : « إنَّ الله حرَّم حراماً غير مجهول ، وأحلَّ حلالاً غير مدخول ، وفضَّل حُرمة المسلم على الحُرم كلِّها ، وشدَّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها.. ».

ولعمَّاله خاصَّةً قوله : « بادروا أمر العامَّة ، وخاصَّة أحدكم وهو الموت.. » وقوله : « اتَّقوا الله في عباده وبلاده ، فإنَّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم.. » (١) .

بهذا الإخلاص الرفيع والحكمة المتعالية والسياسة الحكيمة ، يضعنا أمام الأمر الواقع ، فقد أعاد عليه السلام إلى الأذهان الدين الحقَّ المنزَّل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والذي تزيَّف في عهود من سبقه!!

أوَّلاً : باشر الإمام في تنفيذ العدل والمساواة بين الرعية..

وثانياً : مراقبة العمَّال والأُمراء. وله كتب عدَّة في هذه الأُمور ، جمعها صاحب نهج البلاغة ، بما

يقارب ٣٢ كتاباً ، في الشؤون الإدارية والسياسية

---

١) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٦٧ ، وذكره ابن الأثير في تاريخه ٣ : ٨٤ ـ ٨٥.

ووصايا إلى الأمراء والأجناد ، فلا يسعنا الحديث عن كلّ كتبه هذه!

ثالثاً : القتال على تأويل القرآن!!

خطوات مشروعه الاصلاحي

والآن مع خطواته في مشروع التنفيذ الإصلاحي :

أولاً : إلغاء التمايز الطبقي :

ساد في عهد « عمر » و« عُثمان » تمايز طبقي في توزيع الثروة من بيت المال ، حتى أصبح الناس قسمين ، قسم في عداد الأثرياء وما فوق ذلك ، وآخرون لا يرتفعون عن مستوى الفقر كثيراً! حتى تسبَّبت هذه السياسة الظالمة في استثراء تفاوت طبقي خطير..

فأعلن الإمام عليٌّ عليه السلام إلغاء التمايز الطبقي بكلّ أسبابه ، وعهد إلى التسوية بين الناس في العطاء ، فالناس عنده سواسية كأسنان المشط ، وانقطعت آمال الطبقة الغنية التي لم تنظر للدنيا الا في منظار مادّي.

فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « ألا لا يقولنَّ رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا ، فاتَّخذوا العقار وفجَّروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة ، واتَّخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً ، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون ، فينتقمون ذلك ويستنكرون ، ويقولون : حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا! » (١) .

ولمَّا نودي لقبض الحقوق ، قال الإمام عليٌّ عليه السلام لعبيدالله بن أبي رافع

---

١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٧ : ٣٧.

ـ كاتبه ـ : « إبدأ بالمهاجرين فناديهم ، وأعطِ كلَّ رجلٍ ممَّن حضر ثلاثة دنانير ، ثُمَّ ثنِّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك ، ومن حضر من الناس كلُّهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك »!

وتخلَّف يومذاك رجال منهم : طلحة ، والزبير ، وعبدالله بن عمر ، وسعد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، قد عزَّ عليهم أن يكونوا كغيرهم من الموالي والعبيد!

هناك خطب الإمام عليٌّ عليه السلام مرَّةً أُخرى قال فيه : « هذا كتاب الله بين أظهرنا ، وعهد رسول الله وسيرته فينا ، لا يجهل ذلك الا جاهل عانَدَ عن الحقِّ ، منكر ، قال تعالى : (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُم) » ثُمَّ صاح بأعلى صوته « (أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِين)! أتمنُّون على الله ورسوله بإسلامكم ؟! (بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين) أنا أبو الحسن ، ألا إنَّ هذه الدنيا التي أصبحتم تمنُّونها وترغبون فيها ، وأصبحت تُغضبكم وترضيكم ، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خُلقتم له ، فلا تغرَّنكم فقد حذَّرتكموها..

فأمَّا هذا الفيء فليس لأحدٍ على أحدٍ فيه أثرة ، وقد فرغ الله من قسمته ، فهو مال الله ، وأنتم عباد الله المسلمون.. وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا ، وعهد نبيِّنا بين أظهرنا ، فمن لم يرضَ به فليتولَّ كيف يشاء! فإنَّ العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه » (١) .

---

١) شرح ابن أبي الحديد٧ : ٤٠ ، والآيتان على التوالي من سورة الحجرات ٤٩ : ١٣ ـ ١٧.

وقال عليه السلام : « أتأمرونِّي أن أطلب النصر بالجور فيمن وُليِّتُ عليه! والله لاأطور به ما سَمَرَ سَميرٌ (١) ، وما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً! لو كان المال لي لسوِّيت بينهم ، فكيف وإنَّما المال مال الله ؟!

» (٢) .

وكان ذلك أبلغ وأروع خطاب يهزُّ المشاعر ، فهنيئاً لمن عاش في ظل النبوَّة والإمامة الحقَّة!

ثُمَّ بعث أمير المؤمنين عليه السلام الى طلحة والزبير ، يعاتبهما على ما فعلاه من الصدِّ والإكراه ، فقال ـ بعدما ذكَّرهما ببيعتهما له ، وهو كاره ـ : « ما دعاكما بعد إلى ما أرى ؟ ما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي ؟! ».

قالا : أعطيناك بيعتنا ، على أن لا تقضي الأُمور ولا تقطعها دوننا ، وأن تستشيرنا في كلِّ أمرٍ ولا تستبدَّ بذلك علينا.. إنَّك جعلت حقَّنا كحقِّ غيرنا ما قد علمت ، فأنت تقسم القَسْم وتقطع الأمر ، وتُمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال : « فوالله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولكنكم دعوتموني إليها ، وجعلتموني عيها فخفت أن اردّكم فتختلف الأمة ، فلمّا أفضتْ إليَّ نظرتُ إلى كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دّلاني عليه واتبعته ولم احتج في ذلك إلىآرائكما فيه ، ولا رأي غيركما ،ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولافي السنّة برهانه ، واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه. وأما القسم والأُسوة ، فإن ذلك أمر لم أحكم فيه باديء بدء ، قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

١) أي لا أقاربه هدى الدهر.

٢) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٢٦.

يحكم بذلك ،... أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر ».

ثم قال عليه السلام : « رحم الله امرءاً رأى حقاً فأعان عليه ، ورأى جوراً فردّه ، وكان عوناً للحق على من خالفه » (١).

وكان موقف عليٍّ عليه السلام من أمثال هؤلاء ، هو اتباع لغة القرآن الكريم وسُنَّة الرسول العظيم ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فلم يبدل حكماً ويستبدل بآخر ، غير الذي رآه أنَّه جادَّة الصواب المستقيمة ، وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً!

هذه هي الثورة الاجتماعية التي أحدثها الإمام عليه السلام ، والتي كانت من أشدِّ الصعوبات التي واجهها في ذاك المجتمع الشائب بأدران الآلهة والأوثان! هذه هي التسوية بين الفقراء والمساكين والأغنياء الذين طغوا بالأموال.. وسنرى قريباً نتائج هذه التسوية في خروج الناكثين والقاسطين على الخليفة الحق ، تحت شعارٍ زائفٍ وحجَّةٍ داحضةٍ وهي « دم عُثمان »!

ومن مظاهر العدل والمساواة انتزاع الأموال والثروات التي تصرَّف بها عُثمان ، وكأنَّها ملكٌ له لا للمسلمين ، والتي أغدقها على ذويه وخاصَّته من أزلام بني أُميَّة من هدايا ضخمة والى ما شابه ذلك.

فقام الإمام عليٌّ بانتزاعها منهم ، ليعيدها إلى وضعها الطبيعي ، لينتفع بها الفقراء والمساكين الذين « لاكو الصخر خبزاً »! فقال عليه السلام بهذا الموضع : « والله لو وجدتُه قد تُزوِّج به النساءُ ، ومُلِكَ به الإماءُ لرددته ، فإنَّ في العدل

---

١) شرح نهج البلاغة ٧ : ٤١ ـ ٤٢.

سَعَة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق » (١) .

فما كان من بني أُميَّة ، الذين هالهم هذا العدل ، الا أن يحرِّض بعضهم البعض الآخر ، فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان يقول : « ما كنت صانعاً فاصنع! إذ قَشَرك ابن أبي طالب كلَّ مالٍ تملكه ، كما تُقشر من العصا لحاها »!

حتى تمخَّضت هذه الأحداث عن معركتين الجمل وصفِّين ، حيث لم يطيقوا عدل الإسلام الذي طبَّقه عليهم ابنُ أبي طالب عليه السلام !

وفي أصحاب الحزبين جاء قوله عليه السلام : « فلمَّا نهضتُ بالأمر نكثت طائفة ومرقت أُخرى وقسط آخرون ، كأنَّهم لم يسمعوا كلام الله تعالى يقول : (تِلْكَ الدَّارُ الاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الاَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين) (٢) ».

ثانياً : سياسته في الحكم:

حيث وضع دستوراً إسلامياً شرعياً تسير عليه السياسة الجديدة ، فخطب الملأ قائلاً :

« قد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً بولاية أمركم ، ولكم عليَّ من الحق مثل الذي عليكم..

جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً ، افترضها لبعض الناس على بعض ، فجعلها تتكافأ في وجوهها..

وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق : حقّ الوالي على الرعية ،

---

١) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٥.

٢) سورة القصص : ٨٣.

وحقُ الرعية على الوالي ، فريضةٌ فرضها الله سبحانه لكلٍّ على كلٍّ ، فجعلها نظاماً لأُلفتهم ، وعزّاً لدينهم.

فليست تصلح الرعية إلاّ بصلاح الولاة ، ولا تصلح الولاة إلاّ باستقامة الرعية ، فإذا أدّت الرعية إلى الوالي حقه ، وأدّى الوالي إليها حقّها ، عزّ الحقّ بينهم ، وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل ، وجرت على أذلالها السنن ، فصلُح بذلك الزمان ، وطمع في بقاء الدولة ، ويئست مطامع الأعداء...

وإذا غلبت الرعية واليها ، وأجحف الوالي برعيته ، اختلفت هنالك الكلمة ، وظهرت معالم الجور وكثُر الإدغال في الدين ، وتُركتْ محاجُّ السنن ، فعمل بالهوى وعطّلت الأحكام وكثرت علل النفوس ، فلا يستوحَش لعظيم حقٍّ عُطِّل ، ولا لعظيم باطلٍ فُعل ، فهنالك تذلّ الأبرار ، وتعِزُّ الأشرار.

فعليكم بالتناصح في ذلك ، وحسن التعاون عليه ، فليس أحد ـ وإن أشتدّ على رضى الله حرصه ، وطال في العمل اجتهاده ـ ببالغ حقيقة ما الله أهلّه من الطاعة.. وليس أمروٌ ـ وإن عظمت في الحق منزلته ، وتقدّمت في الدين فضيلته ـ بفوق أن يعان على ما حمّله الله من حقّه ، ولا امروٌ ـ وإن صغّرته النفوس واقتحمته العيون ـ بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه » (١)..

وهكذا تتكامل المسؤوليات ، وتتعاضد الأدوار ، ويستوي الناس أمام

---

١) نهج البلاغة : الخطبة : ٢١٦ ، بتصرف.

الحق والعدل ، ويأخذ مبداً التكافل الاجتماعي طريقه إلى الواقع.. إنها مباديء السياسة النموذجية التي تتوخى صناعة المجتمع النموذجي.

ثالثاً : استبدال الولاة :

انتخب الإمام عليٌّ عليه السلام رجالاً من الذين أُبعدوا في عهد سابقيه دون أدنى سبب ، جعلهم مكان الولاة الذين ضجَّت الأُمَّة من سياستهم المنحرفة ، كالوليد بن أبي معيط ـ الذي سمَّاه القرآن فاسقاً ـ وعبدالله بن أبي سرح ، الذي انتفضت عليه مصر ، وعبدالله بن عامر ، ومعاوية الرجل المتجبِّر!

وأمَّا البدائل ، فهم : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، والأنصاريان الجليلان : سهل بن حنيف وعُثمان بن حنيف ، بدائل عن ابن أبي سرح وابن عامر ومعاوية ، على مصر والبصرة والشام (١) .

وجعل عبيدالله بن عبَّاس على اليمن ، وقثم بن عبَّاس على مكَّة.

لكنَّ عقبة استبدال معاوية كانت هي الأشدُّ ، حيث تربَّع على العرش ، يذبح شيعة الإمام عليٍّ عليه السلام ويستنُّ السنن لأهل الشام ، الذين لا يعرفون من الإسلام الا ما يعرِّفهم به معاوية ، فعمل على أن لا يبقي في الشام صحابياً ، فأخرج منها أبا ذرٍّ ، وعبادة بن الصامت وغيرهم ، لتخلو له أرض الشام فلا يعرفوا غيره!

وجاءت وصايا الإمام عليه السلام إلى الولاة ، فكتب يقول لأحدهم : « واعلم أنَّ الرعيَّة طبقات ، لا يصلح بعضها الا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ،

---

١) أنظر : الأخبار الطوال : ١٤١.

فمنها جنود الله ، ومنها كُتَّاب العامَّة والخاصَّة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمَّال الإنصاف والرفق ،

ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمَّة ومسلمة الناس ، ومنها التجَّار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة.

وكلٌّ قد سمَّى الله سهمه ، ووضع على حدِّه فريضته في كتابه أو سُنَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم عهداً من عندنا محفوظاً :

فالجنود بإذن الله ، حصون الرعيَّة ، وزين الولاة ، وعزُّ الدين ، وسُبل الأمن ، وليست تقوم الرعيَّة الا بهم ، ثُمَّ لا قوام للجنود الا بما يُخرج الله لهم من الخراج..

ثُمَّ لا قِوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمَّال والكتَّاب ، لِما يُحكِمونَ من المعاقِد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤتمنون عليه من خواصِّ الأُمور وعوامِّها.

ولا قوام لهم جميعاً الا بالتجَّار وذوي الصناعات..

ثُمَّ الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحقُّ رفدهم ومعونتهم ، وفي الله لكُلّ سَعة ، ولكلٍّ على الوالي حقٌّ بقدر ما يُصلحه.. » (١) .

بلا شكٍّ لو أنَّ الإمام عليه السلام قد تولَّى خلافة المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة؛ لظهر الإسلام للعالم بوجهه الصحيح ، ولم تكن أُمور الغدر والجور والتزوير والفتن ، وإلى ما شابه ذلك من الأُمور التي نعيشها اليوم ، وتعيش فينا إلى آخر يوم..

---

١) نهج البلاغة ، الكتاب ٥٣ ، بتصرف.

فقد ترك « الحكَّام » غير الشرعيين صوراً تحفل بالآلام والمخازي ، شوَّهت الإسلام في أذهان الذين لا يعرفون عنه شيئاً الا اسمه.. لكن الذي وقع هو أنَّ خلافة الإمام عليه السلام قصيرة جدَّاً ، بسبب تلك الأُمور التي أحاطت به ، ولم تترك له مجال يمكِّنه من الإصلاح الشامل ، وبناء دولة إسلامية ذات أُسس رصينة ، كما أراد ذلك الله ورسوله..

لم يكن الإمام عليَّاً عليه السلام طالب ملك.. فهو لا يرى السلطة الا وسيلةً للحقِّ والعدالة.. لذلك نراه يصرُّ على عزل معاوية؛ لأنَّ إبقاءه ولو يوم واحد يعني إقرار الظلم والجور ، وأجاب من أشار عليه

بترك معاوية وشأنه بقوله : (وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً)! فهو لا يرى معاوية الا ضالاً مضلاًّ ، لذلك كرَّس كلَّ قوَّاته لاجتياح الظلم من أرض الشام ، كما أجتاحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أرض الحجاز!

وقال الأستاذ عبدالفتاح ، حول سياسة عليٍّ عليه السلام من أنصار عُثمان وولاته : « إنَّ الناظر إلى سياسة عليٍّ عليه السلام حيال ولاة عُثمان ، ليعلم مدى صوابه حين أبى الا خلعهم وتولية سواهم ، ممَّن يؤمنون بمبادئه ومثله ، ويعلم أيضاً أنَّه كان نافذ البصيرة مؤمناً باستجابة البلاد كلِّها له ، لأنَّه لم يعمل الا ما أملاه عليه شعور أهل الأمصار نحو أولئك الولاة ، وها هو الزمن قد أثبت فراسته فجاءته الطاعة من كلِّ الأقاليم.

أمَّا الشام فلها وحدها شأن تنفرد به في قبضة رجل مفتون بالسلطان إقراره عليها وعدم إقراره سواء بسواء لن يسفر الا عن تمرُّد؛ لأنَّه لا يرضى بغير احتلاب السلطان الذي وقع في كفِّ غريمه القديم ».

ومضى يقول : « ولعلَّه لو أثبته الإمام في حكم الشام ، لوسعه أن يبدو

في أنظار الجماهير أقوى منه في حال العزل ، لأنَّه لا يستطيع أن يقول للناس : إنَّه يأبى البيعة لمن ولاَّه ، ولا يعتبرها الا ثمناً يشتري أمير المؤمنين صمته عن اتهامه بمقتل عُثمان » (١) .

الفصل الثاني : مسير الإمام إلى البصرة ووقعة الجمل :

بينما كان الإمام عليٌّ يجهِّز جيشاً إلى الشام بقيادته؛ لكسح معاوية وبطانته الفاسدة ، أتاه الخبر عن طلحة والزبير وعائشة من مكَّة بما عزموا عليه ، فاستعدَّ لحرب الناكثين « وسار عليٌّ من المدينة في تعبئته التي تعبَّاها لأهل الشام آخر شهر ربيع الآخر سنة ستٍّ وثلاثين » (٢) .

رسم الإمام في سياسته الجديدة خطوط الحكم العريضة ، وكان وسامها : « لا فضل لعربي على أعجمي » ، أثارت هذه السياسة غضب المتمرِّدين على الحكم ، وكان منهم ما كان من الخروج عليه ، فلمَّا

أدرك طلحة والزبير برفض الإمام أن يجعل لهما ميزة على غيرهما ، فلا ينالان الا ما ينال المسكين والفقير بعطاء متساوٍ..

بعد أن أدركا كلَّ هذا سكتا على مضضٍ ، وأخذا يعملان للثورة ضدَّه ، ضدَّ الحكم الجديد ، فانضمَّا إلى الحزب الأُموي..

لقد كان قرار التسوية « هو السبب الخفي والحقيقي لخروج من خرج على عليٍّ ، ولنكوث من نكث بيعته ، وإن توارى ذلك تحت دعوى مفتعلة اسمها دم عُثمان » (٣)

---

١) بالواسطة ، عن سيرة الأئمة الأثني عشر : ٣٩٨.

٢) الكامل في التاريخ ٣ : ١١٤.

٣) الزيدية| د. أحمد صبحي : ٤٤ ، مؤسَّسة الزهراء للإعلام العربي ـ ١٩٨٤م.

واستغلَّ هذا الجانب سخط عائشة على الإمام عليٍّ عليه السلام ومواقفها العدائية منه.. فلمَّا كانت بمكَّة ، وقد خرجت إليها قبل أن يُقتل عُثمان ، فلمَّا كانت في بعض طريقها راجعةً إلى المدينة لقيها ابن أمِّ كلاب ، فقالت له : ما فعل عُثمان ؟

قال : قُتل!

قالت : بُعداً وسحقاً ، فمن بايع الناس ؟

قال : طلحة.

قالت : إيهاً ذو الإصبع.

ثمَّ لقيها آخر ، فقالت : ما فعل الناس ؟

قال : بايعوا عليَّاً.

قالت : والله ما كنت أُبالي أن تقع هذه على هذه ، ثُمَّ رجعت إلى مكَّة (١).

فانصرفت إلى مكَّة وهي تقول : قُتل والله عُثمان مظلوماً ، والله لأطلبنَّ بدمه!

قيل لها : ولِمَ ؟ والله إنَّ أوَّل من أمال حَرْفَه لأنتِ ، ولقد كنتِ تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر.

قالت : إنَّهم استتابوه ، ثُمَّ قتلوه ، وقد قلتُ وقالوا ، وقولي الأخير خيرٌ من قولي الأوَّل.

فقال لها ابن أمِّ كلاب :

---

١) الامامة والسياسة ١ : ٥٢ ، شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٢١٥ ـ ٢١٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٠ ، كتاب الدلائل : ٩٧.

فمنكِ البداءُ ومنكِ الغِيرْ * ومنكِ الريـاحُ ومنكِ المطرْ

وأنتِ أمرتِ بقتل الإمـام * وقلتِ لنـا : إنَّه قد كفرْ

فَهَبْنا أطعنـاك في قتلِـه * وقاتِلُـه عندنـا مَنْ أمـرْ

ولم يسقطِ السقفُ من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمـرْ

وقد بايع النـاس ذا تُدرءٍ * يزيلُ الشبا ويُقيم الصعـرْ

ويلبسُ للحربِ أثوابها * وما مَنْ وفى مثلُ من قد غدرْ (١)

وقبل أن يخرج موكب عائشة ويدلو بدلوه ، كان الإمام عليه السلام يقول : « أمرتُ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين » (٢) ، فما مضت الأيَّام حتى قاتلهم ، وهذه من جملة الآيات الدالَّة عليه ، وقوله عليه السلام لطلحة والزبير لمَّا استأذناه في الخروج إلى العمرة ، قال : « والله والله ما تريدان العمرة وإنَّما تريدان البصرة » (٣)!

وكان من نتائج هذا التمرُّد ـ كما سنأتي عليه ـ معركة البصرة ، أوَّل نكث لبيعة الإمام عليه السلام التي انتهت بفشل موكب عائشة وقتل طلحة والزبير وعشرات الألوف من المسلمين!

تهيَّأت عائشة للخروج إلى البصرة ، وأتت أُمَّ سلمة فكلَّمتها في الخروج معهم ، فردَّت عليها أُمُّ سلمة قائلةً :

أفأُذكِّرك ؟

١) الكامل في التاريخ ٣ : ١٠٠ ، الفتوح ١ : ٤٣٤ ، تاريخ الطبري ٥ : ١٧٢ ، الإمامة والسياسة ١ : ٥٢.

٢) إعلام الورى ١ : ٣٣٦ ، المستدرك ٣ : ١٥٠ | ٤٦٧٤ و٤٦٧٥ ، أسد الغابة ٤ : ١٢٤ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٦٢.

٣) إعلام الورى ١ : ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

قالت : نعم.

قالت أُمُّ سلمة : أتذكرين إذ أقبل رسول الله ونحن معه ، فخلا بعليٍّ يناجيه ، فأطال فأردتِ أن تهجمي عليهما ، فنهيتك فعصيتيني ، فهجمتِ عليهما ، فما لبثت أن رجعتِ باكية ، فقلتُ : ما شأنك ؟ فقلت : إنِّي هجمت عليهما وهما يتناجيان ، فقلتُ لعليٍّ : ليس لي من رسول الله الا يوم من تسعة أيَّام ، أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليَّ وهو غضبان محمرُّ الوجه ، فقال : « ارجعي وراءك ، والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس الا وهو خارج من الإيمان » ؟

قالت عائشة : نعم أذكر (١) .

لكن لم يردعها كلام ولا رادع ، فلم تنثنِ عن عزمها ، ولم ترجع إلى عقلها ، فتجهَّزت ومن معها إلى البصرة لتؤلِّب الناس على الإمام عليٍّ عليه السلام فكانت أحداث معركة الجمل.

تحرَّك موكب الناكثين بقيادة عائشة وطلحة والزبير نحو البصرة ، وقد حفَّ به الحاقدون على الإمام عليٍّ عليه السلام تحت شعار : « الثأر لعثمان » ، فلمَّا بلغوا « ذات عرق » لقيهم سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وأصحابه ، فقال لهم : أين تذهبون وتتركون ثأركم على أعجاز الإبل وراءكم ؟ ـ يعني عائشة وطلحة والزبير ـ اقتلوهم ثُمَّ ارجعوا إلى منازلكم.

١) أنظر : ابن أبي الحديد ٦ : ٢١٧ ـ ٢١٨.

فقالوا : نسير لعلَّنا نقتل قتلة عُثمان جميعاً (١) .

ومرَّ القوم ليلاً بماء يُقال له : الحوأب ، فنبحتهم كلابه ، فقالت عائشة : ما هذا الماء ؟

قال بعضهم : ماء الحوأب.

فقالت : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، هذا الماء الذي قال لي رسول الله : « لا تكوني التي تنبحكِ كلاب الحوأب ». ثمَّ صرخت بهم : ردُّوني ردُّوني!!

فأتاها القوم بأربعين رجلاً ، فأقسموا بالله أنَّه ليس بماء الحوأب! وأتى عبدالله بن الزبير ، فحلف لها بالله لقد خلَّفتهِ أوَّل الليل ، وأتاها ببيِّنة زور من الأعراب فشهدوا بذلك (٢) . فكان ذلك أوَّل شهادة زور أُقيمت في الإسلام.

وبلغوا البصرة ، وعامل الإمام عليها الصحابي عُثمان بن حُنيف الأنصاري ، فمنعهم من الدخول ، وقاتلهم ، ثُمَّ توادعوا الا يحدثوا حدثاً حتى يقدم عليٌّ عليه السلام ، ثُمَّ كانت ليلة ذات ريح وظلمة ، فأقبل أصحاب طلحة فقتلوا حرس عُثمان بن حنيف ، ودخلوا عليه ، فنتفوا لحيته وجفون عينيه ومثَّلوا به ، وقالوا : لولا العهد لقتلناك ، وأخذوا بيت المال (٣) .

---

١) الإمامة والسياسة ١ : ٦٣ ، وانظر الكامل في التاريخ ٢ : ١٠٢.

٢) أنظر قصَّة ماء الحوأب في : تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨١ ، ابن أبي الحديد ٦ : ٢٢٥ ، تاريخ ابن الأثير ٢ : ١٠٣ ، مسند أحمد ٦ : ٥٢ ، ٩٧ ، المستدرك ٣ : ١١٩ ـ ١٢٠ ، كنز العمَّال ١١ ح/٣١٦٦٧.

٣) أنظر : تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨١ ، تاريخ ابن الأثير ٢ : ١٠٨ ، الإمامة والسياسة : ٦٩.

وأمّا الإمام علي فلما بلغه نبأ مسيرهم إلى البصرة ، حمد الله وأثنى عليه ، ثُمَّ قال : « قد سارت عائشة وطلحة والزبير ، كلُّ واحدٍ منهما يدَّعي الخلافة دون صاحبه ، فلا يدَّعي طلحة الخلافة الا أنَّه ابن عمِّ عائشة ، ولا يدَّعيها الزبير الا أنَّه صهر أبيها. والله لئن ظفرا بما يريدان ليضربنَّ الزبير عنق طلحة ، وليضربنَّ طلحة عنق الزبير ، يُنازع هذا على الملك هذا.

وقد ـ والله ـ علمتُ أنَّها الراكبة الجمل ، لا تحلُّ عقدةً ولا تسيرُ عقبةً ، ولا تنزلُ منزلاً الا إلى معصيةٍ ، حتى تورد نفسها ومن معها مورداً ، يُقتل ثلثهم ويهرب ثلثهم ويرجعُ ثلثهم.

والله إنَّ طلحة والزبير ليعلمان أنَّهما مُخطئان وما يحملان ، ولربَّما عالم قتله جهلُهُ وعلمه معه لا ينفعه. والله لينبحها كلاب الحوأب ، فهل يعتبر معتبرٌ أو يتفكَّر متفكِّرٌ »!

ثمَّ قال : « قد قامت الفئة الباغية فأين المحسنون » ؟ (١)

ثمَّ دعا على طلحة والزبير أمام مسلمي الكوفة ، فقال : « قد علمتم ـ معاشر المسلمين ـ أنَّ طلحة والزبير بايعاني طائعين راغبين ، ثُمَّ استأذناني في العمرة فأذنتُ لهما ، فسارا إلى البصرة فقتلا المسلمين وفعلا المنكر.

اللَّهمَّ إنَّهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألَّبا الناس عليَّ ، فاحلُل ماعقدا ، ولا تُحكمْ ما أبرما ، وأرهما المساءة فيما عملا » (٢) .

---

١) إرشاد المفيد ١ : ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

٢) إرشاد المفيد ١ : ٢٥٠ ، الطبعة الحجرية.

معركة الجمل :

سُمّيت بذلك لأنَّ « قائدة الجيش » فضّلت ركوب الجمل على البغال والحمير ، وكانت الواقعة في ٤ كانون الأوَّل سنة ٦٤٦م (١) ، يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ (٢) .

وكانت الوقعة خارج البصرة ، عند قصر عبيدالله بن زياد (٣) وكان عسكر الإمام عشرين ألفاً ، وعسكر عائشة ثلاثين ألفاً (٤) .

ولمَّا التقى الجمعان قال الإمام لأصحابه : « لا تبدأوا القوم بقتال ، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، وإذا هزمتموهم فلا تتَّبعوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثِّلوا بقتيل ، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً.. ولا تهيجوا امرأةً بأذى وإن شتمن أعراضكم ، وسَبَبنَ أمراءكم وصلحاءكم » (٥) .

وقيل : إنَّ أوَّل قتيل كان يومئذٍ مسلم الجُهني ، أمره عليٌّ عليه السلام فحمل مصحفاً ، فطاف به على القوم يدعوهم إلى كتاب الله ، فقُتل (٦) .

ثمَّ أخذ أصحاب الجمل يرمون عسكر الإمام بالنبال ، حتى قُتل منهم جماعة ، فقال أصحاب الإمام : عقرتنا سهامهم ، وهذه القتلى بين يديك..

---

١) فضائل الإمام عليٍّ : ١٢٨ ، عن بروكلمن في (تاريخ الشعوب الإسلامية).

٢) فضائل الإمام عليٍّ : ١٢٨ ، عن الواقدي والمسعودي.

٣) سير أعلام النبلاء (سيرة الخلفاء الراشدين) : ٢٥٤.

٤) الكامل في التاريخ ٣ : ٢٤١ ـ ٢٤٢.

٥) الكامل في التاريخ ٣ : ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

٦) سير أعلام النبلاء (سيرة الخلفاء الراشدين) : ٢٥٩.

عند ذلك استرجع الإمام وقال : « اللَّهمَّ اشهد » ، ثُمَّ لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وتقلَّد سيفه ورفع راية رسول الله السوداء المسمَّاة بالعقاب؛ فدفعها إلى ولده محمَّد بن الحنفية.

وتقابل الفريقان للقتال ، فخرج الزبير ، وخرج طلحة بين الصفَّين ، فخرج إليهما عليٌّ ، حتى اختلفت أعناق دوابِّهم ، فقال عليٌّ عليه السلام : « لعمري قد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً ، فاتَّقيا الله ، ولا تكونا (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أنكَاثاً) (١) .

ألم أكن أخاكما في دينكما ، تُحرِّمان دمي ، وأُحرِّم دمكما ، فهل من حدثٍ أحلَّ لكما دمي » ؟!

قال طلحة : ألَّبت على عُثمان.

قال عليٌّ : « (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقّ) ، يا طلحة ، تطلب بدم عُثمان ؟! فلعن الله قتلة عُثمان ، يا طلحة ، أجئت بِعرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقاتل بها ، وخبَّأتَ عرسك في البيت! أما بايعتني ؟! ».

قال : بايعتك والسيف على عنقي!

فقال عليٌّ عليه السلام للزبير : « يا زبير ، ما أخرجك ؟ قد كنَّا نعدُّك من بني عبدالمطَّلب حتى بلغ ابنك ابن السوء (٢) ، ففرَّق بيننا » وذكَّره أشياء ، فقال : « أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بني غنم ، فنظر إليَّ ، فضحك ، وضحكت إليه ، فقلتَ له : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال لك : ليس به

---

١) سورة النحل : ٩٢.

٢) يريد ابنه عبدالله.

زهوٌ ، لتقاتلنَّه وأنت ظالم له ؟ ».

قال : اللَّهمَّ نعم ، ولو ذكرت ما سرتُ مسيري هذا ، والله لا أُقاتلك أبداً.

فانصرف الزبير إلى عائشة ، فقال لها : ما كنتُ في موطن منذ عقلت الا وأنا أعرف فيه أمري ، غير موطني هذا.

قالت : فما تريد أن تصنع ؟

قال : أُريد أن أدعهم وأذهب.

قال له ابنه عبدالله : جمعت بين هذين الغارين ، حتى إذا حدَّد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب ؟!

لكنَّك خشيت رايات ابن أبي طالب ، وعلمت أنَّها تحملها فتيةٌ أنجاد ، وأنَّ تحتها الموت الأحمر ،

فجبنت!

فاحفظه ـ أي : أغضبه ـ ذلك ، وقال : إنِّي حلفتُ الا أُقاتله.

قال : كفِّر عن يمينك ، وقاتله.

فأعتق غلامه (مكحولاً) ، وقيل : سرجيس.

فقال عبدالرحمن بن سلمان التميميُّ :

لم أرَ كاليوم أخا إخوانِ * أعْجَبَ من مُكَفِّرِ الايمانِ

بالعتق في معصية الرحمن [1]

وقيل : إنَّه عاد ولم يقاتل الإمام عليه السلام (٢) .

واحتدمت المعركة بين الفريقين ، وتقاتلوا قتالاً لم يشهد تاريخ البصرة

---

١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٠٠ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٣٩ ، مستدرك الحاكم ٣ : ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

٢) الإمامة والسياسة : ٧٣.

أشدَّ منه ، ثُمَّ إنَّ مروان بن الحكم رمى طلحة بسهمٍ وهو يقاتل معه ضدَّ عليٍّ عليه السلام ! يرميه

فيرديه ويقول : لا أطلب بثأري بعد اليوم (١) .

واستمرَّ الحال في أشدِّ صراعٍ ، لم يرَ سوى الغبرة وتناثر الرؤوس والأيدي ، فتتهاوى أجساد المسلمين

على الأرض.

ولمَّا رأى الإمام هذا الموقف الرهيب من كلا الطرفين ، وعلم أنَّ المعركة لا تنتهي أبداً مادام الجمل

واقفاً على قوائمه قال : « إرشقوا الجمل بالنبل ، واعقروه والا فنيت العرب ، ولايزال السيف قائماً حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض ». فقطعوا قوائمه ، ثُمَّ ضربوا عجز الجمل بالسيف ، فهوى إلى الأرض وعجَّ عجيجاً لم يُسمع بأشدّ منه. فتفرَّق من كان حوله كالجراد المبثوث ، وبقيت قائدة المعركة لوحدها في ميدان الحرب! وانتهت المعركة بهزيمة المتمرِّدين من أصحاب الجمل.

أمَّا الإمام عليه السلام فقد هاله موقف المسلمين منه ، حتى ساقهم هذا العصيان والتمرُّد على الحقِّ إلى مثل هذا المصير ، فوقف بين قتلاه وقتلى المتمرِّدين ، تحيط به هالة القلق والتمزُّق فقال : « هذه قريشٌ ، جَدَعْتُ أنفي وشفيتُ نفسي ، لقد تقدَّمت إليكم أُحذِّركم عضَّ السيوف ، وكنتم أحداثاً لا علم لكم بما ترون ، ولكنَّه الحَين (٢) ، وسوء المصرع ، فأعوذ بالله من سوء المصرع » (٣) ؟.

ثمَّ أمر عليٌّ عليه السلام نفراً أن يحملوا هودج عائشة من بين القتلى ، وأمر

---

١) سير أعلام النبلاء (ترجمة الإمام عليٍّ) : ٢٥٥ ، وانظر ، الكامل في التاريخ ٣ : ١٢٨.

٢) الحين : الهلاك.

٣) الإرشاد ١ : ٢٥٤.

أخاها محمَّد بن أبي بكر أن يضرب عليها قُبَّةً ، وقال : « انظر هل وصل إليها شيء من جراحة » ؟ فأدخل رأسه في هودجها ، فقالت : من أنت ؟ قال : أبغض أهلك إليك. قالت : ابن الخثعمية ؟ قال : نعم. قالت : يا بأبي ، الحمد لله الذي عافاك (١) ؟!

فلمَّا كان الليل أدخلها أخوها محمَّد بن أبي بكر البصرة ، في دار صفية بنت الحارث ، ثمَّ دخل الإمام عليه السلام البصرة فبايعه أهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة..

ثمَّ جهَّز عليٌّ عليه السلام عائشة بكلّ ما ينبغي لها من مركبٍ وزادٍ ومتاعٍ وغير ذلك ، وبعث معها كلَّ من نجا ، ممَّن خرج معها ، الا من أحبَّ المقام ، واختار لها أربعين امرأةً من نساء البصرة المعروفات ، وسيَّر معها أخاها محمَّد بن أبي بكر (٢) .

وقيل : إنَّه لمَّا أُخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل ، فتكلَّم فيه الحسن والحسين عليهما السلام فخلَّى

سبيله فقالا له : « يبايعك ، يا أمير المؤمنين ؟ » فقال : « ألم يبايعني بعد قتل عُثمان ، لا حاجة لي في بيعته ، أما إنَّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه ، وهو أبو الأكبش الأربعة ، وستلقى الأُمَّة منه ومن ولده موتاً أحمر ». فكان كما قال عليه السلام (٣) .

ورُبَّ سائل يسأل : ما هي الآثار التي تركتها فتنة الجمل ؟

فيُجيب الأستاذ محمَّد جواد مغنية بقوله : « لولا حرب الجمل لما كانت

---

١) الكامل في التاريخ ٢ : ١٤٠.

٢) الكامل في التاريخ ٢ : ١٤٤.

٣) إعلام الورى ١ : ٣٤٠.

حرب صفِّين والنهروان ، ولا مذبحة كربلاء ، ووقعة الحرّة ، ولا رُميت الكعبة المكرَّمة بالمنجنيق أكثر من مرَّة ، ولا كانت الحرب بين الزبيريِّين والأُمويِّين ، ولا بين الأُمويِّين والعباسيِّين ، ولما افترق المسلمون إلى سُنَّة وشيعة ، ولما وجد بينهم جواسيس وعملاء يعملون على التفريق والشتات ، ولما صارت الخلافة الإسلامية ملكاً يتوارثها الصبيان ، ويتلاعب بها الخدم والنسوان.

لقد جمعت حرب الجمل جميع الرذائل والنقائص ، لأنَّها السبب لضعف المسلمين وإذلالهم ، واستعبادهم وغصب بلادهم ، فلقد كانت أوَّل فتنةٍ ألقت بأس المسلمين بينهم ، يقتل بعضهم بعضاً ، بعد أن كانوا قوَّةً على أعدائهم ، كما فسحت المجال لما تلاها من الفتن والحروب الداخلية التي أودت بكيان المسلمين ووحدتهم ، ومهَّدت لحكم الترك والديلم والصليبيِّين وغيرهم. وباختصار لولا فتنة الجمل لاجتمع أهل الأرض على الإسلام ، لأنَّ رحمته تشمل الناس أجمعين (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ الا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين) وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّما أنا رحمة مهداة » » (١) .

عليٌّ في طريقه إلى الشام ، وحرب صفِّين :

لمَّا انتهت فتنة الجمل استعدَّ الإمام إلى حرب معاوية ، فوجد حماساً وتجاوباً من أهل الكوفة ، فقد كان قسم كبير منهم قد اشتركوا معه في معركة الجمل ، وهم الآن يريدون أن يضيفوا نصراً جديدا للإسلام.

ثمَّ إنَّ الإمام وقبل حرب صفِّين قد أرسل إلى معاوية السفراء والكتب

---

١) فضائل الإمام عليٍّ : ١٣٨ ـ ١٣٩.

يدعوه الى الطاعة والدخول فيما دخل المسلمون من قبله ، لكنَّه لم يستجب لطلبه ، بل أظهر الشدَّة والصلافة في ردِّه على رسائل الإمام ، واختار القتال على الصلح والمسالمة.

في هذه الأثناء تجهَّز معاوية بجيشٍ ضخمٍ واتَّجه به صوب العراق ، ولمَّا بلغ أمير المؤمنين خبره جهَّز جيشه ، واتَّجه نحو الزحف ، ليقطع عليهم الدخول إلى أرض العراق ، لما في ذلك من قتل ونهب وفساد كبير.. فكان من ذلك حرب صفِّين ، وبالشعار السابق نفسه : « دم عُثمان »!

فتمرَّدوا وأعدُّوا العدَّة لمحاربة إمام المتَّقين.. فهم لم يخرجوا في طلب الثأر لعثمان ، بل كان خروجهم ضدَّ الإمام ، وضدَّ الإسلام كلِّه ، والثأر لأنفسهم ، ونرى ذلك واضحاً من كلام ابن العاص مع معاوية على الشعار المزيَّف ، حيث قال عمرو بن العاص لمعاوية :

واسوأتاه! إنَّ أحقَّ الناس الا يذكر عُثمان لا أنا ولا أنت!

قال معاوية : ولِمَ ويحك ؟!

قال : أمَّا أنت فخذلته ومعك أهل الشام! وأمَّا أنا فتركته عياناً وهربتُ إلى فلسطين!

وقال له : أما والله ، إن قاتلنا معك نطلب دم الخليفة ، إنَّ في النفس ما فيها ، حيث نقاتل مَنْ تعلم سابقته وفضله وقرابته ، ولكنَّنا أردنا هذه الدنيا (١) !! فأيُّ مكرٍ هذا الذي رأيناه من كلامهما ؟! على مثل ذلك أعدُّوا العدَّة

---

١) انظر : الكامل في التاريخ ٣ : ١٦٣ ـ ١٧٢ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٤ ـ ١٨٦ ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٦٢ ـ ٦٦.

لمحاربة الخليفة الجديد ، فهؤلاء هم القاسطون الذين كرهوا خلافة الإمام عليٍّ عليه السلام.

ووصل الإمام إلى صفِّين في ذي القعدة ، وابتدأت الحرب في أوَّل ذي الحجَّة سنة ٣٦هـ ، وحصلت الهدنة في المحرم سنة ٣٧ هـ ، واستؤنف القتال في أوَّل صفر ، وانتهى في ١٣ منه (١) ، وعسكر الإمام بالنُخيلة ، وعقد لواءه لغلامه قنبر.

ونزل معاوية بمن معه في وادي صفِّين ، وأخذ شريعة الفرات ، وجعلها في حيِّزه ، وبعث عليها أبا الأعور السُّلمي يحميها ويمنعها.. وبعث أمير المؤمنين صعصعة بن صوحان إلى معاوية ، يسأله أن يخلِّي بين الناس والماء ، فقال معاوية لأصحابه : ما ترون ؟ فبعضهم قال : امنعهم الماء ، كما منعوه ابن عفَّان ، اقتلهم عطشاً قتلهم الله ، لكنَّ عمرو بن العاص حاول أن يقنع معاوية بأن يخلِّي بين القوم وبين الماء ، فرجع صعصعة فأخبره بما كان ، وأنَّ معاوية قال : سيأتيكم رأيي ، فسرَّب الخيل إلى أبي الأعور ليمنعهم الماء.

ولمَّا سمع عليٌّ عليه السلام ذلك قال : « قاتلوهم على الماء » ، فأرسل كتائب من عسكره ، فتقاتلوا واشتدَّ القتال ، واستبسل أصحاب الإمام أشدَّ استبسالٍ ، حتى خلَّوا بينهم وبين الماء ، وصار في أيدي أصحاب عليٍّ عليه السلام.

فقالوا : والله لا نسقيه أهل الشام!

فأرسل عليٌّ عليه السلام إلى أصحابه أن : « خذوا من الماء حاجتكم وخلُّوا عنهم ، فإنَّ الله نصركم بغيِّهم وظلمهم » (٢) .

---

١) فضائل الإمام عليٍّ : ١٤٢.

٢) أنظر : الكامل في التاريخ ٣ : ١٦٧ ، وسير أعلام النبلاء (سيرة الخلفاء الراشدين) : ٢٦٧ مختصراً.

بهذا الخُلق الكريم عامل أمير المؤمنين عليه السلام أشدَّ مناوئيه..

ثمّ دعا عليّ عليه السلام جماعة من قادة جنده ، فقال لهم : « ائتوا هذا الرجل وادعوه إلى الله والى

الطاعة والجماعة ».

ففعلوا ما أمرهم به ، لكنَّ معاوية قال لهم بعد أن سمع كلامهم : انصرفوا من عندي ، فليس بيني وبينكم الا السيف ، وغضب القوم ، وخرجوا ، فأتوا عليّاً عليه السلام فأخبروه بذلك..

واحتدم القتال بين الطرفين ، فاقتتلوا يومهم كلَّه قتالاً شديداً لم يشهد له تاريخ الحروب مثيلاً ، ثُمَّ تقدَّم الإمام عليٌّ عليه السلام بمن معه يتقدَّمهم عمَّار بن ياسر ، ولمَّا برز لعمر بن العاص قال عمَّار : « لقد قاتلت صاحب هذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرّات ، وهذه الرابعة ما هي بأبرَّ وأنقى » (١) يعني : راية معاوية.

وقال حبَّة بن جُوَين العُرَني : قلتُ لحذيفة بن اليمان : حدِّثنا فإنَّا نخاف الفتن.

فقال : عليكم بالفئة التي فيها ابن سُميَّة ، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « تقتله الفئة الباغية الناكبة (الناكثة) عن الطريق ، وإنَّ آخر رزقه ضَياح من لبن » ، وهو الممزوج بالماء من اللبن ، قال حبَّة : فشهدته يوم قُتل وهو يقول : ائتوني بآخر رزقٍ لي في الدنيا ، فأُتي بضياحٍ من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء ـ فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة ـ فقال :

اليوم ألقى الأحبَّة * محمَّداً وحزبه

---

١) الكامل في التاريخ ٣ : ١٨٧ وانظر سير أعلام النبلاء ٢ : ٢٦٥.

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر؛ لعلمت أنَّنا على الحقِّ وأنَّهم على الباطل ، ثم قُتل (١) رضي الله عنه وأرضاه..

وقد تضعضع الكثيرون من أتباع ابن أبي سفيان لموقف عمَّار ، لأنَّ مقولة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه لم تكن خافيةً على أحدٍ من الناس : « فطوبى لعمَّار تقتله الفئة الباغية ، عمَّار مع الحقِّ

يدور معه كيفما دار » وهذا كلُّه من دلائل نبوَّة محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان ذو الكلاع قد سمع عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمَّار بن ياسر : « تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شربةٍ تشربها ضَياح من لبن » ، فكان ذو الكلاع يقول لعمرو : ما هذا ويحك يا عمرو ؟ فيقول عمرو : إنَّه سيرجع إلينا.

فقُتل ذو الكلاع قبل عمَّار مع معاوية ، وأُصيب عمَّار بعده مع عليٍّ عليه السلام.

فقال عمرو لمعاوية : ما أدري بقتل أيُّهما أنا أشدُّ فرحاً ، بقتل عمَّار أو بقتل ذي الكلاع ؟ والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمَّار لمال بعامَّة أهل الشام إلى عليٍّ (٢) ، فأشرق وجه معاوية لذلك!

ولمَّا قُتل عمَّار ، قال عليٌّ لربيعة وهمدان : « أنتم درعي ورمحي » فانتدب له نحو من اثني عشر عليه السلام وتقدَّمهم عليٌّ على بغلة ، فحملوا معه حملة رجلٍ واحدٍ ، فلم يبقَ لأهل الشام صفٌّ الا انتقض ، وقتلوا كلَّ من انتهوا إليه.. حتى رأوا الظفر.

---

١) الكامل في التاريخ ٣ : ١٨٨.

٢) الكامل في التاريخ ٣ : ١٨٨.

واستمرَّ القتال ليلةً كاملة حتى الصباح. فتطاعنوا حتى تقصَّفت الرماح ، وتراموا حتى نفد النبل ، وكان الأشتر في الميمنة وابن عبَّاس في الميسرة وعليٌّ عليه السلام في القلب ، والناس يقتتلون من كلِّ جانبٍ ، حتى أصبحوا والمعركة خلف أظهرهم.

رفع المصاحف.. « كلمة حقٍّ يُراد بها باطل » :

لمَّا رأى عمرو أنَّ أمر أهل العراق قد اشتدَّ وخاف الهلاك ، قال لمعاوية : هل لك في أمرٍ أعرضه عليك ، لا يزيدنا الا اجتماعاً ، ولا يزيدهم الا فرقةً ؟

قال : نعم.

قال : نرفع المصاحف ، ثُمَّ نقول : هذا حكم بيننا وبينكم.

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : هذا كتاب الله عزَّ وجلَّ بيننا وبينكم ، مَنْ لثغور الشام بعد أهله ؟ مَنْ

لثغور العراق بعد أهله ؟

فلمَّا رآها الناس قالوا : نجيب إلى كتاب الله.

فقال لهم عليٌّ عليه السلام : « عباد الله امضوا على حقِّكم وصدقكم وقتال عدوِّكم ، فإنَّ معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحَّاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرَف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالاً ثُمَّ رجالاً ، فكانوا شرَّ أطفال وشرَّ رجال ، ويحكم والله ما رفعوها الا خديعةً ووهناً ومكيدة ».

فقالوا له : لا يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله!

فقال لهم عليٌّ عليه السلام : « فإنِّي إنَّما أُقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب ، فإنَّهم قد عصو الله فيما أمره ونسوا عهده ونبذوا كتابه ».

فقال له جماعة من المسلمين ، الذين صاروا خوارج بعد ذلك : يا عليُّ ، أجب إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ إذا دُعيت إليه ، والا دفعناك برمَّتك إلى القوم ، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفَّان!

قال : « فاحفظوا عنِّي نهيي إيَّاكم ، واحفظوا مقالتكم لي ، فإن تطيعوا فقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم » (١) .

لم تكن بينهم وبين معاوية الا بضعة أمتار ، فلولا وقوع هؤلاء في الفخ الذي نصبه معاوية لاستطاع الإمام عليه السلام أن يسيطر على الموقف ويستأصل رأس الفتن ، ولكنَّ مسألة التحكيم غيَّرت مجرى الأُمور إلى أسوأ حال ، فحالت دون تحقيق الهدف المنشود ، وقُدِّر لهذه المؤامرة أن تنجح وأن تجرَّ وراءها المصائب والويلات!

ثمَّ قالوا للإمام : ابعث إلى الأشتر فليأتكَ ، فرجع الأشتر مغضباً بعدما أوشك على النصر ، فأقبل إليهم الأشتر ، وقال : يا أهل العراق! يا أهل الذلِّ والوهن! أحين علوتم القومَ وظنُّوا أنَّكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها وسُنَّة مَنْ أُنزلت عليه ؟ فأمهلوني فواقاً ، فإنِّي قد أحسستُ الفتح (٢) .

لكنَّهم أبوا الا التحكيم!

وجعل أهل الشام عمرو بن العاص على التحكيم ، وأراد الإمام عليه السلام أن يجعل عبدالله بن عبَّاس ، لكنَّهم أبوا الا أبا موسى الأشعري ، ولمَّا رأى أنه لاتنفع معهم حجَّة حكَّمه على مضض!

---

١) أنظر : الكامل في التاريخ ٣ : ١٩٢ ـ ١٩٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢ : ٢٦٤ مختصراً.

٢) الكامل في التاريخ ٣ : ٣١٧ ـ ٣١٨.

وحضر عمرو بن العاص عند عليٍّ عليه السلام ليكتب القضية بحضوره ، فكتبوا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضا عليه أمير المؤمنين ، فقال عمرو : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم وأمَّا أميرنا فلا. فقال الأحنف : لا تمحُ اسم إمارة أمير المؤمنين ، فإنِّي أخاف إن محوتها أن لا ترجع إليه أبداً ، فلا تمحُها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً ، فأبى ذلك عليٌّ عليه السلام ملياً من النهار.

ثُمَّ إنَّ الأشعث بن قيس قال : امحُ هذا الاسم ، فمُحي ، فقال عليٌّ : « الله أكبر! سُنَّة بسُنَّة ، والله إنِّي لكاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يوم الحديبية فكتبتُ : محمَّد رسول الله ، وقالوا : لستَ برسول الله ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمحوه ، فقلتُ : لا أستطيع ، فقال : أرنيه ، فأريته ، فمحاها بيده ، وقال : إنَّك ستُدعى إلى مثلها فتجيب ».

فقال عمرو : سبحان الله! أتشبِّهنا بالكفَّار ونحن مؤمنون!

فقال عليٌّ عليه السلام : « يا ابن النابغة ، ومتى لم تكن للفاسقين ولياً ، وللمؤمنين عدوّاً ؟ »

فقال عمرو : والله ، لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبداً.

فقال عليٌّ عليه السلام : « إنِّي لأرجو أن يطهِّر الله مجلسي منك ومن أشباهك » (١) ..

وتمّت كتابة الكتاب بجعل كتاب الله الحاكم في كلّ الأُمور ، وما لم يجد في كتاب الله فالسُنَّة العادلة الجامعة غير المفرِّقة.. وأُجِّل القضاء إلى رمضان.

---

١) الكامل في التاريخ (انظر تفصيل الكتاب) ٣ : ١٩٥ ، وانظر سير أعلام النبلاء ٢ : ٢٨١.

ولمَّا انتهت مسألة التحكيم ، قال نفرٌ من أصحاب الإمام : كيف تُحكِّمون الرجال في دين الله ؟! لا حكم الا لله ، وكانوا يعترضون الإمام في خطبته بشعارهم « لا حكم الا لله » لذلك سُمُّوا بالمحكِّمة. فكانوا ما يقارب اثني عشر ألفاً.. فنزلوا في ناحية يُقال لها : « حروراء » لأجلها سُمُّوا بالحرورية..

فحاججهم الإمام عليه السلام بقوله الأوَّل قبل التحكيم ، ثُمَّ قال لهم : « قد اشترطتُ على الحكمين أن يُحييا ما أحيا القرآن ، ويُميتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف ، وإن أبيا فنحن عن حكمهما براء ».

قالوا : أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟

قال : « إنَّا لسنا حكَّمنا الرجال ، إنَّما حكَّمنا القرآن ، وهذا القرآن إنَّما هو خطٌّ مسطور بين دفَّتين لا ينطق ، إنَّما يتكلَّم به الرجال » (١) ثمَّ رجعوا مع الإمام عليه السلام.

فلمَّا التقى الحكمان : أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وخُدِع أبو موسى؛ إذ مكر به عمرو ، قال له : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسنُّ منِّي فتكلَّم ، وأراد عمرو بذلك كلِّه أن يقدِّمه في خلع عليٍّ ، قال له : نخلع عليَّاً ومعاوية معاً ، ونجعل الأمر شورى ، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبُّوا.

فتقدَّم أبو موسى فأعلن على الملأ الحاضرين أنَّه قد خلع عليَّاً من الخلافة ثُمَّ تنحَّى. وأقبل عمرو فقام ، وقال : إنَّ هذا قد قال ما سمعتموه

---

١) الكامل في التاريخ ٣ : ٢٠٣.

وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأُثبت صاحبي معاوية! (١) فدُهش أبو موسى وشتم

عمرو وشتمه عمرو ، وانفضَّ التحكيم عن هذه النتيجة!

والتمس المسلمون أبا موسى فهرب إلى مكَّة ، ثُمَّ انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلَّموا عليه بالخلافة.

مع هذه النتيجة عاد عليّ عليه السلام يعمل على إعادة نظم جيشه ، استعداداً لمرحلة جديدة من الحروب مع أهل الغدر ، ولكن فتناً جديدة نجمت بين أصحابه ستمنع من انطلاقته صوب أهدافه..

قام يوماً خطيباً بين أصحابه ، فقام إليه رجل من أولئك « المحكمّة » فقال : لا حكم الا لله! ثُمَّ توالى عدَّة رجال يحكِّمون. فقال عليٌّ عليه السلام : « الله أكبر ، كلمة حقٍّ أُريدَ بها باطل! أما إنَّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفيء مادامت أيديكم في أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدأوا ، وإنَّما نتّبع فيكم أمر الله » (٢) ..

بهذه الأخلاق النبيلة تعامل الإمام مع المارقين ، ورغم ذلك فقد مضوا على غيّهم ، فاعتزلوا بقيادة عبدالرحمن بن وهب الراسبي ، ثمَّ خرجوا من الكوفة.

فبايع المسلمون الإمام عليّاً عليه السلام وقالوا : « نحن أولياء من واليت ، وأعداء من عاديت »

فشرط فيهم سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وجاء دور صاحب راية

---

١) الكامل في التاريخ ٣ : ٢٠٨ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٢٧٠ ـ ٢٧١.

٢) الكامل في التاريخ ٣ : ٢١٢ ـ ٢١٣ ، البداية والنهاية ٧ : ٣١٥ ـ ٣١٦.

خثعم ، ربيعة بن أبي شداد فقال له : « بايع على كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم » ، فأبى بأن يبايع الا على سُنَّة أبي بكر وعمر! فقال له عليٌّ عليه السلام حين ألحَّ عليه : تبايع ؟ قال : لا ، الا على ما ذكرتُ لك.

فقال له الإمام : « أما والله ، لكأنِّي بك قد نفرت في هذه الفتنة ، وكأنِّي بحوافر خيلي قد شدخت وجهك »! قال قبيصة : فرأيته يوم النهروان قتيلاً قد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه ومثَّلت به ، فذكرت قول عليٍّ ، وقلت : لله درُّ أبي الحسن ، ما حرَّك شفتيه قط بشيءٍ الا كان كذلك! (١) .

وكان همُّ الإمام عليه السلام في العود إلى محاربة معاوية ، فعبَّأ جنده ، لكنَّه وبعد ذلك كلِّه لم يترك « المحكِّمة » فكتب إليهم كتاباً جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله عليٍّ أمير المؤمنين إلى عبدالله بن وهب الراسبي ويزيد بن الحصين ومن قبلهما : سلام عليكم ، وبعد ، فإنَّ الرجلين اللذين ارتضيتماهما للحكومة خالفا كتاب الله واتَّبعا هواهما بغير هدىً من الله ، فلمَّا لم يعملا بالسُنَّة ولم يحكما بالقرآن تبرَّأنا من حكمهما ، ونحن على أمرنا الأوَّل ، فأقبلوا إليَّ رحمكم الله ، فإنَّا سائرون إلى عدوِّنا وعدوِّكم لنعود لمحاربتهم ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، وهو خير الحاكمين » (٢) .

وردُّوا على هذا الخطاب الحكيم المتَّزن بخطابٍ ينمُّ عن شدَّة تعسُّفهم وردِّهم المارق ، فكتبوا إليه : « . فإن شهدت على نفسك أنَّك كفرت في ما كان من تحكيمك الحكمين ، واستأنفت التوبة والإيمان ، نظرنا في مسألتنا من

---

١) الإمامة والسياسة ١ : ١٢٥ ـ ١٢٦ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢١٦ باختلافٍ يسير.

٢) الإمامة والسياسة ١ : ١٢٣.

الرجوع إليك ، وإن تكن الأُخرى فإنَّنا ننابذك على سواء ، إنَّ الله لا يهدي كيد الخائنين » (١)

فلمّا يئس منهم تحرَّك بجيشه صوب الشام ، حتى بلغ منطقةً في أعالي الفرات تُدعى « عانات » فأتته أخبار فضيعة عن الخوارج ، إذ أصبحوا يعترضون الناس فيقتلونهم دون أدنى ذنبٍ ، الا لأنَّهم لم يتبرَّأوا من عليٍّ ولم يكفِّروه لما حدث! حتى أنَّهم أقبلوا أخيراً إلى قتل عبدالله بن خباب بن الأرت الصحابي الشهير ، وقتلوا معه امرأته وبقروا بطنها وهي حامل ، وقتلوا عدَّة نساءٍ ، وبثُّوا الرعب في الناس.

فبعث إليهم أمير المؤمنين الحارث بن مرَّة العبدي ليأتيه بخبرهم ، فأخذوه فقتلوه (٢) . فتمخَّضت تلك الأحداث عن معركة النهروان الشهيرة..

حرب النهروان :

المعروفة بوقعة الخوارج ، وحصلت الوقعة سنة ٣٧هـ.

لمَّا بلغ عليَّاً عليه السلام قتل « المحكِّمة » لعبدالله بن خباب بن الأرت واعتراضهم الناس ، وقتلهم مبعوث الإمام إليهم ، قال المسلمون الذين معه : يا أمير المؤمنين علامَ ندع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا ؟ سر بنا إلى القوم ، فإذا فرغنا منهم سرنا الى عدوِّنا من أهل الشام.

فرجع عليه السلام بجنده الذين ذعروا على أهليهم من خطر الخوارج ، والتقت

---

١) الكامل في التاريخ ٣ : ٢١٦ ، الأخبار الطوال : ٢٠٦.

٢) أنظر : الكامل في التاريخ ٣ : ٢١٩ ، البداية والنهاية ٧ : ٣١٨ ـ ٣١٩.

الفئتان في النهروان ، فلم يبدأهم الإمام عليه السلام بحرب ، حتى دعاهم إلى الحجَّة والبرهان ، فبعث إليهم ابن عبَّاس أمامه ، فناظرهم بالحجَّة والمنطق السليم ، لكنَّهم أصرُّوا على العمى والطغيان! ثُمَّ تقدَّم الإمام عليه السلام ، وذكَّرهم نهيه عن قبول التحكيم وإصرارهم عليه ، حتى لم يبقَ لديهم حجَّة ، وحتى رجع أكثرهم وتاب ، وممَّن رجع يومذاك إلى رشده : عبدالله بن الكوَّا أمير الصلاة فيهم (١) .

وأبى بعضهم الا القتال!!

وتعبأ الفريقان ، ثمَّ جاءت الأنباء أنَّ الخوارج قد عبروا الجسر ، فقال عليه السلام : « والله ما عبروا ، ولا يقطعونه ، وإنَّ مصارعهم لدون الجسر » ، ثُمَّ ترادفت الأخبار بعبورهم وهو عليه السلام يحلف أنَّهم لن يعبروه وأنَّه « والله لا يفلتُ منهم عشرة ، ولا يهلك منكم عشرة »! فكان كلُّ ذلك كما أخبر به الإمام عليٌّ عليه السلام ، فأدركوهم دون النهر ، فكبَّروا ، فقال الإمام عليه السلام : « والله ما كذبتُ ولا كُذبت » (٢) .

وكان عليٌّ عليه السلام قد قال لأصحابه : كُفُّوا عنهم حتى يبدأوكم ، فتنادوا : الرواح إلى الجنَّة! وحملوا على الناس (٣) . واستعرت الحرب ، واستبسل أصحاب الإمام عليه السلام استبسالاً ليس له نظير ، فلم ينجُ من الخوارج الا ثمانية فرُّوا هنا وهناك ، ولم يُقتل من أصحاب الإمام عليه السلام غير تسعة ، وقيل : سبعة (٤) .

---

١) أنظر : الكامل في التاريخ ٣ : ٣٤٣ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٩١ ـ ١٩٣ ، البداية والنهاية ٧ : ٣١٩ ـ ٣٢٠.

٢) نهج البلاغة ، الخطبة : ٥٩ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٢٣.

٣) الكامل في التاريخ ٣ : ٢٢٣.

٤) الكامل في التاريخ ٣ : ٢٢٣ ـ ٢٢٦ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٢٠.

وانجلت الحرب بانجلاء الخوارج وهلاكهم ، وقد روى جماعة أنَّ عليّاً عليه السلام كان يحدِّث أصحابه قبل ظهور الخوارج ، أنَّ قوماً يخرجون ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة ، علامتهم رجل مُخدَج اليد ، سمعوا ذلك منه مراراً (١) .

فقال الإمام عليه السلام : « اطلبوا ذي الثُديَّة » ، فقال بعضهم : ما نجده ، وقال آخرون : ما هو فيهم ، وهو يقول : « والله إنَّه لفيهم! والله ما كذبتُ ولا كُذبتُ » وانطلق معهم يفتِّشون عنه بين القتلى حتى عثروا عليه ، ورأوه كما وصفه لهم ، قال : « الله أكبر ، ما كذبتُ ولا كُذبت ، لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضَّ الله على لسان نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم لمن قاتلهم ، مستبصراً في قتالهم ، عارفاً للحقِّ الذي نحن عليه » (٢) .

وقال عليه السلام حين مرَّ بهم وهم صرعى : « بؤساً لكم! لقد ضرَّكم من غرَّكم »!

قالوا : يا أمير المؤمنين مَنْ غرَّهم ؟

قال : « الشيطان وأنفسٌ أمَّارة بالسوء ، غرَّتهم بالأماني ، وزيَّنت لهم المعاصي ، ونبَّأتهم أنَّهم ظاهرون » (٣) .

فقالوا : الحمد لله ـ يا أمير المؤمنين ـ الذي قطع دابرهم ، فقال عليه السلام : « كلا والله ، إنَّهم نطف في أصلاب الرجال ، وقرارات النساء » (٤) !

---

١) أنظر أخبار المخدج في : إعلام الورى ١ : ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

٢) أنظر قصَّة مقتل ذي الثُديَّة في : الكامل في التاريخ ٣ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٢٠ ، سير أعلام النبلاء (سيرة الخلفاء الراشدين) : ٢٨٢ ، وأخرج مسلم ٣ : ١١٦.

٣) الكامل في التاريخ ٣ : ٢٢٣.

٤) نهج البلاغة ،الخطبة : ٦٠.

قصَّة استشهاده :

قال أنس بن مالك : مرض عليٌّ فدخلت عليه ، وعنده أبو بكر وعمر ، فجلست عنده ، فأتاه النبيٌّ صلى الله عليه وآله وسلم فنظر في وجهه ، فقال له أبو بكر وعمر : يانبيَّ الله ما نراه الا ميِّتاً. فقال : « لن يموت هذا الآن ، ولن يموت حتى يُملأ غيضاً ، ولن يموت الا مقتولاً » (١) .

وممَّا رواه أبو زيدٍ الأحول عن الأجلح ، عن أشياخ كندة ، قال : سمعتهم أكثر من عشرين مرَّةً يقولون : سمعنا عليَّاً عليه السلام على المنبر يقول : « مايمنع أشقاها أن يخضّبها من فوقها بدمٍ » ؟ ويضع يده على لحيته عليه السلام (٢) .

واشتهرت الرواية عن عُثمان بن المغيرة ، قال : كان عليٌّ عليه السلام لمَّا دخل رمضان يتعشَّى ليلةً عند الحسن ، وليلةً عن الحسين ، وليلةً عند عبدالله بن جعفر ، زوج زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان لا يزيد على ثلاث لُقم ، فقيل له في ليلةٍ من تلك الليالي في ذلك ، فقال : « يأتيني أمر الله وأنا خميصٌ ، إنَّما هي ليلةٌ أو ليلتان ». فلم تمضِ ليلة حتى قُتل (٣) .

سبب قتله : (٤)

وكان سبب قتله أنَّ نفراً من الخوارج اجتمعوا بمكَّة ، فتذاكروا أمرالناس وعابوا عمل ولاتهم ، ثُمَّ ذكروا أهل النهر فترحَّموا عليهم ، وقالوا : ما نصنع

---

١) المستدرك ٣ : ١٣٩ ، إعلام الورى ١ : ٣١٠ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٥٤ باختلافٍ يسير.

٢) الإرشاد ١ : ١٣ ، وانظر الكامل في التاريخ ٣ : ٢٥٤.

٣) الكامل في التاريخ ٣ : ٢٥٤ ، الإرشاد ١ : ١٤ ـ ١٧ ، إعلام الورى ١ : ٣٠٩ ، أُسد الغابة ٤ : ٣٥.

٤) أنظر قصَّة قتله عليه السلام في سير أعلام النبلاء ٢ : ٢٨٤ وما بعدها ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٥٤ ـ ٢٥٨ ، إعلام الورى ١ : ٣٨٩ وما بعدها ، إرشاد المفيد ١ : ٩ ، وغيرها من كتب التاريخ والتراجم.

بالبقاء بعدهم ؟ فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد!

وقال عبدالرحمن بن ملجم المرادي ـ لعنه الله ـ : أنا أكفيكم عليَّاً ، وكان من أهل مصر. وقال البرك بن عبدالله التميمي الصُريمي : أنا أكفيكم معاوية. أمَّا عمرو بن بكر التميمي ، فقال : أنا أكفيكم عمرو بن العاص. وتعاهدوا على ذلك وأخذوا سيوفهم فسمُّوها ، واتَّعدوا لسبع عشرة من رمضان ، وقصد كلٌّ منهم الجهة التي يريد.

فأتى ابن مُلجم الكوفة كاتماً أمره ، فبينما هو هناك إذ زار أحداً من أصحابه من تيم الرباب ، فصادف عندهُ قطام بنت الأخضر التيميَّة.. وكان أمير المؤمنين عليه السلام قتل أباها وأخاها بالنهروان ،فلمَّا رآها أخذت قلبه فخطبها ، فأجابته إلى ذلك على أن يُصدِقها : ثلاثة آلاف وعبداً وقينةً ، وقتل عليٍّ!!

فقال لها : والله ، ما جاء بي الا قتل عليٍّ ، فلكِ ما سألتِ!

قالت : سأطلب لك من يشدُّ ظهرك ويساعدك ، وبعثت إلى رجلٍ من قومها اسمه : وردان وكلَّمته فأجابها..

وروي أنَّ الإمام عليه السلام سهر في تلك الليلة التي قُتل فيها ، وكان يكثر الخروج والنظر إلى السماء ، وهو يقول : « والله ما كذبتُ ولا كُذبت ، وإنَّها الليلة التي وُعدتُ بها » ثُمَّ يعاود مضجعه ، فلمَّا طلع الفجر شدَّ إزاره وخرج وهو يقول :

« أُشدد حيازيمك للموت * فإنَّ المـوت آتيـك

ولا تجزع من الموت * إذا حلَّ بواديك » [1]

---

١) إعلام الورى ١ : ٣١١.

وأخذ ابن ملجم سيفه ومعه شبيب بن بَجَرة ووردان ، وجلسوا مقابل السدَّة التي يخرج منها عليٌّ عليه السلام للصلاة.. فضربه ابن ملجم أشقى الآخرين لعنه الله ، ليلة تسعة عشر من شهر رمضان ، سنة أربعين من الهجرة ، في المسجد الأعظم بالكوفة ، ضربه بالسيف المسموم على أُمِّ رأسه.

فمكث عليه السلام يوم التاسع عشر وليلة العشرين ويومها ، وليلة الحادي والعشرين الى نحو الثلث من الليل ثُمَّ قضى نحبه شهيداً محتسباً صابراً وقد مُلئ قلبه غيضاً..

بتلك الضربة الشرسة التي ارتجَّ لها المسجد الأعظم ، دوى صوت الإمام المظلوم بنداء : « فزت وربِّ الكعبة » لم يتلكَّأ ولم يتلعثم في تلك اللحظات التي امتُحن قلبه ، وهو القائل « والله لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً » هذا الإمام العظيم الذي طوى صفحات ماضيه القاسية بدمائه الزكية الطاهرة ، أدرك في لحظاته الأخيرة أنَّه أنهى خطَّ الجهاد والمحنة ، وكان أسعد المخلوقين في هذه اللحظات الأخيرة ، حيث سيغادر الكفر والنفاق والغشَّ والتعسُّف.. سيترك الدنيا لمن يطلبها؛ ليلحق بأخيه وابن عمّه ورفيق دربه في الجهاد في سبيل الله صابراً مظلوماً ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون..

اللَّهمَ احشرنا معهم واجعلنا من أتباعهم والمتوسِّمين خطاهم.. آمين.

وقيل : كان عمره يوم استشهد ثلاثاً وستِّين سنةً ، وتولَّى غسله وتكفينه ابناه الحسن والحسين بأمره ، وحملاه إلى الغريَّين من نجف الكوفة ، ودفناه هناك ليلاً ، وعمَّيا موضع قبره بوصيته إليهما في ذلك ، لما كان يعلم

من دولة بني أُميَّة من بعده ، وإنَّهم لا ينتهون عمَّا يقدرون عليه من قبيح الأفعال ولئيم الخلال ، فلم يزل قبره مخفيَّاً حتى دلَّ عليه الصادق عليه السلام في الدولة العبَّاسية ، وزاره عند وروده إلى أبي جعفر وهو بالحيرة (١) .

إلى هنا انتهى الكتاب ، راجين أن نكون قد وفينا ببعض سيرة أمير المؤمنين وسيد الموحدين وأخي رسول رب العالمين ، وصاحبه في المواطن كلها ، وحامل رايته في سوح الوغى ، وصاحب لوائه يوم

الدين ، وصهره على بضعته البتول سيدة نساء العالمين ، وأبي ريحانتيه سيدي شباب أهل الجنة ، الحسن والحسين ، وخليفته بالحق ومولى المؤمنين من بعده علي بن أبي طالب عليه السلام.. والوفاء ببعض ذلك ليس بالأمر اليسير.. إنه علي عليه السلام تجفّ الأقلام دون ذكر خصاله ولا تصل إلى منتهاها.. بل الاحاطة بواحدة من مفردات سيرته عليه السلام أو خصائصه تتطلب بحثاً بحجم ما كتبناه عن كل سيرته وتاريخه ، ذلك أنها تفتح أمام الباحث آفاقاً رحبة في مجالات العلم والعمل والفكر والتربية والسلوك ، بما يتصل بواقع الحياة في جميع مفاصلها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وعزاؤنا أنّا ذكرناه في هذا الجهد اليسير ، راجين أن يكون ذلك لنا ذخراً في اليوم العسير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

---

١) إعلام الورى ١ : ٣١٢ ، إرشاد المفيد ١ : ١٠ ، وانظر الكامل في التاريخ ٣ : ٢٥٨.